التاريخ السري

للعلاقات الشيوعية الصهيونية

نهاد الغادري

التاريخ السري

للعلاقات الشيوعية الصهيونية

منشورات دار الكاتب العربي
بيروت، كانون الثاني ١٩٦٩
كانون الثاني ١٩٦٩

« يا رب :

لا تجعلني جزارا يذبـــح الخراف ، ولا شاة يذبحها الجزارون .

ساعدني على ان اقول كلمــة الحق في وجه الاقوياء ، ولا اقول الباطل لاكسب تصفيق الضعفاء .

اذا أعطيتني مالا لا تأخذ سعادتي، واذا أعطيتني قوة لا تأخذ عقلي .

لا تدعني أصـــاب بالغرور اذا نجحت ، ولا باليأس اذا فشلت . بل ذكّرني دائما ان الفشل تجربة تسبق النجاح . »

من دعاء طاغور

إلى القارئ

لكل كتاب هـــدف يرمي اليه ، فما الهدف من هذا الكتاب ، وما هي العنـــاصر التي جعلتني اومن بضرورته ، وشكلت قناعتي في خطه واتجاهه ؟

ساحاول في عجالة كان يمكـن أن تكون كتابا وحدها ، عرض وجهة نظري . ومهما بدا لاول وهلة من معارضتها مـا تعارف عليه الكثيرون أو اقتنعوا به وسلموا بصوابه ، فما أطلبه من القارىء هو أن يحاول معي رؤية ما وراء الاشياء : الحقائق بعيدا عن صخب التزوير وضجيج الخديعة .

وليست القضية دائما ما نعرف ، بل صحة ما نعرف . فبالمعرفة تتشكل القناعة ، وبالقناعة يتشكل السلوك وتتحدد المواقف والاعمال .

وليس عيبا أن نجهل الحقيقة ، بعضها او كلها . بل العيب في أن نظل نجهلها . ولا مناص لنا اذا كنا صادقين مع أنفسنا من أن نتلمس الحقيقة دائما ونسعىاليها . ومهما بدا الطريق شاقا فهي جـــديرة به ، لان انسانية الانسان ووجوده مرتبطينالى حد كبير بالمعرفةوصحتها، ايبالحقيقة.

ليست سفسطة . فلا قيمـــة لي أو لك اذا لم نعرف ، واذا لم يكن ما نعرفه صحيحـــا لا زغل فيه . والذي جعل الانسان أعلى دائما ورفعه فوقا عصرا بعد عصر ومرحلة بعد مرحلة هو ازدياد معرفتـــه وليس أزدياد قوته العضلية . وفوارق التقدم هي في جوهرها فوارق المعرفة . حتى القوة ذاتها غدت نتاج المعرفة وابنتهـا . وكلما ازداد في امة عدد الذين يعرفون ، ازدادت قيمتها وانسانيتها وعلت مرتبتهـا الحضارية .

من هنا كان البحث عن الحقيقة في ضميره هو الرغبة في الارتفاع ، وفي اكتساب انسانية أعلى ، وجود أعـلى . وهو ايضا التصميم على الانتصار ضد الخطأ وضد الخديعة. فهو جوهرا تحد لكل الظروف والعوامل التي تحاول اغراق الانسان في الجهل تمهيدا للسيطرة عليه وتسخيره .

بأدق : ان البحث عن الحقيقة هو البحث عن الحريـة وامتلاكها .

والموضوع كما حددته لنفسي بحثا عن الحقيقة فيه هو دور الاتحاد السوفياتي في خلق اسرائيل وصلة الشيوعية فكرا وعقيدة ونظاما باليهودية والصهيونية .

ما هو هذا الدور ... ما حدوده ... ما أهدافه ... ما صلات الفكر اليهودي بالفكر الشيـوعي من ماركس الى لينين ... ما صلات الشيوعية بالصهيونية ... ماذا يريد الاتحاد السوفياتي في بلادنا وماذا تريد اسرائيل ؟

رب سائل : ولماذا الاتحاد السوفياتي بالذات وليس الغرب ، وفي معرفتنا ان الغرب هو المسؤول ؟

والجـواب : ليس في العـالم العربي من يجهل دور الغرب ومن لم يتحدث فيه ويكتب عنه . كلنا نعرفه وربما باكثر مما هو فعلا . ولكن القلة القليلة هي التي تعرف دور الاتحاد السوفياتي ، والذين كتبوا عنه اقل ، بل لست أعدو الصواب اذا قلت ان المكتبة العربية تكاد أن تخلو من كتاب أو نشرة عن دور الاتحاد السوفياتي . والصحف العربية في ضحالتها أو ارتبـاطها اليساري لا تكاد تشير الى ذلك الا نتفا وبغير تحقيق ولا تدقيق . حتى ليصح القول ان العالم العربي في جهله دور الاتحـاد السوفياتي والشيوعية هو ضحية مؤامرة صمت كبرى !

اجل ، مؤامرة صمت . فليس من يكتب ولا من يتحدث ولا من يبحث أو يبذل جهدا صغر أم كبر في هذا الحقل . وكان من اثر ذلك ان جهل الراي العام العربي وبخاصـة جيله الجديد الذي انقطع عن بداية الاحداث وعاش وسطها ــ وهو جيل يزداد تأثيره وفعله مع الزمن ويمسك بزمـام السلطة في أكثر من بلد عربي ــ كان من اثر ذلك ان جهل كل ما يتصل بهذا الموضـوع . وعبد الجهل الطريق أمام النشاط الشيوعي ، فكان من بعض آثاره القريبة ما نشهد

اليوم من صراع وتمزق وانقسام ، وسنشهد ان لم نصح على الحقيقة ونعرفها أبعد مما شهـــدنا الى اليوم خرابا وآلاما وكوارث . ولربما بكينا غـدا بعـد فلسطين غير فلسطين ، فالمستقبل غامض مجهول واحتمالاته متعددة وكلها خطير .

ان الرأي العام العربي اليوم هو فريسة خداع منظم متصل ، ولا يقتصر خطره عـــلى دور الشيوعية فيه بـل يتجاوزه الى مشاركة الصهيونيـة ، فأحدهما يتهم الآخر ، وكلاهما ـ اختلف الهـدف أم اتفـق ـ يروع أمننا ويهـــدد مستقبل الحياة على أرضنا .

واذا كان الحديث عن مسؤولية الاتحاد السوفياتي في خلق اسرائيل ليس جديدا تمام الجدة على القارىء ـ وان تكن التفاصيل والوقائع قد أغرقها الصمت الثقيل ـ فـان دور الصهيونية في الايقاع ما بين العرب والغرب يكاد أن يكون مجهولا ، وحديثه مطويا ، والاشارة اليه مهددة بالفقوة في الخفاء تتحرك بتنسيق مركزي التوجيه والامر لتطمس هذا الدور وتغطي عليه وتفتعل ضد مثيره المتاعب !

وحديث الايقاع ما بين العرب والغرب هو الوجه الآخر للمؤامرة في قضية فلسطين . انه الاساس الذي بنت عليه الصهيونية كل انتصاراتها وما حققته الى اليوم .

فالمتتبع لتاريخ الحركة الصهيونية يستطيع أن يلمس بوضوح كيف انها حاولت منـذ مؤتمر بال عام ١٨٩٧ وبعد أن أخفقت في كسب السلطان العثماني والقيصر الالماني الى جانبها اتجهت الـى الغرب ـ بعد أن أيقنت ان حلمها في تحقيق وطنها القومي مرهون بموافقة الغرب على مخططها ـ ولم يمنعها من أن تتجه اليه وتحاول كسبه الى جانبها ان « اللاسامية » هي في أصلها مـوقف أوروبي من اليهود ، وان المسيحية الاوروبية عاشت قرونا طـــويلة على كراهة اليهود واعتبارهم مسؤولين تاريخيا عن مأساة السيد المسيح .

لم يمنع كره الغرب للصهيونية من أن تحاول فتح عقله وضميره لها . ولم ييئسها الزمن ولم ينقصها الصبر ، بل هي ظلت تعمل بدأب وعقل وتنظيم حتى استطاعت أن تقيم لقياداتها بقيادات الغرب صلات صداقة وطيدة ما لبثت أن تحولت بالتدريج الى موقف مؤيد لها في مطلب الوطن القومي .

كان جهد الصهيونية قبل الحرب العالمية الاولى منصبا

على كسب انكلترا حتى استطاعت ان تحقق ذلك ونجحت في استصدار وعد بلفور عام ١٩١٧ في الثاني من شهر تشرين الثاني ، كما نجحت اليهودية الشيوعية في العام نفسه في استصدار وعد لينين لها بوطن قومي في فلسطين أيضا !

وحين أدركت الصهيونية بثاقب نظرها ان مركز الثقل في مستقبل السياسة الدولية سيكـون أمريكا نقلت اليها جهودها وظلت تعمـــل فيها حتى استطاعت ان تكسبها الى جانبها . وتخلل الفشل محاولات الصهيونية أكثر من مرة ، وفي أكثر من مرحلة . غير انها لم تياس أيضا وظلت تعمل بصمت ودهاء وتصميم حتى بلغت منها ما تريد !

في خلال ذلك ، وبعد ان حققت الصهيونية نجاحهـا الاول في استصدار وعد بلفور ، ثم فـــي فتح باب الهجرة الى فلسطين ، كانت الصهيونية تعمـل جانبيا وجزئيا على الايقاع بين العرب والغرب . ومنـذ صدور الكتاب الابيض البريطاني عام ١٩٣٩ ، ثم نهاية الحرب ، ثم قيام اسرائيل ، ازداد الجهد الصهيوني في هذا الاتجاه ، وتصاعد ، وحددت الصهيونية لنفسها في جميع مؤتمراتها منـذ بداية الحرب الثانية والى اليوم مهمتين اساسيتين :

١ ـ المزيد من الصلات بالغرب ، والمزيد من التاكيد على أهمية دورها في اتجاهي الديموقراطية وحماية المصالح الاساسية للحضارة في منطقة الشرق الاوسط .

٢ ـ المزيد من الايقاع ما بين العرب والغرب وتفجير الخلافات بينهما منعا لاي لقـــاء محتمل تتاثر به المصالح الصهيونية وتخشى منه على أحلامها ومطامحها .

ولقد ساعد الصهيونية على تنفيذ مخططها عوامل كثيرة لعل أهمها وأبرزها غفلة العالم العربي وجهله وركضه وراء الاكاذيب واستسلامـــه للاوهام وتسليم قيادته لمغامرين كل همهم أن يملأ ضجيجهم الاسماع وأن يرتفع الهتاف لهم فوق كل اعتبار ، وأن يتقدم الايمان بهم على ايمان المرء بوطنه ، والتمسك بالانظمة والافراد على التمسك بالارض والحرية !!

ودافع آخر لي على الكتـــابة هو تسجيـــل ما أعرف ـ بحكم تجربتي ـ ويجهـــل الكثيرون من تاريخ الاحزاب الشيوعية العربية وصلاتها باليهودية واسرائيل ومواقفهـا المخزية من القضية القومية عموما وفلسطين بخاصة . ولقد

أوردت الوقائع بالقدر المقبول من الايجاز ، لان الدراسات المفصلة تحتـــاج الى أكثر من كتاب ، وهي جهـــد أكاديمي يحتاجه المستقبل أما اليوم فنحن أحوج ما نكون الى توعية سريعة تمنع الانجراف وراء الوهم ، وتوقف الانهيار الى القاع.

كذلك أردت من الكتاب أن يعرض صورة سريعة لتلك الروابط التاريخية والمتصلة الى يومنا هذا بين الشيوعية والصهيونيـــة كحركتين يهوديتين تتنـــافسان وتلتقيان . ولست أزعم انني أمسكت بسر العلاقة بينهما ولا بعناصرها جميعا ، فذلك ما لا قدرة لي عليه ، وانما تظل حدود هذه الدراسة الملاحظة الـــدائمة والامساك ببعض الوقائع التي عايشها الآخرون أو عايشناها .

ثمة أسرار كثيرة يطويها التاريخ وتظل مجهولة . واسرار اخرى يكشف بعضهـــا او كلها . الا اننا نستطيع من طريق الملاحظة والتامل والتحليل ومتابعة الاحداث بدقة أن نصل الى بعض الحقائق وان لم نصل اليها جميعا . وهذا البعض يكفي الآن مؤقتا ، غير أننا نظل محتاجيـــن على الدوام الى من يلقي أضواء اخرى على المجهول . ودراسة بعد دراسة تكتمل في المكتبة العربية المعرفة حول هذا الموضوع ويغدو واضحا لنا ما يستعصي اليوم على افهام الكثيرين .

وعلى أي حال ، فهذه الدراسة مجرد جهـــد اولي .

او هي بتعبير عسكري : مجرد فرقـــة استطلاع تتقدم الصفوف وتواجه الخطر . هي ليست كل القوة ولكنها طليعة تجس الارض وتمهدها وتفتح الطريق لمن بعدها .

وتبقى مسؤولية كل مثقف شجاع ان يقول كلمة . أن يقف في وجه الخطر . ان يدافع بشرف عما يتهدده قراصنة الحرية ومغتالوها .

فهل من يتقدم ؟

وملاحظة لا بد منها والتاكيد عليها :

ليس هدف هذا البحث ان يحرض على عداء اليهودية او يعلن موقفا لا ساميا . فنحن نحترم الاديان كلها ونضمـــر الخير للناس جميعـــا بلا تفريق . واللاسامية في جوهرها موقف أوروبي من اليهود وليست موقفا عربيا . بل الاصح ان يقال ان اللاسامية في بعض جوانبها موقف معاد لنا لاننا ساميون ايضا . ثم ان تاريخ اليهـــودية في بلادنا لا يسمح

بمثل هذا الاتهام . فقد عاش اليهود قبل اسرائيل والشيوعية بيننا مواطنين ، وكانت لهم حقوق المواطنة كلها في كل بلد عربي . ولم يسمع أحد من قبل ان اليهود في هذه البقعة من الارض قد عانوا الاضطهاد أو واجهوا الكراهية او التمييز. ولم يفجر المشكــلة سوى قيام اسرائيل والهجرة اليهودية المستمرة اليها في مكان الهجرة العربية المستمرة منهــا . شعب مكان شعب . ذلك هو جوهر المأساة .

وليس لهذا الكتاب من هــدف سوى توضيح الاخطار التي يواجهها شعبنا ، وهي اخطار تتجــاوز مشكلة فلسطين ذاتها الى ما هو أبعد وأدهى .

انه مجرد صوت يعلن موقفا مدافعا عن النفس . مجرد احتجاج على أن تمضي المؤامرة في طريقهــا بلا حدود ، ولا مقاومة ولا اعتراض .

وأنا بعد راض عن موقفي هذا كل الرضى ، مؤمن به اشد الايمان ، مصمم عليه أعظم التصميم .

وللقارىء ما يشاء . كل ما أطلبه هو أن يقرأني بغير موقف مسبق وبغير حكم مسبق . أن يقرأ بعقل مفتوح للرأي ونقيضه ، فليس كالانفتاح ما يقود الى المعرفة ويوصل الى الحقيقة ويلجم الهوى والغرض .

نهاد الغادري

« ان كارل ماركس حفيد الحاخام مردخاي ماركس كان في روحه وفي اجتهاده وعمله ونشاطه ، وفي كل ما قام به وأعدّ له ، فكرا واسلوبا ، اشد اخلاصا لاسرائيل من الكثيرين ممّن يتشدقون اليوم بأدوارهم في مولد الدولة اليهودية » .

الحاخام لويز برونس

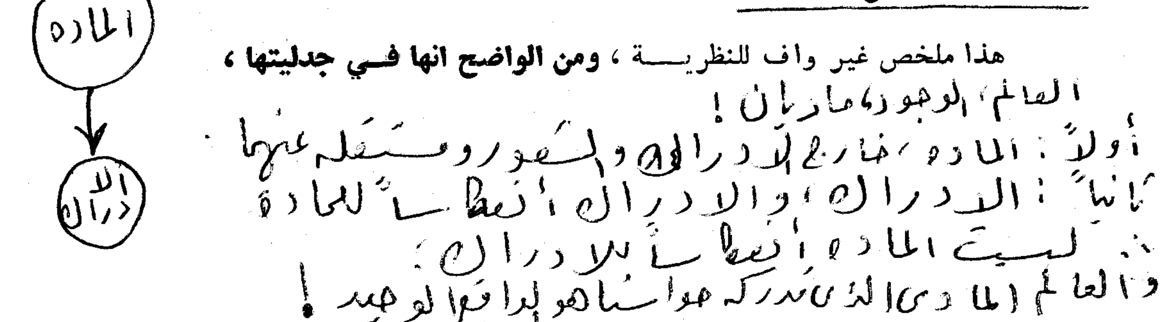
الحاخام لويز برونس

مَاركس اليهُودي
وَالمسْألة اليهُوديَّة ...

كارل ماركس ، هو فيلسوف الشيوعية الاول وصاحب نظريتها المعروفة بالمادية الديالكتيكية ، أي الجدلية . وتقوم النظرية فـي جدليتها على أساس من الايمان بأن الطبيعة ليست تراكما عرضيـا للاشياء ، أو حوادث منفصلا بعضها عن البعض الآخر ، وليست كـذلك حالة سكون وجمـود ، ولا حركة نمو بسيطة . وانما هي كل متماسك واحد مرتبط عضويا ، وفي حالة تغير وتجدد مستمرين ، تتراكم فيها التغيرات الكميـــة ببطء ثم تؤدي الى تغير ظـاهر وأساسي . ولا يتم التغير تدريجيـا ، بل فجأة ، وبقفزات سريعة . وليس التغير ممكنا بل هو محتـــوم وضرورة لا مندوحة عنها . وذلك ان اشياء الطبيعة وحـوادثها تحتوي متضادات داخليـة ذات جانبيـن : سلبي وايجابي ، ومنها عناصر تتطور كما ان فيها عناصر تضمحل . وفي نضال هذه المتضادات تكمن حقيقة التطور وقانونه الاساسي .

وتؤمن النظرية في ماديتها ، بأن العالم مادي والوجود مادي . وليست حوادثه سوى مظاهر مختلفة للمادة المتحركة المحكومـة هي الاخرى بقوانين ثابتة . وتوجد المادة أولا ، وخارج الادراك أو الشعور ومستقلة عنهما . في حين ان الادراك يجيء ثانيـا ، وانعكاسا للمـــادة . فليست المادة انعكاسا للادراك بل العكس . والفكر نفسه نتاج المادة ، والعـالم المادي الذي تدركه حواسنا هو الواقع الوحيد .

هذا ملخص غير واف للنظريـــة ، **ومن الواضح انها فـي جدليتها ،**



الاديان، الغيب، الله
أشياء من صنع الانسان

ومادينها تنكر الاديان ، والغيب ، والله ، وتعتقد ان هذه كلها أشياء من صنع الانسان . وبالتالي فهي تقف منها موقف العداء وتحاربها .

ليس هذا موضوعنا ، وانما هو استطراد بسيط كان ضروريا في التمهيد للحديث عن ماركس والمسألة اليهودية .

ولد ماركس عام ١٨١٨ وتوفي عام ١٨٨٢ . أبوه يهودي وجده الحاخام مردخاي ، وقد تنصر أبوه عام ١٨٢٤ ــ بعد مولد ماركس ــ هربا من مطاردة المجتمع له بسبب يهوديته ــ اللاسامية ــ ، ولكنه ظل يحمل في أعماقه موقف اليهودية من الآخرين . وقد تأثر كارل ماركس كما يتأثر كل طفل ببيئته الخاصة ، فحمل الحقد لمجتمعه ، وعبّر فيما بعد بالشيوعية عن يهوديته .

فمن الواضح ان اليهودية تعاني ، أصلا ، من عقدة الاضطهاد ، وتحمل أحقادا لا حد لها ضد كل المجتمعات الاخرى ، وبخاصة ضد المجتمعات المسيحية والاسلامية حيث هزمت اليهودية معهما في جميع معاركها التاريخية .

ولقد ساعد الفكر اليهودي ، ونمط المعيشة الخاص باليهود كطائفة في كل بلد حلّت به ، على نشوء هذه العقدة ، ونموها ، وايجاد ظروفها ومبرراتها .

فمن البداية ، وقبل أن يكون تجميع اليهود في أحياء خاصة بهم في اوربا ــ وهو ما يطلقون عليه اسم الغيتو ــ عملا اجباريا ، كان اليهود يتجمعون وبمحض ارادتهم في أحيائهم الخاصة بهم ، ويمتنعون عن الاندماج في المجتمعات الاخرى بسبب ايمانهم بالتفوق من نحو ، والخوف من أن تبتلعهم المسيحية في أوربا من نحو آخر .

تقول موسوعة فالنتاين اليهودية (١) ، في تعريف الغيتو ، اي الحي اليهودي :

« مهما يكن من أمر فقد أصبحت هذه الكلمة تطلق عموما على الحي اليهودي . ففي التاريخ القديم كان اليهود يحتلون طوعا وبملء حريتهم أحياء

---

(١) موسوعة فالنتاين اليهودية . ص ٥٨٩ . طبعة ٩٣٨ . لندن .

لقد عبر كارل ماركس عن يهوديته بالشيوعية
الغيتو = الحي اليهودي

خاصة . وفي القرون الوسطى وجدت الاحياء والشوارع اليهودية ــ ابتداء من أواخر القرن الحادي عشر ــ ولم يكن الدافع الى تكتلهم دينيا أو اجتماعيا كما كان فيما مضى ، بل ان التجارة هي التي حملتهم على الاقامة بالقرب من الاسواق ، والخطر جعلهم ينشدون حماية الامير الحاكم الـذي كان يرغب في الوقت نفسه في أن يكونوا مجتمعين معا لتسهيل مهمة جمع الضرائب . ولم يتحول الحي اليهودي الى « غيتو » اجباري الا في القرن الثالث عشر . ومع ان حصر اليهود في الغيتو لم يكن مقصودا ، فقد كان له بالنسبـة لهم افضل النتائج ، اذ هو حفظ الشعور الجماعي والثقافة اليهودية التقليدية » .

« وكان هنالك ، على الغالب ، سلطات معترف بها رسميا بين المجتمعات اليهودية في أوربا في القرون الوسطى ، لتنظيم شؤونهم الخاصة ، وللاتصال بالحكومة المدنية كهيئة موحدة . وحتى لو لم يكن لليهود دافع غير التقيـد بمقتضيات دينهم ، فانهم كانوا مضطرين في كل مكان الى انشاء مجتمعات خاصة بهم ليتسنى لهم تنظيم المؤسسات الدينية ، والتربوية ، والخيرية . وكانت لهم محاكم خاصة بسبب انه كان ينتظر من المدّعين اليهود أن يطيعوا قانون التلمود المدني » .

ولقد أدى تجمع اليهود أو تجميعهم على مدى مئات السنين ، ونظرتهم الخاصة الى النفس والآخرين ، وايمانهم بأنهـم شعب الله المختار ، وكـون اليهودية الديانة الوحيدة التي لا تشكل مجتمعا موحدا في دولة ، الى عرقية من نوع فريد . فاليهود المؤمنون بتفوقهم وبأنهم الشعب المختار هم أقلية في جميع المجتمعات . وككل أقلية محدودة تشعر بالحاجـة الى أن تكسر من حولها كل ما قد تحيطها به الاكثرية من أطواق اجتماعيـة . وهكذا شعرت اليهودية ــ جزئيا ــ بالحاجة الى الاندماج في المجتمعات البشرية هربا من النظرة الخاصة والمعاملة الخاصة ، دون أن تكون مستعدة في مقابل ذلك الى التنازل عن موقفها الخاص وحياتها الخاصة .

بمعنى آخر : **شعرت اليهودية بالحاجة الى أن تفتح المجتمعات البشرية من حولها دون أن تنفتح هي عليها** . كانت تريد اندماجا يمنحهـا حرية أكبر ودون أن تنصهر !

وقد عبر فيما بعد « ناحوم غولدمان » رئيس المنظمة الصهيونية العالمية

عن هذه الحقيقة بقوله : ((**ان الغرض من الدولة اليهودية هو المحافظة على الشعب اليهودي ، وهو أمر أوقعه التحرير والاستيعاب في خطر**)) (١) .

ولئن لم يكن بين أيدينا من الوثائق اليوم ما يكفي لندين كارل ماركس بأنه ابتدع النظرية الشيوعية تعبيرا عن يهوديته ، وليضعها في اطار مختلف ومقبول ، فان النظرية الشيوعية نفسها تقدم لنا هذا الدليل ، كما يقدمه فيما بعد تطور الحركة الشيوعية ذاته . وليس ضروريا أن يكون ماركس قد وعى هذه الحقيقة وأرادها — وقد يكون واعيا لها — يكفي أن يكون ماركس بحكم انه يهودي الاصل قد عاش في بيئة خاصة حمّلته النظرة اليهودية والمشاعر اليهودية ليعبر عنهما فيما بعد قولا وعملا . ولن يستطيع الانسان أن يتحرر مما تلقنه اياه بيئته الاولى ونشأته ، وسيظل أسير الكثير من تلك البدايات سلبا وايجابا ، بوعي وبغير وعي .

وهكذا كان ماركس .

فقد عبر بالصراع الطبقي عن الحقد اليهودي ضد الآخرين . ولم ير بين العامل ورب العمل سوى الكراهية والبغضاء والسرقة والاستغلال ، متجاوزا كل أشكال ومعاني العلاقات الانسانية الاخرى ومتمردا عليها .

رب العمل ضد العامل ، والعامل ضد رب العمل . العمال طبقة اجتماعية متميزة وأرباب العمل طبقة أخرى . **فالطبقة هنا في تفكير ماركس نوع من الغيتو ، من الحي اليهودي الخاص** . بمعنى أوضح : اليهودية في مواجهة غيرها . أي الحقد اليهودي في مواجهة الاضطهاد .

ومن حاجة اليهودية الى الاندماج في المجتمعات البشرية ، أي الى كسر الطوق من حولها ، عبر ماركس بالاممية أي بالاخاء الانساني بين ما أسماه الطبقات المستغلّة . وهكذا وفق ماركس ، شيوعيا ، بين نظرة اليهودية الحاقد وبين حاجتها الى الخروج من العزلة .

---

(١) يقصد ((غولدمان)) اعتراف بسمارك بتحرير اليهود عام ١٨٧١ ومحاولة استيعابهم في المجتمعات البشرية التي وجدوا فيها ، أي جعلهم مواطنين بغير انفصال روحي .

الأممية الماركسية الإنسانية .

كان الصراع الطبقي هو التعبير عن الحقد اليهودي والكراهية المتاصلة، كما كانت الاممية هي التعبير عن الحاجة الـى كسر أطواق الحصار والخروج من الغيتو الاجباري ، مع البقاء فيه اختيارا !!

ذلك هو جوهر الماركسية ، أي الشيوعية .

وبقية نظرية ماركس لم تكن خالصة له . فقد تأثر الى حد بعيد بعدد من الفلاسفة الالمان . أخذ من هيغل جدليته ـ أي الديالكتيك ـ فقد درس ماركس في بون أولا ثم في جامعة برلين حيث كانت الغلبة والسيطرة لافكار هيغل . والتحق ماركس بالمدرسة الهيغيلية لفترة من الزمن ، وكان له فيها رفاق ، ثم ابتعد عنها محتفظا على حد تعبيره بالنواة العقلية لمذهب هيغل ، طارحا منه القشرة المثالية .

ثم أخذ من فيورباخ (١) ماديتـــه ، وسافر الى باريس فالتقى فيهـا ببرودون الاشتراكي الفرنسي ، وتقلّب في العمل وفي اتجاهه الفكري طويلا قبل أن يستقر على نظريته مع زميله أنغلز ، ويصـدرا معا البيان الشيوعي عام ١٨٤٨ ثم يضع ماركس فيما بعد كتابه المعروف « رأس المال » .

على ان في حياة ماركس زاوية لم يلق البحث عليها الضوء الا مؤخرا. فهو قد اتصـل عام ١٨٦٢ بفيلسوف الصهيونية الاول وواضـع أساسها النظري : **موشيه هيس** وعن هذا أخذ هرتزل . وقد بلغ من اعجاب ماركس وتأثره به أن كتب عنه فيما بعد يقول : « **لقد اتخذت هذا العبقري لي مثالا وقدوة ، لما يتحلى به من دقة التفكير واتفاق آرائه مع عقيدتي وما أومن به. انه رجل نضالي الفكر والسلوك** » .

وموشيه هيس هذا هو صاحب كتاب الدولة اليهودية ، ولم يزد هرتزل على أفكاره سوى أن بسّطها وأقام لها تنظيمها السياسي فيما يعرف بالحركة الصهيونية . تماما كما كان لينين من ماركس . فماركس صاحب النظرية ،

---

(١) فيورباخ فيلسوف المانـــي ولد عام ١٨٠٤ وتوفي عام ١٨٧٢ وهو الـــذي أزاح الهيغيلية المثالية عن مقام السيطرة والسيادة ليحل محلها في الفكر الالماني ماديته .

ولينين منفذها وموضح عويصها أي مبسطها ، بالاضافة الى ما زاد عليها . وكذلك هرتزل .

وكان الاساس في تفكير هيس معلم ماركس ، هو : ((**ان ما لا يستطيع اليهودي الفرد أن يحصل عليه بسبب يهوديته فان الشعب اليهودي يستطيع الحصول عليه بسبب قوميته**)) . وقد حذر هيس الشعوب الاخرى من انه سيكون هنالك شعب آخر في النضال القادم ، هو الشعب اليهودي ، وسيخاصم هذا الشعب من يختار ويصادق من يختار ، وهو قادر على أن يضر وينفع .

ومما يلفت النظر الى ان ماركس قد عبّر بالشيوعية عن يهوديته ما كتبه فيما بعد الحاخام لويز برونس ، وهو أحد أقطاب الصهيونية الحديثة قال :

((ان كارل ماركس حفيد الحاخام مردخاي ماركس ، كان في روحه واجتهاده وعمله ونشاطه وكل ما قام به وأعد له أشد اخلاصا لاسرائيل من الكثيرين ممن يتشدقون اليوم بدورهم في مولد الدولة اليهودية)) .

فاذا علمنا ان لليهود فكرا سريا متوارثا ، وعقيدة باطنية قلما يفصحون عنها ، جاز لنا أن نعتقد **بأن شيوعية ماركس كانت تعبيرا عن المسالة اليهودية وحلا لها** ، فهي مرتبطة بها منذ البدء : منها أخذ الحقد ، ولها أعطى الانقسام والعنف والامية . ولم يوفر لافكاره شروط الانتشار الواسع ثم الانتصار في أرض المشكلة : الامبراطورية الروسية ، سوى اليهود والعناصر المنحازة لهم في الوسيلة والغاية . وسنجد فيما يلي من البحث عرضا ينتهي بنا الى قيام اسرائيل ودور الاتحاد السوفياتي معتنق أفكار ماركس ومبادئه في قيامها .

أرض المشكلة ، الامبراطورية الروسية

الشُيوعيَّة ...
والمسألة اليهوديَّة !

ليس يفيدنا كثيرا أن نعود طويـلا الى الوراء لنحدد تاريخ الوجود اليهودي في روسيا وأسباب تجمع اليهود فيها ، فذلك ليس موضوع البحث ولن نذكر منه الا ما اتصل به وأعاننا على فهم أوضح للمناخ الذي انتشرت فيه الشيوعية وحققت انتصارها الاول .

وقد رأينا ، فيما سبق ، ان ماركس فيلسوف الشيوعية ومؤلف نظريتها المادية كان يهوديا ، وان معلمه هيس يهودي أيضا ، وهو واضع كتاب الدولة اليهودية قبل هرتزل . وعلى يد هذا الفيلسوف الالماني تتلمذ مؤسسا الحركتين الصهيونية والشيوعية : هرتزل المجري وماركس الالماني .

تعود جذور المسألة اليهودية في أوروبا الى الموقف المتبادل بينها وبين المسيحية لاسباب دينية محضة ما لبثت أن ولّدت ظروفا اجتماعية واقتصادية وثقافية ، وأدت بالتالي الى نشوء الغيتو
ـ الحي اليهودي الخاص ـ الذي جاء **مزيجا من القسر والاختيار في وقت واحد** . فهو اختيار بمعنى حرص اليهود على المحافظة على وجودهم الخاص في المجتمعات المسيحية دون أن تستوعبهم هذه المجتمعات ، وهو قسر بمعنى خوف المجتمعات المسيحية من أن يؤدي اندماج اليهود وحريتهم الى استيلائهم على اقتصاد البلاد بسبب براعتهم في التجارة وشؤون المال . ويعتقد « هـ. ج. ولز » في كتابه خلاصة التاريخ ان تقاليد اليهود المالية والتجارية ليسا سوى تراث فينيقي .

على ان بداية المسألة اليهودية فيما خص بحثنا هـذا هو القرن الرابع عشر ، حيث استوطن اليهود بولونيا بدعوة مـن مليكها « كازيمير الاول » الذي كان متأثرا بنفوذهم . وقد دلت النقوش المكتشفة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ ١٨٧٢ م ـ على ان اليهود تولـوا فيما بين ١١٧٣ و ١٢٠٥ سك النقود في بولونيا الكبرى والصغرى ، وان هـذه النقود قد حملت الكتابات العبرية والبولونية معا .

وقد أدى تجمع اليهود في بولونيا الى أن تقع تحت نفوذهم الاقتصادي في هذه المرحلة . ثم حدث عام ١٧٩٣ على عهد كاترين الثانية أن اقتسمت بروسيا وروسيا فيما بينهما بولونيا ، فكان من نصيب روسيا القسم الاعظم من يهود بولونيا ـ في الشطر الشرقي منها ـ وبذلك اتصل التاريخ الروسي بالتاريخ اليهودي وأدى ذلك فيما بعـد الى انهيار الامبراطوريـة الروسية المسيحية ، وقيام الامبراطورية الشيوعية ذات المحتوى اليهودي محلها !

ويلاحظ هنا ان الدولتين اللتين ورثتا اليهودية **روسيـا وبروسيـا ، هما اللتان حملتا المشكلة اليهودية ودفعتا ثمنها فيما بعـد** . فكارل ماركس يهودي المـاني وهو فيلسوف الشيوعية الاول ، ولينيـن روسي يهودي الاصل (١) . وفي روسيا حققت الشيوعيـة ـ أي اليهودية ـ انتصارها الاول بقيام النظام الجديد عام ١٩١٧ ، وفي ألمانيا حققت اليهودية انتصارها الثاني فمزقتها وجزأت وحدتها الحرب العالمية الثانية . وبقطع النظر عـن خطأ النازية وجرائمها فقد كانت ألمانيا ـ وما تزال ـ ضحية اليهودية سلبا وايجابا ، معها وضدها !

وفي أواخر القـرن الثامن عشر ـ فترة تقسيم بولونيـا ـ أصدرت الحكومة الروسية قرارا يحـدد لليهود أماكن اقامتهم في روسيا الكبـرى

---

(١) كان الاعتقاد السائد هو ان لينين وحده من بين المجموعة الماركسية التي قادت الثورة لم يكن يهوديا ، وان تكن زوجته يهودية . غير ان دراسة حـديثة صدرت عام ١٩٦٥ لكاتب يهودي أمريكي عاصر لينين ورافقه هو « لويس فيشر » تؤكد ان لينين يهودي الاصل . وهو ما سبق وذهبت اليه من قبل مجلة فرنسا القديمة عام ١٩١٨ ، وصحيفـة « الساعة » الباريسية ذات الاتجاه الراديكالي الاشتراكي عـام ١٩١٧ ، وقالت الاخيرة ان اسم لينين اليهودي هو « زيدر بلوم » .

ويمنحهم حرية ادارة شؤونهم المحلية بما فيهـا فرض الضرائب على اليهود واقامة محاكم خاصة بهم . ولم يسمح لهم بالخروج من هـذه الاماكن التي تشبه الى حد كبير مستعمرات خاصـة هي تجسيد لفكرة الحي اليهودي الخاص ـ الغيتو ـ الا باذن خاص من السلطة وبقيود كانت هي ذاتها تعبيرا عن القسر والاختيار . **وقد امتدت هذه المستعمرات من شبه جزيرة القـرم الى بحر البلطيق ، وفيها وجدت الشيوعية والصهيونية ارضهما الخصبـة وشهدت نويات الحركتين اليهوديتين ، والى هذه المناطق تعود أصول اليهود المقيمين في أمريكا اليوم حيث الصهيونية قوة مؤثرة ، وأصول اليهود الذين اقاموا دولة اسرائيل ، وأصول اليهود الذين أنشأوا جميع الحركات الشيوعية الاولى في الشرق العربي وبغير استثناء .**

وقد حظى اليهود في روسيا ، في احـدى مراحل حياتهم ، بقيصر روسي هو **اسكندر الاول ـ ١٧٧٧ ـ ١٨٢٥** ـ منحهـم ، رغبة منه فـي استيعابهم ، الكثير من الحقوق ودون ان يفرض عليهم شيئا . وقد استطاع اليهود عـلى عهد هذا القيصر تحقيق قـدر من السيطرة على الإقتصاد الروسي . فلما جاء خلفه **نقولا الاول ـ ١٧٩٦ ـ ١٨٥٥** ـ أقدم ، وبدافع من مخاوفه ، على الغاء الانظمة الخاصة باليهود وحرَّم عليهم ارتداء لباسهم التقليدي ما عدا المناسبات الخاصة وفرض الخدمة العسكرية عليهم للمرة الاولـى .

ومن الغريب ان ما رمى اليه القيصر نقولا الاول كان نفس ما رمى اليه اسكندر الاول على اختلاف الاسلوب بينهما . فقد استهدف نقولا الاول من تدابيره دمج اليهود في المجتمع الروسي وجعلهم مواطنين بدلا من ان يكونوا فئة مستقلة ذات وضع خاص مميَّز فيه ومستقل عنه .

غير ان سياسة « الترويس » هذه ادت على المدى البعيد الى غير مـا هدف اليه نقولا الاول . تماما كما ادت من قبل تدابير سلفه اسكندر الاول الى غير ما اراد بمنحهم حق العمل وحرية الحياة .

فقد ادت سياسة نقولا الاول الى فتح ابـواب المدارس أمام اليهـود **ثم فرض عليهم التعليم الاجباري فاتاح لهم هذا ان يصبحوا فيما بعد النخبة الروسية المفكرة وان يجمعوا الى السيطرة الاقتصادية السيطرة الثقافية ايضا.**

كانت اجبارية التعليم لليهود أخطر حدث في تاريخ روسيا ، وربما كان أخطر حدث شهده القرن التاسع عشر . فهي قد أتاحت لليهود ، من حيث أرادت القيصرية بالتعليم أن تدمجهم في المجتمع الروسي ، أن يرتفعوا كثيرا فوق هذا المجتمع حيث الامية سائدة وأن يمتلكوا كل أسباب التفوق وبالتالي قيادة الثورة .

وما ان أطل عهد **اسكندر الثاني** حتى كان اليهود قد بلغوا ذروة السيطرة في روسيا ماليا ومهنيا . ففي يدهم كانت جميع أعمال الصيرفة ، وهم سادة المهن المختلفة ومعظم المرافق الصناعية والتجارية .

وتابع اسكندر الثاني سياسة « الترويس » لليهود فسمح لخريجي الجامعات منهم بأن يشغلوا المناصب الحكومية وأن يقيموا خارج مستعمراتهم الخاصة . ثم اتسع القرار فشمل فئات أخرى من اليهود سمح لهم بالاقامة حيث يختارون من أرجاء الامبراطورية . **واستمرت هذه السياسة الروسية المنفتحة على اليهود بغرض استيعابهم روسيا ، حتى كانت محاولة اغتيال اسكندر الثاني عام ١٨٦٦ قادت الى تبديل سياسته العامة واتجه بعدها الى التشدد وشمل هذا اليهود فيمن شمل من فئات المجتمع الروسي .**

كان ذلك بداية التحول . فقد نقم اليهود على القيصر وأسسوا جمعية سرية ارهابية هي جمعية **« نارودنايا فوليا » ـ أي ارادة الشعب ـ وظلوا يأتمرون به حتى عام ١٨٨١ حيث نجحت مؤامرة اغتياله في آذار من ذلك العام ، وكان رؤوس المؤامرة جميعا من اليهود وفي مقدمتهم اليهودية « هيسيا هيلفمان »** . وقد أعدم في هذه المؤامرة شقيق لينين الاكبر الكسندر أوليانوف وكان لاعدامه اثره النفسي البعيد في حياة لينين وفي اتجاهه الى الثورة .

ادى مصرع اسكندر الثاني الى رد فعل فوري معاد لليهود ، واتخذ رد الفعل **أشكالا متعددة** : فمن الطرد والاعادة الى المستعمرات ، الى القتل والمذابح ، الى قوانين أيار الاقتصادية التي رمت الى الحد من سيطرة اليهود على الاقتصاد الوطني ... الخ .

وحتى نلم بالكثير من الجو الذي ساد تلك المرحلة يجب أن نعود الى

المرسوم الذي أصدره اسكندر الثالث ممهدا به لقوانين أيار . يقول المرسوم في عرض أسباب هذه القوانين :

« وخلال السنوات العشرين الماضية استولى اليهود تدريجيا على مختلف فروع التجارة والعمل وعلى جزء كبير من الاراضي اما بشرائها أو بحراثتها . وفيما عدا بعض الحالات لم يحصر اليهود اهتمامهم كهيئة موحدة لانماء ثروة البلاد أو افادتها بل لسلب سكانها ولا سيما الفقراء منهم بحيلهم وخداعهم . وقد عبر الشعب في أعمال العنف والسرقة عن احتجاجه ضد هذا السلوك . وفيما الحكومة تبذل قصارى جهدها للقضاء على الاضطرابات وانقاذ اليهود من الظلم والقتل فهي ترى من ناحية أخرى ان الواجب والعدل يحتمان عليها أن تعتمد بسرعة تدابير حازمة لوضع حد لما يناله السكان من اضطهاد اليهود ولتحرير البلاد من غدرهم واختلاساتهم وهما سبب الاضطرابات كما هو معروف ... الخ . » .

بمصرع اسكندر الثاني وفي جو ردود الفعل هذه ، والتدابير المختلفة، بدات الحركتان الشيوعية والصهيونية تنتشران في صفوف اليهود وأجوائهم الخاصة . فكانت الصهيونية تعبيرا عن طموح اليهود الى التجمع في دولة خاصة بهم والخلاص من اضطهاد المجتمعات المسيحية لهم ، كما كانت الشيوعية تعبيرا آخر عن طموح اليهود الى الانتقام وتدمير القيصرية واقامة دولة جديدة تكون لهم فيها الكلمة العليا : دولة تستوعبهم من أعلى لا من اسفل . في ذروة السلطة وليس في حياة المجتمع !!

وكان فيما ادت اليه ردود الفعل الروسية ضد اليهود في أعقاب مصرع اسكندر الثاني أن خرجت جماعة منهم بلغ عددها ثلاثة آلاف يهودي تقريبا الى فلسطين حيث اسست فيها بالقرب من يافا أولى المستعمرات اليهودية مبتدئة بها الاتجاه الصهيوني وهو ما سيجيء معنا الحديث عنه بتفصيل أوفي فيما يلي من البحث .

وما أن أطل القرن العشرون حتى كانت روسيا مسرحا لنشاط ثوري أسسه اليهود وأشرفوا عليه ، وتوزعوا فيما بين تنظيماته المتعددة — والمتضاربة أحيانا — ، وقد استطاعت تلك التنظيمات السرية الارهابية فيما بين أعوام ١٩٠١ — ١٩٠٦ أن تغتال عددا من الزعماء بينهم عم القيصر .

ونظم سلسلة الاغتيالات وأعمال التنفيذ اليهوديان : **« غرشوني » و « يفنو آزيف »** . وقد أعدم هذا الاخير عام ١٩٠٩ بعد أن كان نظم مؤامرة أخرى لاغتيال القيصر نقولا الثاني آخر القياصرة الروس .

وفي عام ١٩٠٥ قامت أول ثورة شيوعية نظّمها اليهود واستطاع فيها **« تروتسكي »** ــ وهو يهودي وأحد أعلام الحركة الشيوعية وأبرز عناصرها الفكرية بعد لينين ــ أن يصل الى رئاسة سوفيات بطرسبرغ الثوري ، وحين القي عليه القبض حل محله رفيقه اليهودي **« بارفوس »** ونظم عددا من الاضرابات ما لبثت أن أخمدت بعنف في ٣٠ كانون الاول .

كان اليهود الروس ــ كما أسلفنا ــ قد توزعوا في عدد من المنظمات السرية ذات الطابع الارهابي والثوري . **وقد وقفوا في وجه جميع الاصلاحات التي أعقبت ثورة ١٩٠٥ وقادهــا القيصر نقولا الثاني واعتبــروا التدابير الاصلاحية خطرا يتهدد برنامجهم الثوري ، فحاربوا الاصلاح بعنف وقسوة .**
وفي عام ١٩١١ أقدموا على اغتيال « ستولبين » وزير القيصر الاول ــ رئيس الوزراء ــ والذي اشتهر ببرنامجه الاصلاحي الواسع . فقد أعطى هــذا المصلح الكبير والموصوم بالرجعية عنــد الشيوعيين ، دستورا لروسيا ، ومنح الفلاح الارض ، غير انه ما لبث أن سقط صريعا في مدينة « كييف » على يد المحامي اليهودي **« موردكاي بوغروف »** . وقــد بلغ من عمــق اصلاحات « ستولبين » ومن تصميم الشيوعيــة اليهودية على اشعال نــار الثورة لهدم المجتمع الروسي أن اعتبر لينين الثورة في سباق مع اصلاحات « ستولبين » وانه اذا ما تأجلت الثورة وأتيح لهــذه الاصلاحات أن تعطي نتاجها فسيستحيل عــلى الشيوعيين أن ينتصروا . وكانت المفاجأة الكبرى للينين بعد الثورة هي انه عندما دعا الى تمليك الارض لكسب الفلاحين الى جانب الثورة وجد أن معظمهم قد امتلك الارض فعلا بموجب اصلاحات ما قبل الثورة التي قادها ستولبين ورعاها القيصر !

قاد القيصر نقولا الثاني ثورة عام ١٩٠٥ الاصلاحية فاعتبر اليهود ذلك تهديداً لبرامجهم التي تهدف الى الاطاحة بالنظام القيصري ، فحاربوا الاصلاح بعنف وقسوة . وفي ١٩١١ اغتالوا ستولبين وزير القيصر الاول ورئيس الوزراء حيث اتهمه الشيوعيون بالرجعية لبرامجه الاصلاحية !

(فرقة تحرير العمل)

الفرقة الماركسية الاولى أنشأها في جنيف بليخانوف عام ١٨٨٢ وعاونه ثلاثة من اليهود : ١) زاسوليتش ٢) ليبودوفيتش ٣) أكسلرود ومهمة الفرقة : نشر آراء ماركس

الحلقات الماركسيّة الأولى والتنظيم الشيوعي ...

لنعد الآن خطوة الى الوراء : الى التنظيمات الشيوعية الاولى .

كانت الفرقة الماركسية الاولى التي نشأت هي فرقة « تحرير العمل » نظمها في جنيف بسويسرا **بليخانوف** عام ١٨٨٣ **وعاونه ثلاثة من اليهود هم : زاتسولتش . ليبودويتش . أكسلرود** . وكانتمهمة الفرقة نشر آراء ماركس وقد حققت بما توفر لها من عون التنظيمات اليهودية الخاصة في داخل روسيا وخارجها ، بعض مهمتها ، واعتبر لينين ثم ستالين من بعده ان ما حققته هذه الفرقة الماركسية كان النواة الاولى وانها أدت مهمة خطيرة جدا. ووصف لينين كتاب بليخانوف : « دراسة حول تطور المفهوم الوحداني للتاريخ » المنشور عام ١٨٩٠ بأنه ثقف جيلا كاملا من الماركسيين الروس » .

الا ان مهمة هذه الفرقة كانت ــ على حد تعبير لينين ــ هي : تأسيس الاشتراكية نظريا . أما الخطوة التالية في دمج الماركسية بحركة العمال فقد ظلت تنتظر رجلها الاقدر : لينين ، اليهودي الاصل (١) .

ولد لينين في سيمبرسك (٢) عام ١٨٧٠ . والتحق بجامعة قازان

---

(١) اسمه الكامل : فلاديمير ايليتش اوليانوف .
(٢) اسمها الجديد : أوليانوفسك .

عام ١٨٨٧ ، وقد انضوى في قازان تحت لواء حلقة ماركسية أسسها اليهودي **فيدوتسايف** .

وفي عام ١٨٩٣ ذهب لينين الى بطرسبرغ فأقام فيها ، وانشأ حلقة ماركسية انضم اليها عدد واسع من اليهود ، ثم قام بمهمة توحيد الحلقات الماركسية في المدينة ــ وكان يزيد عددها على العشرين ــ فجمعها في « اتحاد النضال لتحرير الطبقة العاملة » . وظل الاتحاد يعمل بقيادة لينين وفي اتجاه آرائه حتى اعتقل عام ١٨٩٥ ، ثم ما لبث أن تبدل اتجاه الاتحاد بدخول عناصر جديدة فيه تولت الدعوة الى قصر نضال العمال على الجانب الاقتصادي ، وترك السياسة للبورجوازية الحرة تتولى قيادتها وتوجيهها . وقد سمي هؤلاء فيما بعد « الاقتصاديين » وحاربهم لينين بقسوة .

بعد عامين من اعتقال لينين ، **وفي تشرين الاول من عام ١٨٩٧ ، كانت المستعمرات اليهودية في الولايات الغربية من روسيا تشهد مولد حزب « البوند » ، أي الاتحاد العام للحزب الاشتراكي الديموقراطي اليهودي .** ثم ما لبثت هذه الاحزاب والمنظمات والاتحادات العمالية والاشتراكية أن التقت عام ١٨٩٨ في أول محاولة لها للتجمع وعقدت جميعا مؤتمرها الاول في مدينة منسك في آذار ، وسمي : المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي في روسيا « ج.ع.ا.د.ر. » وقد أعلن في قراراته تأليف حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي في روسيا . ولم يحضر لينين هذا المؤتمر بسبب نفيه الى سيبيريا .

وفي أوائل عام ١٩٠٠ عاد لينين من منفاه وقد اختمرت في ذهنه كما اختمر في ذهن العناصر الماركسية الاخرى موضوع انشاء صحيفة تنطق بلسان الحركات الماركسية وتعمل على توحيدها ، وقد غادر روسيا لهذه الغاية والتقى في الخارج ببليخانوف ورفاقه حيث اتفق معهم على اصدار صحيفة « **ايسكرا** » أي الشرارة . وتألف مجلس ادارة الصحيفة من : **بليخانوف ، وزاتسوليتش ، واكسلرود ، ولينين ، وبوتريسوف ، ومارتوف . ثم انضم اليهم عام ١٩٠٢ تروتسكي . وقامت بأمانة السر كروبسكايا زوجة لينين .**

وبذلك ضم مجلس ادارة تحرير الصحيفة الشيوعية الاولى التي تولت

بليخانوف، غير يهودي!

نشر وتنظيم وتوحيد الماركسية فيروسيا سبعة أعضاء بينهم أربعة يهود هم : **زاتسوليتش . أكسلرود . مارتوف . تروتسكي . وخامس يهودي الاصل هو : لينين . وأمينة سر يهودية هي : كروبسكايا زوجة لينين** . ولم يبق من أعضـــاء مجلس التحرير سوى اثنيـــن غير يهوديين هما : **بليخانوف . وبوتريسوف** .

وقد علق مؤسسو الصحيفة عليها أملا كبيرا فـي جمع الحزب فكريا وتوحيد المنظمات المحلية ، وكان لينين يقول : ان هذه الصحيفة لن تكـون أداة دعاية وتحريض جماعية فحسب بل هي أداة للتنظيم الجماعي أيضا .

وفي عام ١٩٠٣ انعقد في بروكسل عاصمـــة بلجيكا مؤتمر التوحيد الثاني بهدف جمع الحركات الماركسية كلها تحت لواء حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي الذي تأسس عام ١٨٩٨ ، ولم يحقق الوحـدة الحزبية تماما ، واقتصر أعضاء مؤتمره الاول على تسعة أعضاء .

المؤتمر الثاني ببروكسل عام ١٩٠٣

وقد حضر المؤتمر الثاني الجديد ستون عضـــوا ، بينهم سبعة عشر عضوا من غير اليهود ، وثلاثة وأربعين عضوا يهوديا . واشترك فيــه ممثلو حزب «البوند» أي الاتحاد العام للحزب الاشتراكي الديموقراطي اليهودي، وديموقراطيـــو روزا لوكسمبورغ الاشتراكيون وهي الاخرى يهـــودية .

ولم يتم المؤتمر انعقاده في بروكسل بسبب موقف الحكومة البلجيكية وابعادها بعض أعضائه ، فانتقل الى انكلترا . وفي هذا المؤتمر انشطر أنصار لينيــن الى شطرين : البولشفيك والمنشفيك . وكان الاولون بقيادة لينين اليهـودي الاصل ، والآخرون بقيادة مارتوف اليهودي الارهابي . وأيد الاتحاد اليهودي وأنصار روزا لوكسمبورغ مبدئيا مارتوف ، غير انهما في عام ١٩١٧ اندمجا في الحزب الشيوعي وأصبح الكل شيوعيين لينينيين !!

البلشفيك بقيادة لينين
المنشفيك بقيادة مارتوف

انتهى مؤتمر التوحيد الثاني الى انتصار لينين ، وأقر المؤتمر برنامجه ذا الحدين : الاقصى والادنى . **فاعتبر برنامج الحد الاقصى ان مهمة الحزب الكبرى الآتية هي الثـــورة الاشتراكية وقلب سلطـة الرأسماليين واقامة ديكتاتورية البروليتاريا . واعتبر برنامج الحد الادنى ان مهمة الحزب الآنيـة هي : قلب الاوتوقراطية القيصرية ، واقامة الجمهورية الديموقراطية وجعل**

ساعات العمل ثماني ساعات في اليوم ومحو آثار القنانة (١) في الريف ، وإعادة ما استلب كبار الملاك من أرض الى الفلاحين . وظلت هذه الاهداف برنامج الحزب في حديه الاقصى والادنى حتى المؤتمر الثامن المنعقد في آذار ١٩١٩ بعد الثورة .

بعد المؤتمر الثاني عام ١٩٠٣ عقد الحزب مؤتمرين آخرين : عام ١٩٠٥ – نيسان – في لندن وحضره ٢٤ مندوبا عن البلشفيك ولم يشترك به المنشفيك وقد هاجمهم المؤتمر الثالث ونعتهم بالانقساميين ، وعام ١٩٠٦ – نيسان أيضا – في ستوكهولم ، وقد سمي مؤتمر الوحدة وحضره ممثلون لجميع المنظمات الاشتراكية : حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي في روسيا ، حزب البوند – الاتحاد اليهودي – ، الحزب الاشتراكي الديموقراطي – البولوني – روزا لوكسمبورغ اليهودية ، المنظمة الاشتراكية الديموقراطية في ليتونيا .

وكان انعقاد مؤتمر الحزب الرابع في أعقاب هزيمة ثورة ١٩٠٥ ، تلك التي قادها اليهود ، ولعب فيها تروتسكي وبارفوس اليهوديان دورا خطيرا. غير انها ما لبثت أن أخمدت .

وفي عام ١٩٠٧ أيار – حزيران – انعقد في لندن مؤتمر الحزب الخامس والاخير قبل الثورة ، وحضره ١٠٥ مندوبين عن البلشفيك بزعامة لينين ، و ٩٧ من المنشفيك بزعامة مارتوف ، و ٤٤ من الديموقراطيين الاشتراكيين تتزعمهم روزا لوكسمبورغ ، و ٥٥ من الاتحاد اليهودي يتزعمهم رفائيل ابراموفيتش و م.١٠ ليبر – غولدمان ، و ٣٥ من الديموقراطيين الاشتراكيين الليتوانيين يتزعمهم دانيشفسكي – هرمان – ، وكانت قيادات هذه المنظمات جميعا لليهود : **لينين . مارتوف . روزا لوكسمبورغ . ابراموفيتش. ليبر. دانيشفسكي . وضم المؤتمر من أصل ٣٣٦ مندوبا ٢٢٠ يهوديا و ١١٦ من أصل غير يهودي !**

واعقب هذا المؤتمر اصدار صحيفتين : صحيفة « بروليتاريا » وتمثل

---

(١) **امتلاك الفلاح مع الارض .**

البلشفيك ويحررها **لينين وبروفنسكي وزينوفييف وكامينيف** وكلهم من اليهود ما عدا بروفنسكي . وصحيفة « غولوس سوسيال ديموكرات » ـ أي صوت الاشتراكي الديموقراطي ـ ويحررها **مارتوف** وبليخانوف **واكسلرود ودان ومارتينوف ـ بيكل ـ** ، وكلهم يهود ما عدا بليخانوف . ثم أصدر **تروتسكي** ـ اليهودي أيضا ! ـ في نفس العام ١٩٠٨ صحيفة « فيينا برافدا » ، **وهكذا كانت مصادر الفكر الشيوعي جميعا تسيطر عليها عناصر يهودية ، كما كانت المنظمات الماركسية كلها من صنع أيديها ، وتنظيمها وبقيادتها .**

وفي عام ١٩١٠ غدت صحيفة « الديموقراطية الاشتراكية » صحيفة الحزب العام واشترك في تحريرها لينين وزينوفييف من البلشفيك ومارتوف ودان من المنشفيك ، أما صحيفة تروتسكي « فيينا برافدا » فاعتبرت صحيفة الحزب الرسمية وانتدب الحزب كامينيف لمعاونته في تحريرها والاشراف عليها .

ومضت أعوام ١٩١١ ، ١٩١٢ ، ١٩١٣ ، حتى ١٩١٦ في التنظيم والدعوة والتهيئة والخلافات ، غير ان الثورة جاءت برغم كل ذلك مفاجئة للكل ، وأقرب من تصور وتقدير أكثر العناصر الماركسية تفاؤلا .

ففي عام ١٩١٧ ، ونتيجة ضعف النظام القيصري ، وتكاثر المؤامرات ضده ، والحرب المهلكة التي كان يخوضها على الجبهة الالمانية ، بدأت اضطرابات ٩ كانون الثاني في موسكو وظلت تنتشر وتستفحل وتتسع حتى بلغت حد الثورة في شباط ١٩١٧ . ولم تكن الثورة في بدايتها شيوعية ، بل ديموقراطية ذات اتجاه اصلاحي . وقد اتخذت الحكومة الموقتة برئاسة الامير لفوف ـ وقد انضم اليها **كيرنسكي** وهو يهودي أيضا ممثلا للاشتراكيين الديموقراطيين ـ بعض التدابير الاولية للتهدئة وفي ظنها انها تفعل ذلك لمصلحة روسيا ، فكانت النتيجة : الثورة . ولعل أخطر تلك التدابير هو قرارها باعادة جميع المنفيين في سيبيريا والسماح لمن كان يقيم في الخارج بالعودة . فماذا كانت النتيجة ؟

عاد لينين ـ في نيسان ١٩١٧ ـ من سويسرا عبر خطوط النار بطريق المانيا وبمعرفة السلطات الالمانية لتخريب المجهود الحربي الروسي مع رفاقه:

مارتوف ، رادك ، كامينيف ... الخ . وكانت عودة لينين بمفاوضات طويلة مع السلطات الالمانية قام بها اليهودي الدكتور « هلفاند » في ستوكهولم ، واليهودي « غرينتزكي » في كوبنهاغن .

وعاد من سيبيريا : ستالين ، سفردلوف ، زينوفييف ..

وعاد من نيويورك : تروتسكي مع مئات من الشيوعيين اليهود ..

وقد بلغ عدد اللاجئين الذين سمحت الحكومة الجديدة بعودتهم تسعين ألف روسي ، معظمهم من المثقفين اليهود !

وفي نيسان اجتمع البلاشفة برئاسة لينين ووضعوا مخططا لتحويل الثورة لمصلحتهم ومصادرتها . ولم تمض شهور قليلة حتى استطاع البلشفيك الاستيلاء على السلطة في شهر تشرين الاول ١٩١٧ ، واعتقلوا الحكومة الموقتة برئاسة كيرنسكي ، وغدت السلطة بكاملها في يد لينين وأنصاره . وباستيلاء الشيوعيين على السلطة انتهت مرحلة تميزت بأربع علامات :

١ ــ قيادة العناصر اليهودية للحلقات الماركسية أولا ، ثم لتنظيماتها وصحفها ثانيا ، واستيلائها على تيار الثورة بعد أن عملت طويلا في اذكاء نارها وتسعيرها ، والتحريض عليها .

٢ ــ بخلافات وانقسامات العناصر التالية : منشفيك . بلشفيك . ديموقراطيي روزا لوكسمبرغ . حزب البوند ــ الاتحاد اليهودي ــ الخ ... ولم تكن الخلافات الفكرية ولا الانقسام التنظيمي ــ في الجوهر ــ خلافا حول الهدف والغاية بل خلافا في الوسائل والاساليب .

٣ ــ باتحاد معظم هذه التيارات ، بعد استيلاء البلشفيك على الثورة وتحويلها لمصلحتهم ، والتقاء عناصرها جميعا تقريبا في جهاز مركزي واحد حكم روسيا بقوة الحديد والنار .

٤ ــ بتمويل اليهود للحركة اليسارية عموما ، وبكل اتجاهاتها وتفرعاتها وانقساماتها ، وكان هذا أحد عوامل نجاحها .

ونحب أن نقف قليلا عند هذه النقطة ، فلم يسبق أن عرضنا لها فيما تقدم من البحث .

ففي تقرير رفعته المخابرات الاميركية عام ١٩١٦ الى جميع الدول الديموقراطية الكبرى وبينها وفرنسا وانكلترا ، يقول التقرير :

« في شباط ١٩١٦ علمنا للمرة الاولى بأن هناك ثورة تهيأ في روسيا واكتشفنا بأن الاشخاص والبيوتات التالية مرتبطة بهذا العمل التخريبي :

- **جاكوب شيف .**
- **مورتيموف شيف .**
- **كوهين ولويب وشركاه .**
- **أوتوكاهن .**
- **فيليكس واربورغ .**
- **جيروم هاهدر .**
- **كاغنهايم .**
- **ماكس بروتينغ » .**

ثم صرح جاكوب شيف المليونير اليهودي بأن الثورة الروسية نجحت بفضل دعمه المالي ، وقال انه عمل على تحضيرها مع تروتسكي . وفي ستوكهولم كان اليهودي « ماكس واربورغ » ينفق بسخاء على هدم النظام القيصري بسبب عدائه لليهود . ثم انضم الى هذه المجموعة من أصحاب الملايين اليهود « والف أشبورغ » و « جيفولوفسكي » الذي تزوج ابنته تروتسكي .

وتشير مجلة فرنسا القديمة الى ارتباط البيوتات المالية اليهودية التالية :

كاهن ، لوب وشركاه في أمريكا ، لازار في باريس . غونسبرغ في

بتروغراد ، ـ باريس ـ موسكو . سباير في لندن ـ نيورك ـ فرانكفورت. بنك نيي في ستوكهولم .

وبارتباط هذه البيوتات ودعم بعضها المالي المكشوف والمعروف للحركة البلشفية يتضحانها ليست سوىحركة يهودية سرية يربطها ويوجهها التمويل اليهودي ، فضلا عن القيادات اليهودية : فكرا وتنظيما !

وتؤكد صحيفة فرنسا القديمة في عددها رقم ١١٥ الصادر عام ١٩١٩ **ان اقامة دولة يهودية في فلسطين هو الهدف !!** وسيجد القارىء في نهاية هذا الفصل بعض النصوص المثبتة مأخوذة عن المجلة فوتوغرافيا وبالنص الفرنسي .

في اعقاب نجاح الثورة واستيلاء الشيوعيين على السلطة تمت ثلاثة أحداث ذات صلة بموضوعنا الاساسي . هذه الاحداث كانت :

١ ـ **قرارا أصدره لينين بتجريم العداء لليهود** . وقد اعتبر لينين هذه الجريمة معاقبا عليها ، وكان قراره هذا تعبيرا عن عرفان الثورة بالجميل ليهود روسيا في دورهم الاساسي بتقويض النظام القيصري . وان كان لينين قد أعطى لقراره هذا معنى انهاء اللاسامية ، أي الموقف المعادي لليهود بوصف هذا الموقف غريبا عن الروح الاشتراكية ـ طبعا يلاحظ هنا ان هذا القرار يهودي الجوهر ، لانه وحيد الطرف . فهو قد أنهى « غيتو » القسر ، ولم ينه « غيتو » الاختيار . أي انه الغى الموقف الرسمي والمجتمعي من اليهودية دون أن يلغي في المقابل موقف اليهودية من الدولة والمجتمع .

٢ ـ اعلانا أصدره لينين أيضا يعد فيه بتأييد اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . وكان ذلك في نفس المرحلة الزمنية التي أصدر فيها بلفور الانكليزي وعده المشهور . فحققت اليهودية بذلك انتصارين في اتجاهين مختلفين وبقوتين متناقضتين . وكان هذا الموضوع نقطة الالتقاء الوحيدة عام ١٩١٧ بين الشيوعية والرأسمالية الغربية . تماما كما كان ملتقاهما الوحيد عام ١٩٤٨ ثم عام ١٩٦٧ .. وربما في المستقبل !!

٣ ـ مؤتمرا أوصت بعقده اللجنـــة المركزية للحزب لتحديد اتجـاه ومبادىء السياسة السوفياتية في منطقة الشرق الاوسط بوجه عام ، **وتجاه المسلمين** بوجه خاص . وقد أوكلت اللجنة الى الثوري « **رادك** » وهو يهودي ورفيق لينين ، مهمة صياغة نداء المؤتمر والاشراف على موضوعاته . كمـا تولى رئاسة المؤتمر **زينوفييف** ، وهو يهودي أيضا . وقد جاءت المقـررات والنداء الى المسلمين طبقا لما توخى اليهود ، ووقعه عـن هنغاريا **بيلا كون** ، وعن فرنسا **روزمار** ، وعن أمريكا **ريد** ، وعـن روسيا **رادك** ، وعـن النمسـا **شتاين هارد** ، وعن هولنده **جانسين** ، وعن البلقان **شابلين** . وجميع هؤلاء كانوا يهودا . وكان في النداء اليهودي الى المسلمين تحريض على الغـرب ، وحديثه مبكر عن البترول .

كان انتصار الثورة الشيوعية فـــي الجوهر انتصارا يهوديا ضـــد القيصرية . وقد اطلقت الثورة يد اليهود السوفيات اطلاقا كاملا ، وظهـــر اليهود في الحياة العامة وعلى جميع المستويات في وقت واحد : العـلوم ، الآداب ، الفنون . وكانوا يملكون طاقات حبيسة هائلة ، وضعوها في خدمة الثـــورة .

لقد هدّم الانطلاق جدران الاحيـــاء اليهودية المنعزلة ، وأتاح لثقافة جديدة أن تزدهر . وكانت هذه الثقافة الجديدة ثابتة ونشيطة : مدارس ، صحف ، مسارح يهودية ، وتعاونيات صناعية وزراعية اخذت تظهر في طول روسيا الغربية وعرضها . **وقد ضمت المدارس التي تعلم اللغـة « اليدية » ـ لغة اليهود في روسيا ـ ٦٠ ٪ من أطفال اليهود في أوكرانيا وروسيـــا البيضاء . كما أسسوا ١٦ مسرحا يهوديا ، وثلاث صحف يومية ، وبلغ عدد نسخ المطبوعات « اليدية » ١٣٥٠٠٠٠ نسخة ، وكثر عدد المجالس الوطنية اليهودية فبلغت ٢٧ مجلسا عام ١٩٣٢ فـــي روسيا البيضاء و ١٦٠ فـــي اوكرانيا ، وتألفت فروع يهودية انبثقت عـــن منظمات الحزب ووزارات ومؤسسات ثقافية ... الخ .**

ومن أعماق الضمير الشعبي ظهرت معطيات جديدة راحت تتغذى من منابع الفولكلور اليهودي : رهط من الرسامين ـ مانيه ، كاتز ، شاغـال ـ وآخر من الكتاب والشعراء باللغة « اليدية » ـ ماركيش ، كفيتكو ، فليكن ،

بفيفر ، وكثيرون غيرهم ...

ذلك هو الارث الذي خلفه لينين فيما خص اليهود (١) .

وحتى وفاة لينين عام ١٩٢٤ ـ كانون الثاني ـ كان اليهود ما زالوا مسيطرين على قيادة واتجاه الحركة الشيوعية في روسيا والخارج . ولم يكن ذلك مخفيا ولا بعيدا عن أعين المراقبين ، ولا مجهولا من الصحافة العالمية ، فقد طالما أشارت اليه وتحدثت عنه واستوقفها من الثورة ظاهرتها اليهودية . وقد نشرت **صحيفة «الساعة» الباريسية الاشتراكية الراديكالية** عام ١٩١٧ في شهر تشرين الاول أي شهر انتصار الثورة تقول :

« لسنا أعداء للسامية ، ولكننا لا نستطيع أن نمتنع عن ابداء ملاحظة صغيرة عن تركيب مجلس السوفيات في بتروغراد وأصل الذين يتألفمنهم .

ان الاسم الحقيقي لـ « **ستيكلوف** » مصدر الامر رقم واحد للجيش الروسي وهو الامر الذي قضى على الانضباط فيه ، هو « **ناهينسكس** » **وهو يهودي ألماني** .

والاسم الحقيقي لـ « **تشيرنوف** » وزير الزراعة السابق والخصم اللدود لكيرنسكي الآن **هو فيلدمان ، وهو يهودي** .

ومن الاربعة أعضاء في مجلس السوفيات الذين زاروا مؤخرا أوروبا الغربية اثنان هما : **«غولدنبرغ» و «اهرليش» وكلاهما يهودي الماني الاصل.**

وكان الوسيط بين لينين والمانيا في ستوكهولم اليهودي الدكتور « **هلفاند** » وقد تستر باسم بافيوس . وفي كوبنهاغن اليهودي «غرينتزكي» واسمه الحقيقي « فيرستنبورغ » (٢) .

---

(١) المشكلة اليهودية في الاتحاد السوفياتي . جريدة « لوموند » الفرنسية عدد رقم ١٦٢ أيلول ١٩٦٧ .

(٢) الوساطة التي انتهت بالسماح للينين بالعودة الى روسيا عبر خطوط النار ليقود الثورة ، في مقابل أن يشل المجهود الحربي القيصري ويعقد الصلح مع المانيا ويعطيها فرصة التركيز على الجبهات الاخرى مع الغرب .

تروتسكي اسمه الحقيقي اليهودي برونشتاين
لينين = = = زيدربلوم

والثلاثة الذين يتلون لينين في مجلس السوفيات هم : **زينوفييف ، وتروتسكي ، وكامينيف** ، وجميعهم من اليهود ، واسماؤهم الحقيقية هي بالترتيب : **ابفلبوم ، برونشتاين ، روزنفيلد** .

وكانت لجنة السوفييت التي سميت لتحقق في قضية لينين مشكلة من : **غوتز ، هاندلزمان ، ليبر ، دوهن ، كروشمال** ، وجميعهم من اليهود . ونستطيع أن نضيف اليهم **غور ، وميتسكوفسكي** ، فكلاهما يهودي، واسمهما الحقيقي هو : **غولدمان وغولدبرغ** .

ان هذه الاسماء كافية لتكشف أن قادة السوفييت هم من اليهود الالمان باكثريتهم العظمى .

وبالاضافة الى هذه الاسماء نستطيع أن نعدد أيضا : ماشتور واسمه الحقيقي ـ أي اليهودي ـ زيدربلوم . سوخانوف واسمه الحقيقي هيمر . زيفورسكي واسمه الحقيقي كراشمان . ميشكوفسكي واسمه السابق هولاندر . لاران واسمه الحقيقي ليومر . بوغدانر ، سيفر .. الخ.

اما لينين فالكل يعرف أن اسمه هو « زيدربلوم » . ولقد ادخلت الحكومة الموقتة في روسيا ، في مجلس الشيوخ الذي هو في نفس الوقت مجلس الدولة ومحكمة النقض تسعة يهود دفعة واحدة (١) .

وفي اللجنة التنفيذية في مكتب السوفييت في بتروغراد **يوجد ٤٣ يهوديا .** »

ولقد ظل لليهود سيطرة شبه مطلقة على الثورة وقيادتها حتى وفاة لينين ، وبوفاته آذنت شمس اليهودية بالمغيب. فستالين الذي تقدم لقيادتها اتخذ صراعه على السلطة اتجاه معاداة اليهود بسبب أن اليهود زاحموه

---

(١) حكومة كيرنسكي الموقتة التي قامت في أعقاب الثورة على القيصرية بعد حكومة الامير لفوف وكان عضوا بها ثم أطاح بها البلاشفة واستولوا على قيادة الثورة كلها.وكيرنسكي يهودي أيضا .

وعملوا على اقصائه بدءا من تروتسكي وانتهاء برادك ، مرورا بزينوفييف وكامينيف .. الى آخر القائمة .

لم يكن ستالين معاديا لليهود بالطبع ، فهو شيوعي أولا وقد نشأ في قلب حركة قادها وغذاها اليهود ، وانما هي طبيعة الصراع ساقته الى عداء العناصر اليهودية بحكم أنهم كانوا العناصر الابرز والاقدر والاكفأ ، والمنافسين الوحيدين له ، وقد تمكن من تصفيتهم واحدا بعد آخر . وهنالك من يعتقد أن بعض أسباب تأييد ستالين لانشاء دولة في فلسطين يعود الى رغبته في التخلص من يهود الداخل والتحرر من نفوذهم الفكري وتأثيرهم في اتجاهات الحـزب .

على أنه مهما تكن أسباب التأييد ـ وهو ما سنناقشه فيما بعد ـ فقد كان موقفا منسجما مع حقائق الحركة الشيوعية وجوهرها ، وليس كمـا يزعم البعض منافيا لها ولا مخالفا لمبادئها . **فالشيوعية مذهب يهودي أرادت به اليهودية أن تكسر أطواق الحصار من حولها وأن تفتح المجتمعات المغلقة عليها، دون أن تنفتح هي بالمقابل. فكان بدهيا أن يلقى قيام الدولة اليهودية : اسرائيل ، تأييد الحركة اليهودية الاولى : الشيوعية ، وأن تعمل الصهيونية والشيوعية بتنسيق متقن داخل وخارج الامم المتحدة طوال عشرين عاما ، متجاوزا كل منهما في موقفه من الآخر كـل مظاهر العداء الفكري ، وكل أسباب الخلاف ، مصطنعة كانت أم حقيقية !**

الشيوعية - اليهودية
في بلدان أوروبا الشرقية

ولم تقتصر نشأة الحركة الشيوعية يهوديا على روسيا . ولا هي ظلت في اطارها الروسي المحلي . **فالشيوعية أصلا هي حـركة أممية** لا وطنية ومعادية للقومية . هدفها اذابة كل ما هو قومي ووطني ليندمج في حركة عالمية **تقسم البشرية كلهـا أمتين : أمـة العمال وأمـة أربـاب العمل ،** أمـة المستغلين وأمة المستغلين . من هنا كانت الشيوعية حركة مترابطة، يشدها ولاء وحيد ، وتوجهها قيادة مركزية صارمة هدفها أن تقيم الدولة العالمية بالثورة العالمية ، وأن تجمع من حول المركز الذي هو روسيا ـ وكان يمكن أن يكون أي بلد آخر لو نجحت الثورة فيه ـ كل قوى الثورة ونشاطها . وحين تحقق هدفها البعيد يكون العالم قد انتهى الى اقامـة دولة عظمى واحدة ، يقف في الذروة منه روسيا ، وفي الذروة مـن روسيا قيادات وعناصر ومفكرو الامة اليهودية المتفوقة !

ذلك هو الطموح ، والحلم ، والهدف .

ولو نحن دققنا في قيادات الحركات الشيوعية الاخرى خارج روسيا، لوجدناها غاصة باليهود أو يهودية الاكثرية ، أو يهودية بتمامها .

كذلك اذا نحن دققنا في الثورات الشيوعية الاخرى ، ما أخفق منها او نجح فسيروعنا أن نجدها جميعا يهودية القيادة والتنظيم كما هي يهودية الفكر والمحتوى. تماما كما كان حال الثورة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي

مما سبق ذكره واستعراض أحداثه .

ففي ألمانيا ، وبعد نجاح الثورة الشيوعية الاولى عام ١٩١٧ ، قامت ثورة شيوعية مماثلة قادتها ((**روزا لوكسمبورغ)) اليهودية** ، وكانت هذه قد شاركت واسهمت في النشاط الشيوعي مع التنظيمات الماركسية الاولى خارج الاتحاد السوفياتي ، وضمها معها العمل المشترك ، والموحد في بعض المراحل .

قامت الثورة الالمانية عام ١٩١٨ وكان للحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي يقوده اليهود دور في تهيئة عوامل الثورة وأسبابها وجوها النفسي . وفي ٣ تشرين الثاني أعلنت القوات البحرية العصيان في ميناء كييل وتلا ذلك شغب شعبي قاده الاشتراكيون وانتهى الى تنازل القيصر « غليوم الثاني » ثم اعلان قيام جمهورية اشتراكية المانية في تشرين الثاني من عام ١٩١٨ . وسارع الحزب الاشتراكي الى الموافقة على عقد هدنة مع الحلفاء ، وحتى يضمن استمراره في الحكم أمر بتسريح القوات المسلحة ، وأدى هذا الى اضعاف موقف ألمانيا تجاه الحلفاء وبدلا من الهدنة انتهت الحرب بالتسليم ، مما جعل الشعب الالماني ينقم على اليهود ويرى فيهم طابورا خامسا وعناصر تخريب مستمر . وقد أفسح هذا المجال فيما بعد الى انتشار الحركة النازية واقبال الشعب الالماني عليها وتأييدها في موقفها من اليهود انتقاما منهم لموقفهم في نهاية الحرب العالمية الاولى وما ألحقوه بثورة الاشتراكيين من خراب أدى الى التسليم .

وكما حدث في روسيا حدث في ألمانيا . فسرعان ما تقدمت العناصر الاكثر تطرفا في الحركة الاشتراكية للاستيلاء على الثورة . وتحرك أنصار « روزا لوكسمبورغ » اليهودية بسرعة ، وقامت عصابتها المسماة « عصبة سبارتاكوس » في كانون الثاني من عام ١٩١٩ بثورة دامية ضد الثورة ولسوقها أكثر في اتجاه التطرف ، غير أنها قمعت ثم أعدمت « روزا لوكسمبورغ » .

وقد أوفدت الاممية الشيوعية ((**كارل رادك**)) لقيادة الحزب الشيوعي الالماني في اعقاب فشل روزا لوكسمبورغ ، ثم تبعته ((**روث فيشر**)) وكلاهما يهودي .

في نفس المرحلة التي قام بها الاشتراكيون الديمقراطيون بقيادة العناصر اليهودية وتخطيطها بثورتهم في ألمانيا ، قام يهودي شيوعي آخر هو « بيلاكون » بثورة مماثلة في هنغاريا . وكان هذا عام ١٩١٩ . وقد أعقب الثورة مجازر مرعبة ذهب ضحيتها عشرات آلاف المواطنين من تجار وملاكين وأصحاب حرف وضباط عسكريين وكهنة وأطباء ومحامين .. الخ.

وكان « بيلاكون » هذا قد اشترك في ثورة روسيا ، ومنها اتجه بعد نجاحها الى المجر بجواز سفر مزور ، واستطاع في فترة قصيرة أن يقلب نظام الحكم ويصبح دكتاتورها الاحمر. وقد عمد كما فعلت كل ثورة شيوعية الى مصادرة الاملاك الخاصة بالقوة وبلا استثناء . **وأقام في بداية حكمه جبهة مشتركة مع الديمقراطيين الاشتراكيين غير أنه ما لبث أن استنفدهم وانفرد بالسلطة وأمَّم المصارف وكل المصالح التي يزيد ما تستخدم على مائتي موظف ، وما يزيد على ألف فدان من الارض ، وكل الابنية ، وأباح الحمامات الخاصة للعامة كل يوم سبت وحدد الالبسة الشخصية ببذلتين وزوجي أحذية وأربعة أجربة وأربعة قمصان ، وصادر الحلي والجواهر وعزل نخبة المجتمع مدنيا وسياسيا. وكان الحصاد مجاعة عامة انتهت الى اسقاط « بيلاكون » فعاد الى روسيا ليتسلم فيها ادارة منظمة الارهاب في الجنوب منها .**

وفي بلدان أوروبا الشرقية الاخرى لم يكن اليهود أقل نفوذا أو ارتباطا بالحركة الشيوعية .

ففي رومانيا كانت سكرتيرة الحزب اليهودية **« أنا باوكر »** وقد ولدت في بوخارست لابوين يهوديين **ثم هاجر والدها ــ وكان جزارا ــ مع أحد اخوتها الى اسرائيل واستوطنها** . عاشت ردحاً من الزمن في أمريكا ، ثم استطاعت أن تبلغ ذروة السلطة في الحزب الشيوعي الذي تسلم الحكم في أعقاب الحرب العالمية الثانية من الجيش الاحمر .

وفي بولونيا ظل يحكمها الى فترة غير بعيدة أربعة يهود وهم : **مينك ، وسكرييزفسكي ، ومودزيلفسكي ، وبرمان** . والاخير كان يعيش في روسيا ثم اختارته موسكو ليكون حاكم بولونيا الخفي بعد الحرب .

وفي المجر ـ بعد الحرب الثانية ـ ظل يحكمها طويلا الثلاثي اليهودي **ماتياس راكوزي ، وايرنو جيرو ، وزولطان فاس.** وقد جاء الحزب الشيوعي الى السلطة كما جاء في بلدان أوربا الشرقية الاخرى بحراب الجيش الاحمر.

وفي تشيكوسلوفاكيا استطاع اليهودي ((**سلانسكي**)) أن يفرض عليها ديكتاتورية حمراء اخرى . ثم شملته حملة تطهير ولكن الذين حاكموه كانوا أيضا من اليهود : ستيفان رايتز وغيره . **وظلت تشيكوسلوفاكيا حتى اليوم تحت سلطة اليهود الشيوعيين. وقد تمكن هؤلاء من تنظيم مساعدة اسرائيل عام ١٩٤٨ عسكريا وبشريا وامدوها بالكثير من اسباب القوة . ثم صاروا يمدونها بعد ذلك بكل انباء صفقات التسلح الشيوعي الى البلدان العربية ، ومواقع جيوشها وكفاءتها وتنظيماتها ، وكل ما اتصل باسرارها العسكرية .** والى جهود هؤلاء بالاضافة الى العوامل الاخرى ـ يعود الفضل فيما حققت اسرائيل من نصر عسكري خاطف عام ١٩٥٦ ، ثم عام ١٩٦٧ !!

ومن العجيب حين نبحث عن أصول وزراء المعارف في جميع بلدان أوربا الشرقية اليوم ، أن نجدهم يهودا وبغير استثناء. ويرجع حرص اليهود على هذه الوزارة بالذات الى حرصهم على توجيه النشء وصياغة أفكاره وعقله وفق مخططهم السري : الشيوعي مرة ، والصهيوني مرة ، وهو في الحالين واحد !

عَن الصّهيُونيّة ...
وَسِيَاسَة العَزل ؟

رأينا فيما سبق كيف أن اليهود هم الذين ابتكروا الشيوعية أولا ، ثم أمدوها فكرا وعناصر قيادية وشجعوها بالمال ووفروا لها داخل روسيا وخارجها كل أسباب الانتصار،حتى حققت أول نجاحها فدمرت الامبراطورية الروسية القديمة وأقامت مكانها امبراطوريتها الجديدة ، تلك التي يستطيع في ظلها أن يأمن اليهود وأن يحققوا أحلام الفوز ومطامع السلطة .

على أن اغتيال اسكندر الثاني وما أعقبه من ردود الفعل اليهودي والروسي معا – وهو الذي أوجد المناخ الملائم لنشاط الحركة الشيوعية فيما بعد – **قد شجع بعض اليهود على الخروج من روسيا هربا وخوفا ، ولم يسمح لهم بأن يستوطنوا بولندا فاتجه بعضهم الى افريقيا ، وبعضهم الى أوربا الغربية ، وبعضهم الى فلسطين . وقدّر عدد الذين هاجروا الى فلسطين من هؤلاء بثلاثة آلاف يهودي .**

وكانت أولى بوادر الحركة الصهيونية انشاء مستعمرة قرب يافا عام ١٨٨٢ باسم Richion le zion **، وفي نفس العام أنشئت في روسيا حركة حب صهيون باسم** Chibba Thzion **، ونظم أتباعها أنفسهم في جمعيات عرفت باسم ((أحباء صهيون)) واستطاع هؤلاء أن يحصلوا على اعتراف رسمي بهم عام ١٨٩٠ باسم جمعية دعم الزراعيين والحرفيين اليهود في فلسطين وسورية .** غير أن هذه الحركة الصهيونية الوليدة لم يتم لها أن

تنتشر ولا أن تكون ذات أثر فعّال في حياة اليهود بالرغم من كـل جهود المفكرين منهم ، وعلى الاخص « ليوبينسكر » (١٨٢١ ـ ١٨٩١) الذي قدّم في كتاب «التحرر الذاتي» تصورا لحل المشكلة اليهودية أساسه أن يتجمعوا كأمة في فلسطين أو غيرها . وأكد « ليوبينسكر » عـلى ضرورة واهمية المبادرة اليهودية في حل مشكلتهم ، وقال « ان اللاسامية ستظل ما دمنا لا نملك وطنا قوميا خاصا . وان التحرر الحقيقي يكمن في خلق قومية يهودية للشعب اليهودي بحيث يعيش على أرض واحدة محددة » .

لم تلاق الدعوة رواجها المطلوب وكان عليها أن تنتظر سنوات اخرى حتى عام ١٨٩٦ حيث وافتها قيادة مدربة وخبيرة وذات قدرة خارقة على العمل وكسب الانصار للهدف اليهودي . هذه القيادة هي **«تيودور هرتزل»** اليهودي المجري ، الذي تلقّى دراسته في فيينا وتتلمذ على أفكار « موشى هيش » معلم ماركس ، وبسّطها .

تيودور هرتزل - ١٨٦٠ - ١٩٠٤

كان هرتزل حقوقيا ، الا انـه عمل في الصحافة مراسلا في باريس لصحيفة : Neue Freie Prsse التي تصدر في فيينا . وقد أثارته موجة اللاسامية التي اجتاحت أوربا ، وبخاصة فرانسا في أعقاب قضية دريفوس عام ١٨٩٤ ، فوضع دراسة بعنوان «الدولة اليهودية» استقى فكرتها الاولى وعنوانها وخطوطها العامة من « هيس » ودعا فيها الى أن تساعد بريطانيا على استعمار يهودي للارجنتين أو فلسطين . وقد نشر دراسته هذه عام ١٨٩٦ ، فأثارت اهتماما واسعا ، معها وضدها ، الا أن معظـم الرأي العام اليهودي انجذب اليها . وفي آب من عام ١٨٩٧ استطاع هرتزل أن يجمع في مدينة « بال » بسويسرا أول مؤتمر صهيوني حدد فيه رسالته ببرنامج ذي ثلاثة أهداف :

١ ـ استعمار يهودي لفلسطين منظم وعلى نطاق واسع .

٢ ـ الحصول على حق شرعي معترف به دوليا لهذا الاستعمار .

٣ ـ انشاء منظمة دائمة توحد جميع اليهود من أجل هذا الهدف .

وفي نهاية مؤتمر « بال » سجل هرتزل في مذكراته (١) ملخص ما انتهى اليه المؤتمر قال :

« لو أردت أن أختصر مؤتمر « بال » في كلمة واحدة ، ولن أفعل هذا صراحة ، لقلت : لقد أسس مؤتمر « بال » الدولة الصهيونية . ولو قلت ذلك اليوم لقابلني العالم بالضحك والسخرية . ولكن بعد خمس سنوات احتمالا ، وبعد خمسين سنة تأكيدا سيرى الناس جميعا هذه الدولة . »

ومن غرائب المصادفات أن تقوم الدولة اليهودية بعد خمسين عاما من نبوءة هرتزل ، وأن تحقق الحركة الصهيونية أهدافها في الموعد الذي حدده لها منشئها بغير تقديم ولا تأخير !

لم تكن الحركة الصهيونية حركة دينية تماما . ولئن بدا منها ذلك في الظاهر فهو خطأ محض مرده الى أنها حاولت وما تزال تحريك موضوع « الوطن القومي » مستندة الى العواطف الدينية ودون أن تتجمد عندها . والاصح أن يقال أن الحركة الصهيونية هي حركة علمانية أولا ، ودينية ثانيا. هي حركة علمانية لان منطلقها كان حل مشكلة « اللاسامية » بايجاد الوطن القومي . وهي حركة دينية لانها أفادت من الشعور الديني وأذكته لخدمة الهدف القومي . فالصهيونية مزيج غير واضح المعالم من العلمانية والدين. وقد يبدو منها هذا الوجه أو ذاك بحسب المرحلة التي تجتازها وضرورات العمل. بل لقد يبدو منها هنا وجه ديني وهناك وجه علماني في وقت واحد!

ويعتقد الدكتور « ألن تايلر » واضع كتاب «تاريخ الحركة الصهيونية» أن اهتمام هرتزل كان يكمن في حل مشكلة اللاسامية وليس في تحقيق النبوءات التقليدية لليهود . فالصهيونية السياسية في مراحلها المبكرة كانت اذن حركة علمانية جوهريا . وقد بقيت لها هذه الصفة العلمانية دائما ، ولم تقحم فكرة العودة الى فلسطين الا لجاذبيتها العاطفية . غير أن هذا لا يغير

---

(١) مذكرات هرتزل ـ ج ٢ . وتاريخ الصهيونية المختصر .

من حقيقة كون الصهيونية السياسية حركة عقلية لا مذهبيـــة ، فقد بحثت عن حل محدد لقضية محددة وليس عن تمجيد لمثال ديني عنصري (١) .

ويستدل الدكتور تايلر على صواب نظرته بكتاب هرتزل : « الدولة الصهيونية » الذي نشره عام ١٨٩٦ . فقد دعا هرتزل في كتابه الى استعمار يهودي للارجنتين أو فلسطين تدعمه بريطانيا ، والنظر فيما يترتب على ذلك من خلق دولة قومية يهودية ذات سيادة . وكان مجرد اقتراح الارجنتين دليلا على أن الصهيونية بدأت حركة عقلية لا مذهبية . وعلمانية لا دينية . **وفي هذه النقطة غير المرئية تماما للنظرة العابرة يجد المدقق الالتقاء واضحا بين الشيوعية والصهيونية . فكلاهما لا ديني !**

بانتهاء مؤتمر « بال » كانت الصهيونية قد انتظمت في عمل وهدف . وقد انتخبت « هرتزل » رئيسا لها ، وبدأت عملها .

اتجه هرتزل أولا الى القيصر الالماني « ولهلم الثاني » فعرض عليـــه فكرة الوطن القومي في فلسطين وحاجة اليهود الى الاعتراف بحق شرعي لهم في استعمارها . غير أن القيصر الالماني رفض العرض . ثم اتجه هرتزل الى السلطان العثماني عام ١٩٠١ فعرض عليه تنظيم مـــالية الباب العالي وتطوير المصادر الطبيعية للدولة العثمانية وتسديد ديونها في مقابل استعمار فلسطين . فرد السلطان العثماني هذا العرض واعتبره رشوة ثم أصدر امرا بمنع الهجرة الجماعية الى فلسطين . وقد دفع السلطان العثماني فيما بعد ثمن هذا الرفض في انهيار امبراطوريته . ولـم يتنصل اليهود من مسئوليتهم في ذلك ، بل كان أحدهم ((قراصو)) ثالث ثلاثة أبلغوا السلطان عبد الحميد قرار الخلع ! **وقد وجه السلطان العثماني كـلامه الى الصدر الاعظم ، وكان أحد الذين أبلغوه القرار ، قائلا : أفهم أن يخلعني المسلمون وتبلغني أنت اقرار الخلع بحكم مركزك الديني . ولكن ماذا يفعل معكم هذا اليهودي ؟ وأشار السلطان الى ((قراصو)) !**

وقد سبق خلع السلطان عبد الحميد جهد منسق طويل بين الحركتين

---

(١) تاريخ الحركة الصهيونية .

الشيوعية والصهيونية ، عملنا فيه على اسقاط الدولة العثمانية ، وشجعنا الحركتين : القوميـة التركيـة ، والانفصالية العربية المعبر عنهـا بالقوميـة العربية . فلما سقطت الدولة العثمانية وجاء الانتداب الانكليزي في أعقاب ذلك على فلسطين حقق اليهود أول حلمهم في استيطان فلسطين وخطوا خطوة واسعة في اتجاه هدفهم البعيد . ولم يكن وعد بلفور سوى بداية النصـر .

ولقد يبدو غريبا هنا أن نرى الحركتين: القومية والليبرالية، قد ارتبطتا بشكل غير مباشر بالحركتين الشيوعية والصهيونية وأن مناخ هذه الحركات ظل واحدا وان اختلف قدر الاسهام اليهودي بين حركة وحركة وتأثيره فيها.

ومما يكشف لنا هذه الحقيقة ما ورد على لسان اللورد « بيرسي » وأعيد نشره بموافقة اليهود في الصحيفة الكندية « جويش كرونيكل » وهي الصحيفة المعبرة عن أفكارهم . قال :

« قامت الليبرالية والقومية مصحوبتين بدق الطبول ، بفتح أبواب المعازل ــ الفيتو ــ اليهودية ، وعرضتا حقوق الرعوية المتكافئة على اليهود. وعبر اليهود الى العالم الغربي وشهدوا ما فيه من سلطان ومجد، واستخدموه، وتمتعوا بالحياة فيه ، ووضعوا أيديهم عـلى المراكز العصبية لحضارته ، فوجهوها وأرشدوها واستغلوها ، ثم رفضوا العرض الذي تلقوه ــ يقصد عرض الاستيعاب ــ يضاف الى هذا ، وهو أمر مهم كل الاهمية ، أن أوربا القومية والليبرالية، وأوربا الحكم العلمي والمساواة الديمقراطية هي بالنسبة اليه ــ اليهودي ــ أمر لا يطاق ، ويزيد فـي حقيقته عـلى الاضطهاد القديم والطغيان ! » .

« ففي عالم السيادات الاقليمية الكاملة التنظيم ، ليس لليهودي الا سبيـلان للخلاص والامان : فاما أن يهدم دعائم نظام الدولة القومية كلها (١) ، أو يخلق لنفسه سيادة اقليمية خاصة به (٢) ويقوم في هذين الاتجاهين

---

(١) الشيوعية .

(٢) الصهيونية .

التفسير الصحيح للبلشفية اليهودية والصهيونية، وما زال اليهود الشرقيون مترددين بين الفكرتين . ويبدو ان البلشفية والصهيونية تنموان في اوروبا الشرقية جنبا الى جنب تماما كما قام النفوذ اليهودي بصياغة الفكر الجمهوري والاشتراكي طيلة القرن التاسع عشر الى ان وصل الى ثورة تركيا الفتاة في القسطنطينية قبل نحو من حقبة من الزمن، لا لان اليهودي يكترث بالناحية الايجابية من الفلسفة الراديكالية، ولا لانه يرغب في أن يكون مسهما في قومية الاغيار أو ديمقراطيتهم ، بل لانه يعتبر ان اي نظام للحكم قائم عند الاغيار غير مستساغ بالنسبة اليه (٣) . »

---

(٣) اليهودي العالمي . فورد .

النشاط الصهيوني في انكلترا
ووعد بلفور ...

ولقد عملت الصهيونية بتنظيم وداب كبيرين منذ اتجه هرتزل نحو انكلترا لتحقيق حلمه في مطلع القرن العشرين وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى . وقد اتم رسالة هرتزل من بعده **حاييم وايزمن اول رئيس فيما بعد لاسرائيل ، وقائد المنظمة الصهيونية وهو عالم كيمائي يهودي روسي .**

لم تيأس الصهيونية بما لاقت من فشل اول أمرها . كانت تدرك أهمية الاعتراف العالمي بها. وقد عبر وايزمن عن هذا بقوله : « ان الصهيونية السياسية تعني جعل المسألة اليهودية عالمية . » وفي سبيل هذا الهدف استوطن وايزمن انكلترا وانضم اليه بعض العناصر الصهيونية القيادية . وربما واتته ظروف الحرب العالمية الاولى بسبب ما قيل من انه ابتكر مادة متفجرة وضعها بتصرف الحلفاء ، على كسب وعد بلفور وزير الخارجية البريطاني ، وهو الوعد الذي صدر في ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧ من بلفور الى اللورد روتشيلد أحد زعماء اللجنة الصهيونية وجاء فيه :

« بالنيابة عن حكومة جلالة الملك ، يسرني جدا ان ابلغكم بأن حكومة جلالته تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، مع البيان الجلي بأن لا يفعل شيء يضير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة حاليا في فلسطين ولا الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى . »

ذلك كان نص وعد بلفور .

وتتفق المصادر التاريخية على التأكيد بأن هذا الوعد كان مجرد صفقة تجارية بين انكلترا وبين اليهود تم بموجبها وضع الجهود اليهودية عالميا في خدمة الحرب الى جانب انكلترا وكان من نتائجها دخول أمريكا الحرب بعد أن أحجمت عنها طويلا ، وفي مقابل ذلك تدفع انكلترا لليهود فلسطين ثمن هذا الجهد !!

ويروي الدكتور « تايلر » مؤرخ الحركة الصهيونية أن رسميا بريطانيا صديقا لوايزمن قد أوجز في كلمات قصيرة قصة التخطيط الصهيوني للحصول على وعد بلفور ، قال :

« ان من أفضل الامثلة للدبلوماسية الناجحة هي تلك التي أوجد بها الدكتور حاييم وايزمن الوطن القومي اليهودي . فقد كان العبء الذي كرس له وايزمن نفسه في نقل مركز الصهيونية الى لندن والحصول على عون بريطاني في فلسطين أصعب من عبء أي سياسي آخر من سياسيي الدول الصغرى . **فقد أخبرني مرة أنه قام بألفي مقابلة ـ ٢٠٠٠ ـ للوصول الى تصريح بلفور . وقد كيّف نقاشه بحنق لا يخطىء بحسب الحالة الخاصة لكي سياسي. ففيما يتعلق بالبريطانيين والامريكيين استعمل اللغة الانجيلية وأيقظ فيهم صوتا عاطفيا عميقا. وتحدث الى غيرهم بلغة المصالح.** فقد أخبر السيد لويد جورج أن فلسطين بلد جبلي غير بعيد الشبه عن ويلز. ومع اللورد بلفور استعرض الاساس الفلسفي للصهيونية. ومع اللورد سيسيل طرحت القضية بشكل منظمة عالمية جديدة . بينما صور للورد «ملنر» وبشكل حيوي توسيع القوة الاستعمارية. أما بالنسبة لي وقد عنيت بهذه الامور كضابط صغير في الاركان العامة فقد جاءني من مصادر كثيرة بجميع الادلة التي يمكن الحصول عليها عن أهمية الوطن القومي اليهودي لمركز بريطانيا الاستراتيجي . ونوّه دائما بمئة نغمة من صوته عن اعتقاده في أنني سأتفهم أكثر من رؤسائي المسائل الاكثر دقة وغموضا . بيد أن هذا العرض الحاذق للحقائق ما كان ليصبح مجديا لو لم يقنع كل من اتصل به باستقامة سلوكه . »

بوعد بلفور تحقق للصهيونية أحد أهدافها الثلاثة . وقد انصرفت فور الوعد الى كسب تأييد الدول الاخرى لهذا الهدف ، فلم يمض عام ١٩١٨ حتى كانت قد حصلت على تأييد كل من فرانسا وأمريكا وايطاليا واليابان لوعد بلفور .

وبذلت الصهيونية جهدها في مؤتمر الصلح الذي أعقب الحرب العالمية الاولى ، والمنعقد في كانون الثاني ١٩١٩ في باريس ، لتحديد صيغة التنفيذ، وأسلوبه . وأصرت الصهيونية على أن يتضمن صك الانتداب البريطاني على فلسطين تصريح بلفور ، وأن يكون هدف الانتداب اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين يتطور الى كومنولث مستقل ، يشمل كل فلسطين وليس جزءا منها .

وقد نجحت الصهيونية في جعل صك معاهدة سيفر بين تركيا وانكلترا ينطوي على تصريح بلفور ، كذلك نجحت في تضمين التصريح صك الانتداب، ومنح اليهود حق انشاء مؤسسات ذات حكم ذاتي والتزمت السلطة البريطانية بتسهيل الهجرة اليهودية وسنت القوانين لانشاء وكالة يهودية تساعد الادارة.

ولقد حاولت السياسة البريطانية نتيجة رد الفعل العربي ومخاوفها ان تتراجع قليلا **فاصدر تشرشل كتابه الابيض عام ١٩٢٢ وضمنه بعض النقاط التي اعتبرتها الصهيونية نكسة موقتة لها ، كتحديد الهجرة بمبدأ القدرة الاقتصادية على الاستيعاب ، غير أن « وايزمن » المؤمن بسياسة تحقيق الهدف على مراحل لم يفزعه هذا التراجع بل ظل مؤمنا بأن كل ما لا يمس مبدأ الوطن القومي والهجرة ، يظل في خدمة الهدف الصهيوني مهما بدا ، شكلا ، غير مقبول وضعيفا من وجهة النظر الصهيونية .**

وقد انصرف وايزمن وقيادة الحركة الصهيونية فيما بعد الى تركيز عناصر الادارة البريطانية في فلسطين بجعلها عناصر مزدوجة : انكليزية يهودية ، وحقق في هذا نجاحا بعيدا ،فكان المندوب السامي البريطاني **« هربرت صموئيل »** مرشح الصهيونية ، كما جاء الكولونيل **فردكيش** زعيم الهيئة التنفيذية الفلسطينية باقتراح وايزمن نفسه لانه كان يهوديا لاب شرقي ، وسبق له أن انتمى الى منظمة « شوفيفي زيون » الصهيونية .

ثم ركزت الصهيونية على تحقيق **هدفها الثاني وهو استعمار فلسطين** فأنشأت صندوقا مركزيا لشراء الاراضي ، ونظمت احتلال فلسطين بالتدريج ووفقا لبرنامج التملك والهجرة المترابط . **والى جانب هذا ، كانت تجهد لتكسب ولاء وثقة جميع اليهود** وهو واحد من اهداف هرتزل الثلاثة وبرنامجه المحدد لاقامة الوطن القومي .

واستمر النشاط الصهيوني ما بين بداية الانتداب وحتى عام ١٩٣٩ أي في فترتي العشرينات والثلاثينات **يعمل في الاتجاهات التي رسمها مؤتمر « بال » :**

١ ــ كسب التأييد الدولي .

٢ ــ تنظيم الهجرة الى فلسطين وضبطها .

٣ ــ كسب ثقة اليهود وجعل أهداف الحركة الصهيونية تعبيرا عن المسألة اليهودية ، وحلها الوحيد .

وقد حققت الصهيونية من أهدافها هذه معظمها ، الا انها أصيبت بنكسة خطيرة عام ١٩٣٩ حين أصدر « مكدونالد » كتابه الابيض ، فلم يأخذ بوجهة النظر الصهيونية وغدت بريطانيا أميل الى اتخاذ موقف مستقل من القضية الفلسطينية ليس صهيونيا ولا عربيا ، وانما هو بين بين ، أو هو تعبير أوضح موقف بريطاني أولا يضع مصالحه قبل كل شيء . وقد أدى هذا الى أن تبدل الصهيونية خطتها السياسية ، فبعد أن كانت حريصة على الانتداب اتجهت الى مقاومته والمطالبة بانهائه . وساعدها على اتخاذ موقفها المتشدد ثم اتباع سياسة الارهاب في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ان الانتداب البريطاني نفسه قد أفسح المجال لهجرة يهودية واسعة زادت في عدد اليهود وفي قدرتهم الداخلية على اتخاذ المواقف وفرضها .

وفي أيار من عام ١٩٤٢ انعقد المؤتمر الصهيوني الاستثنائي في فندق « بلتمور » بنيويورك ، وانتهى الى برنامج يعرف باسم برنامج « بلتمور » **وفيه قررت الصهيونية أن الغرض من تصريح بلفور ثم من الانتداب البريطاني على فلسطين كان ايجاد حكومة يهودية فيها وليس مجرد ارتباط الشعب**

اليهودي بفلسطين. وهاجم المؤتمر اتجاه الكتاب الابيض وأكد على أن تسوية ما بعد الحرب يجب ان تتضمن حل المسالة اليهودية ـ التشرد ـ وأعطى الوكالة اليهودية حق التحكم في الهجرة ، وفي النهاية أعلن أن اتجاه الاحداث يجب أن ينجم عنه اقامة دولة يهوديةفي كل فلسطين .

وقد أدت سياسة الكتاب الابيض البريطاني لعام ١٩٣٩ ، الى **تحول الحركة الصهيونية عن انكلترا الى امريكا** . وفي سنوات الحرب الثانية استطاعت الصهيونية أن تمركز نشاطها فيها، وأن تجعل منها قاعدة انطلاقها وعملها ، وقوتها الضاغطة في أكبر مركز من مراكز القوة شهده التطور الانساني منذ بداية التاريخ .

هدفان للصهيونية :
بناء علاقاتها وتخريب العلاقات العربية !

ولقد أدى تخلي بريطانيا عن تأييدها المطلق وغير المحدود للسياسة الصهيونية في فلسطين عام ١٩٣٩ ، ومحاولتها فرملة هذه السياسة جزئيا بما يعيد التوازن الى سياستها، أدى الى عملية مراجعة خطيرة في السياسة الصهيونية ، انتهت فيها الى اقرار خطة عمل واسعة وجريئة حددت لنفسها هدفين كبيرين ، تتفرع عنهما أهداف متممة :

١ ــ بناء علاقات أوثق بالغرب ، وبخاصة أمريكا مصدر القوة المقبلة ومركز التطور الذي سيتاح له في نهاية الحرب أن يقف في ذروة العالم .

٢ ــ تخريب العلاقات العربية الغربية ، بما يجعل الصهيونية ودولتها المقبلة أمل الغرب الوحيد في حماية مصالحه وحراسة مواقع الشرق الاستراتيجية !

ويتفرع عن الهدف الثاني أهداف ثانوية أخرى متممة . **فما دام العرب هم القوة المقابلة التي قد يضطر الغرب الى رعاية وجودها وحقها وقد يضعف هذا من قدرة الصهيونية على كسب الغرب وجنبه الى حقها ، فلا بد من اضعاف العرب وتقطيع صلات بعضهم ببعض ، ثم تقطيع صلاتهم بالقوى التاريخية التي تقف الى صفهم وبخاصة في موضوع فلسطين ، هذه القوى هي العالم الاسلامي** الذي تربطه الى العرب روابط العقيدة وله في

فلسطين والقدس ما يدافع عنه ويلتقي فيه مـع البلدان العربية كلها في **موقف مشترك .**

واذا كان يصعب لندرة المعلومات حول هذا الموضوع بسبب صمت الجانب الصهيوني واخفائه أساليبه وفكره السريين ـ تقديم دراسة وثائقية مفصلة عن هذه السياسة ، فان من المفيد أن نرصد أحداثـا معينة هي أقرب الى البرهان الثابت ، وأدل على ما تهدف اليه الصهيونية من كل دليل آخر .

هذه الاحداث هي :

١ ـ مقتل اللورد مويـن في مصر .

٢ ـ قضية لافون .

٣ ـ قضية كوهين .

٤ ـ زيارة الملك فيصل الى أمريكا .

وعلى بعد ما بين هذه الاحداث ظاهرا ، فانها جميعا تلتقي في نقاط مشتركة ويوجهها لتحقيق الفرض الصهيوني عقل مدرَّب خبير .

مقتل اللورد موين ؟

في عام ١٩٤٤ فوجىء الرأي العام العربي والدولي بمصـرع اللورد «موين» المندوب السامي البريطاني في مصر ، وكان بدهيا أن تتأزم العلاقات المصرية ـ البريطانية ، وتتجه نحو صدام جديد ، لـولا أن قـوى الامن استطاعت بسرعة أن تقبض على القتلة وكانا يهوديين وهما : الياهو بنزوري، والياهو حكيم . وقد اعترفا في التحقيق أنهما معـا ينتميان الى عصابة شتيرن الارهابية في فلسطين ، وأنهما صرعا اللورد البريطاني احتجاجا على موقف بريطانيا من القضية الفلسطينية وللفت نظر العالم الى هذا الموقف.. ثم ، **لتأزيم العلاقـات المصرية البريطانية !**

ورفض القاتلان أن يبوحا بأسماء زملائهما من بقية أفراد العصابة وقد حكما بالاعدام ونفذ فيهما فعلا .

ليس المهم مما زعمه قاتلا اللورد موين سوى نقطة صغيرة مرا بها بسرعة في التحقيق الاولي ، **فقد اعترفا بأن الهدف كان تأزيم العلاقات المصرية ـ البريطانية . لماذا ؟**

لم يحاول التحقيق يومها أن يتوسع كثيرا في هذه النقطة ، ولا أن يسلط عليها الضوء الكافي لرؤية ما وراءها . على أننا اليوم ونحن نستعرض تاريخ الحركة الصهيونية ومواقفها وسياستها وخططها ، **نكتشف أن تأزيم العلاقات المصرية البريطانية في مقتل اللورد موين كان يهدف الى اصطناع جو خاص في داخل انكلترا للضغط على حكومتها في اتجاه دعم السياسة الصهيونية ومطالبها في فلسطين .**

ومن البداهة أن مصرع اللورد موين كان سيؤدي الى اصطناع مثل هذا الجو ـ لولا أن ألقي القبض على القتلة وعرف العالم أنهما يهوديان وليسا وطنيين مصريين ـ وسيساعد الصهيونية على الضغط وايهام الرأي العام البريطاني والحكومة البريطانية بأن اليهود وحدهم يمكن الاعتماد عليهم في فلسطين وأن السبيل الوحيد المؤدي الى حفظ المصالح البريطانية في المنطقة العربية هو تأييد المطالب الصهيونية وفتح باب الهجرة ، والعودة عن سياسة التوازن وامساك العصا الفلسطينية من وسطها .

ولقد اختارت الصهيونية مصر بالذات ، لان مصر أكبر بلد عربي ، ولان المصالح البريطانية في قناة السويس كانت مركز الثقل في سياستها الشرق ـ أوسطية ومحور اهتمامها الدائم . **ولقد سبق للدكتور « حاييم وايزمان » رئيس المنظمة الصهيونية بعد هرتزل ، وأول رئيس لاسرائيل بعد قيامها ، ان طرح القضية الصهيونية في لندن من خلال المحافظة على قناة السويس. ثم ها هي ذي الصهيونية تغتال اللورد موين لتمنع أي اتفاق بين مصر وبريطانيا** ، لا سيما وان مثل هذا الاتفاق كان ممكنا بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية ومشاركة مصر في موقف مؤيد للحلفاء ضد النازية .

قضية لافون

ومن مصرع اللورد موين ، ننتقل الى حادث آخر ذي هدف مماثل بعد عشر سنوات ، وفي مصر نفسها أيضا . هذا الحادث هو ما يعرف باسم **« قضية لافون »** .

ما هي قضية لافون هذه ؟

ليس يعرف الرأي العام خارج اسرائيل ــ ولا داخلها ــ سوى النذر اليسير عن هذه القضية . و « لافون » هو وزير الدفاع السابق في حكومة «موسى شاريت» عام ١٩٥٤ .وهو السكرتير العام السابق «للهستدروت». **وكل ما انكشف من أسرار القضية هو أن المخابرات الاسرائيلية نظمت في ذلك العام سلسلة من أعمال التخريب تتناول مكاتب السفارتين الامريكية والبريطانية في القاهرة والاسكندرية، وجعلها تبدو وكأنها من فعل الوطنيين المصريين . وكان الهدف هو الايقاع ما بين مصر وأمريكا ، ومصر وانكلترا ، بحيث تتخذان مواقف معادية من الحكم المصري الجديد بعد ثورة ٢٣ تموز.**

وكان ما دفع المخابرات الاسرائيلية الى تنظيم هذه العملية هــو ما تسرب الى الصهيونية عن دور مخابرات أمريكا وانكلترا في تقويض حكم الملك فاروق . وقد أدى هذا الى نجاح مفاوضات الجلاء عن مصر ، مما أشعر السلطات الاسرائيلية بالخطر فتحركت بســرعة لتنسف جسور العلاقات المصرية ــ الامريكية ، والمصرية ــ الانكليزية ، ونظمت ما أسمته الصحافة الاسرائيلية فيما بعد « قضية لافون » . و « الحادث المخزي » . و « حادث الامن » . و « النسخة الاسرائيلية لقضية دريفوس » .

وقد انكشفت العملية من قبل أن تتم جميعا في مصر ، وألقت سلطات الامن القبض على ثلاثة عشر يهوديا، أعدم منهم اثنان وانتحر ثالث هو ضابط في المخابرات الاسرائيلية وحكم على الباقين العشرة بالسجن ، ثم توسط

للافراج عنهم النائب العمالي المستر « اورباخ » وحمل للرئيس عبد الناصر رسالة خاصة من المستر « تشرشل » . ومما يذكر أن الجاسوس الاسرائيلي كوهين الذي أعدم بعد اثنتي عشرة سنة في دمشق كان فيمن ألقي عليهم القبض في هذه القضية بمصر ثم أطلق سراحه !!

كان لانكشاف المؤامرة أثر بعيد في اسرائيل ، فقد اضطر لافون الى تقديم استقالته متهما بن غوريون بأنه وراء العملية وأن الذي أمر بتنفيذها كان « الضابط الكبير » الذي تبين أنه « حاييم لاسكوف » رئيس الاركان العامة للجيش الاسرائيلي فيما بعد .

بدأت خيوط المؤامرة تتجمع في أذهان المسؤولين الاسرائيليين في أعقاب نجاح المفاوضات المصرية ــ الانكليزية للجلاء عن مصر ، وازدياد قوة التيار الامريكي البريطاني المؤيد لتوثيق صلات الغرب بهذا البلد العربي الكبير . وقد خشيت الصهيونية من أن تؤدي هذه العلاقة الوثقى بين مصر والغرب ، الى التأثير فيما تتلقاه اسرائيل من أسباب الدعم والقوة .

وفي تموز من عام ١٩٥٤ ، كان « لاسكوف » الضابط الكبير يتحدث الى لافون وزير الدفاع عن جلاء بريطانيا عن قناة السويس وحرية الملاحة . وكان من رأي « لاسكوف » أن جلاء بريطانيا عن قناة السويس سيؤدي بالحتم الى تغيير حاسم في وضع المنطقة ، وسيكون لهذا التغيير أثره في مستقبل اسرائيل وسيمس أمنها وكيانها اذا لم يتضمن الاتفاق ضمانا صريحا لسلامتها . **ثم انتهى لاسكوف ولافون الى ضرورة تأخير عملية انسحاب بريطانيا وتأخير مفاوضات الجلاء ، والى ضرورة نسف العلاقات المصرية الامريكية والمصرية الانكليزية بنسف مكاتب السفارتين الامريكية والبريطانية في القاهرة والاسكندرية . وانتهى تقديرهما المشترك الى أن امن اسرائيل وسلامتها مرتبطان الى حد كبير ببقاء الغرب بعيدا عن العالم العربي ، وتخريب كل علاقة له به . اذ يجب من أجل مستقبل اسرائيل أن تكون للغرب بعامة ولامريكا بخاصة « عين واحدة لا عينان ، وأذن واحدة لا اذنان » يجب مهما كان الثمن أن تظل اسرائيل أمل الغرب وأن يقطع كل صلة له أو أمل بالعالم العربي !**

وفي النصف الثاني من شهر تموز عام ١٩٥٤ صدرت الاوامر بتنفيذ العملية .. أي بنسف السفارات، أي بتخريب العلاقات المصرية ـ الامريكية، والمصرية ـ البريطانية !!

وبفشل الخطة وانكشافها تنصل منهـا الكل ، واضطرت اسـرائيل لتحفظ صلاتها بأمريكا وانكلترا أن تلصقها بلافون وحده ، فاستقال ، وتبعته حكومة شاريت ، وجاء على أنقاضه بن غوريون ..

ولقد أدى هـذا الحادث فيما بعـد الى انشقاق الحزب الحاكم في اسرائيل ، وظلت السلطات الاسرائيلية برغم كل شيء تضرب حول **تفاصيله** وجزئياته ستارا من الصمت الثقيل ، واعتبرت القضية برمتها « مسألة أمن محرمة » ، ومنعت الصحافة من الخوض بها أو الحديث عنها ، وأدت فيما أدت الى استقالة بن غوريون وانشقاقه عن حزب « الماباي » الحاكم أواخر عام ١٩٦٤ ، والى صعود أشكول مكانه . كذلك أدت الى استقالة «لاسكوف» من قبل ، وبدلت في شكـل وعلاقة القيادات السياسية والعسكرية في اسرائيل .

بالتعمق في فضيحة « لا فون » يتضح لنا أن اسرائيل كانت تنظر الى كل علاقة عربية ـ غربية ، بجزع وفزع وتعمل على تخريبها . وقد راعها ان يكون لامريكا دور في ثورة مصر عام ١٩٥٢ وأن تكون على أحسن الصلات وأعمقها بقادتها . كذلك راعها أن تتجه انكلترا الى الجلاء عن مصر ومنحها استقلالها ، فسارعت اسرائيل الى اعتماد سياسة تخريب العلاقات المصرية ـ الغربية من جديد ، معيدة بذلك أهداف مقتل اللورد موين .

وليس ما تخشاه اسرائيل انحياز الغرب الى جانب العرب ضدها ، وانما هي تخشى أن «تظل للغرب عين وأذن مفتوحتان على العرب» ، **فيؤدي ذلك بالتالي الى موقف متوازن وربما محايد بينها وبينهم . وفي مثـل هـذا الموقف فان اسرائيل هي الخاسرة « لان مستقبلها ـ كما يقول لاسكوف ـ مشدود الى الرهان الغربي الامريكي عليها » . فـاذا توقف الرهان غدت اسرائيل « كيانا وبقاء معلقة في الفضاء ، وتحول عنصر الزمن ضدها » . من**

هنا كان أشد ما تخشاه هو «أن تظل للعرب جسور معلقة مع الغرب وصلات ومصالح» ، وأشد ما تتمناه هو أن تنسف تلك الجسور وتنقطع الصلات وتنهار المصالح . «بذلك فقط تطمئن اسرائيل لان بقاءها يعني آنذاك اتصالا غير مقطوع بالحضارة ومراكز القوة» .

قضية كوهين

وتشكل قضية كوهين هي الاخرى ، في أحد جوانبها ، حلقة في سلسلة الجهد الصهيوني لعزل العالم العربي والايقاع ما بينه وبين كل القوى التي يمكن أن تقف بجانبه .

ففي كانون الثاني من عام ١٩٦٥ اكتشفت السلطات السورية شبكة للتجسس يرأسها المغترب كامل أمين ثابت ، الذي اتضح فيما بعد انه اليهودي « كوهين » من مواليد الاسكندرية ، وقد تلقى تدريبا خاصا على التجسس في اسرائيل واستطاع في أقل من عام أن ينشىء صلات صداقة قوية في أوساط حزب البعث السوري الحاكم وأن يبلغ من النفوذ الفكري والسياسي درجة أصبح « كوهين » فيها معلما من معلمي البعث ورائدا من رواد القومية العربية !!

وليس يهمنا الآن ما كانت أغراض كوهين الاخرى ولا ما استطاع أن يحقق في حقل التجسس وتزويد اسرائيل بالمعلومات عن سورية . فقد اثبت التحقيق الذي طواه الصمت والخوف ان كوهين كان واحدا من أكبر جواسيس العصر ، وان ما حققه لبلده قد لعب دورا كبيرا فيما انتهت اليه حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ على الجبهة السورية !

على ان في جملة مهام كوهين ــ بالاضافة الى التجسس وانشاء الصداقات الوثقى بقيادات الحزب والتوجيه الفكري في صفوف البعثيين الجدد ــ **كان الايقاع ما بين سورية والآخرين وفرض العزلة عليها بدفعها**

أكثر فأكثر نحو التطرف (١) .

وثمة قصة قد تفيد معرفتها في كشف بعض أغراض الصهيونية وأهدافها . ففي مرحلة من مراحل النشاط « الكوهيني » المستتر ، دعي فريق من مثقفي دمشق من حزبيين وغيرهم الى محاضرة يلقيها « **الرفيق المناضل والمفكر القومي كامل أمين ثابت** » الذي تبين فيما بعد انه كوهين . وكان موضوع المحاضرة « **عربستان** » وهي منطقة ايرانية تحادد أراضي العراق وفيها بعض العرب . وقد دعا كامل أمين ثابت ــ كوهين ــ في **محاضرته القومية** تلك الى المطالبة بها بوصفها منطقة عربية سابقة . واعتبر ان من « **مهمات حزب البعث ، حزب الطليعة العربية والقضية القومية ، استرجاع الاراضي المغتصبة تاريخيا وأولها عربستان ولواء الاسكندرون** » !!

وأذيعت المحاضرة من راديو دمشق ، فأدت الى قطع العلاقات بين سورية وايران وتوترها ، وتبادل البلدان الاتهام ، ووجد الرأي العام السوري ــ والعربي من حوله ــ نفسه فريسة دعوة جديدة من دعوات التحريض البعثي لم يستطع أن يفهم سببا لها ولا مبررا ، حتى انكشف كوهين واتضحت حقيقته ، فانكشف بالتالي سبب الدعوة ومبررها .

ولقد كان لقطع العلاقات مع ايران ثم لانكشاف كوهين اثره في نفوس بعض الحزبيين الذين لم يجدوا في ظروف سورية بخاصة والقضية العربية بعامة ما يوجب هذه السياسة أو يفسرها ، فألحوا على ضرورة اعادة العلاقات مع ايران ، وأصغى الدكتور ابراهيم ماخوس ــ وزير خارجية البعث ــ الى ذلك ، فأبرق الى سفير سورية في جده ــ وكان قد أعلن عن موعد سفر الملك فيصل الى ايران في زيارة رسمية لها ــ يطلب اليه مقابلة الملك والرجاء منه بأن يتوسط بين سورية وايران خلال الزيارة لاعادة العلاقات بين البلدين ورأب الصدع الذي أحدثته مطالبة كوهين بعربستان !

---

(١) كان أحد أهداف الصهيونية دائما منع قيام دولة مستقرة ومستقلة في سورية . ففي تشرين الثاني من عام ١٩١٤ اتصل « هربرت صموئيل » بوزير الخارجية « غراي » يحثه على تبني قيام دولة يهودية في فلسطين تكون حليفة لبريطانيا وعلى مقربة من مصر وقناة السويس . واقترح عليه أن يعمل ويسعى لمنع قيام دولة عربية مستقلة ومستقرة في كل من سورية والعراق لان مستقبل الدولة اليهودية متوقف على مدى قوة جيرانها أو ضعفهم !

ولم يستطع السفير السوري مقابلة الملك فيصل لوجوده في الرياض وكان اليوم التالي هو موعد السفر ، فسارع الى مقابلة وكيل الخارجية الدائم السيد عمر السقاف ـ وزير الدولة للشؤون الخارجية اليوم ـ وأبلغه رجاء الحكومة السورية .

وطار السيد السقاف الى الرياض ليلا يبلغ الملك الرجاء ، فاستجاب له ، مرحبا بكل ما يزيل جفوة بين بلدين صديقين فكيف وهما سورية وايران . وبذل الملك جهده في زيارته لطهران وكاد ينجح المسعى ، **لولا ان اصدقاء « كوهين » وبقاياه في دمشق سارعوا الى شن حملة القسى ضد ايران . وأعيد ـ حتى بعد اعدام كوهين وانكشاف أمره ـ اذاعة محاضرته « القومية » من راديو دمشق وفيها يطالب بعربستان !**

ذلك وجه آخر من وجوه النشاط الصهيوني لفرض العزلة على العالم العربي والايقاع ما بينه وبين الآخرين جميعا : غربيين ومسلمين . **لان الصهيونية وحدها ظلت تدرك ان مكمن القوة العربية هو في اتصالها بالعالم من حولها وانفتاحها على الغرب وتوثيق صلاتها بعالمها التاريخي : الاسلام .. وان ضعفها هو في قطع هذه الصلات ، وانغلاقها ، وفرض العزلة الخانقة عليها . ومن عجب أن تحقق الصهيونية اغراضها هذه جميعا بغير جهد كبير ، فقد استجاب العالم العربي بسهولة ويسر للسياسة الصهيونيةوحقق لها كل ما تطلب وأكثر منه ببعض ابنائه وقياداته . ويجب أن لا ننسى هنا التنسيق الخفي الذي ظل قائما من وراء كل خلاف ظاهر بين الشيوعية والصهيونية لتحقيق هذا الهدف ! وسنعود الى الموضوع مرة اخرى ببعض التفصيل .**

زيارة الملك فيصل إلى أمريكا

وتجيء محاولات قطع زيارة الملك فيصل الى أمريكا ومن قبلها منعها ، دليلا آخر وحلقة أخرى . ففي أيار وحزيران من عام ١٩٦٦ ، شهدت المنطقة

العربية حملة مشبوهة ضد زيارة الملك فيصل الى أمريكا المحدد لها ٢٠ حزيران ١٩٦٦ . وكانت الحملة تهدف الى منع الملك من زيارة واشنطن والالتقاء بالرئيس الامريكي جونسون . **وفيما خلا قلة أدركت مغزى الحملة وأهدافها ، فقد استطاعت الصهيونية أن تغطي حملتها بأغراض وأقلام ووجوه عربية** . وبلغ من دقة تخطيطها ان أقدمت بواسطة عناصرها في داخل أمريكا على كشف صفقة أسلحة كانت قد زودت أمريكا اسرائيل بها ردا على صفقات الاسلحة السوفياتية الى مصر ، **لتستخدم العناصر والاقلام والوجوه العربية ذلك** في مطالبتها الملك العربي بالغاء الزيارة . ثم حين لم تفلح في تحقيق مطلبها سارعت الى اصطناع مشكلة شخصية للملك في نيويورك بدفع عمدة المدينة الى الغاء حفلة التكريم التي كان مقررا اقامتها له بذريعة ان فيصل هاجم الذين يؤيدون اسرائيل في أمريكا . وكان رد الفعل المتوقع هو أن يقطع الملك زيارته فورا ويعود الى بلده ، وأن تدخل العلاقات السعودية ــ الامريكية بعد العلاقات المصرية ــ الامريكية مرحلة توتر وصدام . غير ان فيصل فوت ببرود أعصابه وثقته بنفسه وتقديمه مصلحة بلده وقضية أمته على كل دواعي النزق الشخصي وأسبابه ، فوت الفرصة على الصهيونية وأتم زيارته وفق البرنامج المقرر ، وكان لموقفه هذا اثر بعيد في عقل وضمير الشعب الامريكي . بل لقد كسب فيصل في موقفه هذا أضعاف ما كانت الصهيونية ترجو أن تحقق فيما لو استجاب فيصل لرد الفعل الطبيعي في أعقاب الغاء المأدبة .

طبعا يجب أن لا يتوقع المرء تبديلا في السياسة الامريكية لمجرد زيارة قام بها مسؤول عربي وحديث مفتوح صادق أداره مع الرئيس الامريكي جونسون أو غيره . **فالعلاقات الطيبة التي تؤدي الى موقف وسياسة لا تبنى في زيارة وحديث . وانما تبنى في زمن وبجهد دؤوب متصل .** مثال ذلك ما حققته الصهيونية ، فهي لم تبلغ هذا التأثير والنفوذ في أيام ولا في شهور ولا في سنوات . ولم يكن تاريخها كله انتصارا متصلا ، فقد تخللته هزائم وانتكاسات ، غير ان ذلك لم يضعف عزيمتها ولا أوهن قواها ولا بدل سياستها . وظلت أبدا تتطلع الى بناء العلاقات مع الغرب وزيادتها، وتجاوز النكسات والهزائم ، وتعميق الصلات الشخصية لقادتها بقادة العالم كله ... الخ .

والمغزى العميق لموقف فيصل في أمريكا يكمن ليس في النتائج التي تمخضت عنها الرحلة بقدر ما يكمن في اصراره على فتح الحوار مع الغرب ، ومع أعظم قواه ، لئلا يؤدي انقطاع هذا الحوار الى المزيد من تاييد اسرائيل والمزيد من الانحياز بجانبها . وتلك مجرد خطوة أولى على طريق طويل يبدو ان لا مناص من السير عليه اذا نحن اردنا حقا ان نصل الى حل عادل ومقبول، والى تحقيق تقدم نزداد به قوة وانسانية ونتحرر من عقد الخوف والجهل والعصبية .

ليس دفاعا عن الغرب ولا من اجله . بل هو دفاع عن أنفسنا ومن أجل مصالحنا ومستقبلنا . فنحن أحوج الى الغرب منه الينا . ذلك منطق الاشياء وحقائقها . والغرب ـ وأمريكا منه بخاصة ـ هو اليوم مصدر الحضارة ومركز القوة . وحتى روسيا في قوتها ما زالت تعيش بعد خمسين سنة من الثورة على حضارة الغرب تأخذ منها ولا تعطيها ، وتتطلع دوما الى أن تبلغ مستواها ، بل تضع في صلب برامجها وسياستها وبيانات قادتها أن تكون يوما كالغرب وأن تحقق ما حقق دون أن تضيف الى الحضارة شيئا أو تزيد في عناصرها وقواها غير اليسير .

ونعود الى الموضوع .

كان هدف الصهيونية من الحملة ضد الملك فيصل هو ذاته ـ في جوهره ومحتواه ـ ما هدفت اليه في مؤامرة لافون ومن قبلها في مقتل اللورد موين ، ومن بعدها في قضية كوهين . انه عزل العالم العربي وفرض الحصار عليه ومنع تأثيره على الاحداث والقوى المحيطة بقضية فلسطين . **واذا كانت الصهيونية لا تخشى بدءا أن تتحول أمريكا ضدها ، فانها تخشى على المدى الطويل أن يتحول الحوار الى تقدير مشترك للمصالح والحقائق . وليس كالصهيونية من يدرك ان جوهر المصالح الامريكية والغربية يلتقي بجوهر المصالح العربية ، وان حوارا عاقلا مفتوحا ومتصلا يمكن أن يلجم الصهيونية ، ثم ان يتحول قوة ضاغطة مثلها ، ثم يؤدي الى تعديل فتبديل السياسة الامريكية ، والى اتجاه مختلف وربما مناقض لاتجاهها الحالي .**

ومن الغريب ان ما عجزت الصهيونية عن تحقيقـه كاد بعض العرب أن ينجح به ، ولذلك حديث طويل وكتاب آخر .

وتبقى ملاحظة صغيرة .

ان نجاح الصهيونية النسبي في تحقيق أهـدافها بالايقاع بين العرب والغرب ، وبين العرب والعرب ، وبين العرب والمسلمين ، وربما بين المسلمين والمسيحيين في المنطقة ، لم يكن مجرد خطة صهيونية نفذت بدهاء وبغير الظروف المواتية . **فقد قدمنا نحن بجهلنا مرة وسوء قصدنا مرة ، كل أسباب نجاح السياسة الصهيونية ، وكنا عونا لها عـلى تحقيق أغراضها ، ولم يكن دورنا في الاساءة الى أنفسنا ـ قاصـدين أو غير قاصدين ـ أقل من دور الصهيونية في الاساءة الينا .**

ولئن كان الايقاع بين العرب والغرب هـدفا صهيونيا محددا عملت له الصهيونية وخططت ، فان بعض العرب حقق منه أبعد مما أرادت الصهيونية وما تصورت . وفي سنوات قليلة استطاع هذا البعض ملفوما بالتوجيـه الصهيوني مرة ، وبالشيوعية مرة ، أن يحقق غرض القطيعة أو ما يشبـه القطيعة بين كل العرب وكل الغرب .

ولئن كان الايقاع بين العرب والعرب ، هـدفا صهيونيا آخر عملت له الصهيونية وخططت ، فان بعض العرب قد حقق منه أيضا أكثر مما توقعت الصهيونية أو أرادت ، فقد بلغ هذا حد الحروب الاهلية مـرة ، وحد الصدام أو التهديد بالصدام مرات ، وحد الخوف الدائم المتصل في كل بلد عربـي من كل بلد آخر . حتى الذين تحالفوا من الثوريين يخشى بعضهم بعضـا ويأتمر بعضهم ببعض !!

ولئن كان الايقاع بين العرب والمسلمين هدفا « كوهينيا » عملت لـه الصهيونية وخططت فان ما حققه العرب من هذا الهدف تجاوز أبعد مطالب الصهيونية .

ونظرة سريعة نلقيها على علاقات بعض العـرب بتركيا وايران وربمـا

بباكستان ، تظهر لنا صحة هذا التقدير .

والقول نفسه يقال عن العلاقات الاسلامية المسيحية . فلئن كان الايقاع بين المسلمين والمسيحيين هدفا صهيونيا أيضا عملت له الصهيونية وخططت لتمزق الوحدة الوطنية من نحو وتعزل العالم الاسلامي عن العالم المسيحي من نحو آخر . فان ما حققنا منه نحن أنفسنا ببلادة التفكير وسخف التصرف وسوء النية جاء أضعاف أضعاف ما تطلعت اليه الصهيونية وأرادته . وليس مصادرة المدارس الخاصة في سورية في شهر تشرين الاول من عام ١٩٦٧ بغير مبرر وفي ظرف نحن أحوج ما نكون فيه الى تركيز الجهد والاهتمام على فلسطين والعدوان ، ليس ذلك سوى واحد من وجوه السياسة الداخلية المحققة للغرض الصهيوني ! وكدت أقول : سوى واحد من وجوه الصهيونية ذاتها !!

في مقابل هذه السياسة ، ما كان منها صهيونيا مخططا لنا أو عربيا متوافقا معها ، ماذا نجد في السياسة الصهيونية من الآخرين ، كل الآخرين ؟

على صعيد العلاقات الغربية الصهيونية رأينا في استعراضنا السريع الموجز لتاريخ الحركة الصهيونية نماذج من الاسلوب الصهيوني في بناء العلاقات . فهو أسلوب دؤوب ، مثقف ، يبني الصلات يوما بعد يوم ويتطلع الى المزيد منها كل يوم ، ليضعها فيما بعد في خدمة غرضه القومي . **ولقد استطاعت الصهيونية في نصف قرن أن تحول العداء التاريخي لليهود في أوربا المعبَّر عنه باللاسامية الى صداقة وطيدة ، وأن تبني عليها مواقف مشتركة وسياسة مشتركة وأهدافا مشتركة** . ولم تيأس الصهيونية من تحقيق هدفها على الرغم مما واجهت من متاعب وما اعترض طريقها من معاطب . وظلت تعمل عبر اليأس والامل وفي النصر والفشل بثقة لا حد لها بالنفس وايمان لا حد له بالعلم والعقل . وكان حصاد كل ذلك ما نرى من نفوذها وقدرتها ، ومن صلاتها بالعالم كله ، شرقه وغربه ، صغيره وكبيره .

وعلى صعيد علاقاتها بالمسيحية يحسن أن نعرف ان « وايزمن » ـ ١٨٧٤ ـ ١٩٥٢ ـ أول رئيس لاسرائيل وثاني رئيس للمنظمة الصهيونية

بعد هرتزل ، قد تخرج عام ١٨٩٩ من جامعـــــة « فريبورغ » في سويسرا وتمكن في وقت محدود وبجهـــد عقلي منظم أن ينشىء جمعيات للصداقة الاسرائيلية المسيحية ، ذات ثلاثة مراكز اليوم في زيوريخ ، وبال ، وجنيف. وحتى تستطيع الحركة الصهيونيـــة أن تذيب جليد الجفـاء التاريخي بين اليهودية والمسيحية ، ظلت طـــوال نصف قرن تتقرب مـــن المسيحية ، والفاتيكان بوجه خاص ، وتقيم معها أوثق الصلات وأفضل الروابط .

وفي جملة النشاط اليهودي غير المحدود ، العمل على نشر كل ما يجمع بين المسيحية واليهودية من عقائد وتقاليد مذكرين دوما بأن أنبياء العهـــد القـديم والسيدة العذراء مريم والسيد المسيح وبطرس وبولس ، هم جميعا من اليهـــود .

والى جانب هذا ، تنشط الصهيونية لايهام العالم الغربي بأن اسرائيل وحدها تمثل قوة الحضـــــارة الغربية في الشرق الاوسط وتحمي القيـم المسيحية ، وهي التي تستخرج مياه الصحراء وتحيي موات الارض وترفع مستو ىالشعب وتبني المعاهد العلمية والانسانية ، في حين ان العربغرقى في ظلام الجهل واللذائذ الخبيثة ، وهم يتخبطون فـــي فوضى سياسية ، وتحكمهم ديكتاتوريات متآمرة على الغرب تكيـــل له الشتائم وتنفق الاموال على أمجادها الشخصية فلا تخدم هدفا حضاريا ، وتحمل العداء للمسيحية وتصادر مدارسها !

وتستغل الصهيونية في نشر كل ذلك وسائل الاعلام بآخر وأبرع مـــا وصل اليه العلم الحـــديث . **وقد ساعدها على توثيق صلاتها بالمسيحيـــة الموقف الغوغائي والمتاجر في داخل العالم العربي الـــذي يظاهر المسيحيين العداء ويرمي عليهم أسباب الجهل والامية ولا يعرف كيف يفتح لهم قلبـه وعقله ليقيم معهم علاقات مواطنة هي أعلى وأرفع من كل تعصب جاهل ، بل هي جزء من تراث اسلامي سابق كان يفترض أن نحييه بدلا مـــن أن يعمينا التعصب المريض فنتنكر له .**

وعلى صعيد العلاقات اليهودية الاسلامية ليس من يجهل انالصهيونية استطاعت لفترة سابقة أن تكسب الى جانبها تركيا فتعترف هذه باسرائيـــل وتقيم معها علاقات الود والصداقة . كذلك هي حاولت وكادت تنجح فـــي

اقامة علاقات مماثلة مع ايران . وحين قام الملك فيصل بمحاولة جادة لاعادة ما انفصم من روابط البلدان الاسلامية لخير العرب وخير قضية فلسطين ارتفعت أصوات الشيوعية والصهيونية المستترة تشتم وتتهم . ومن عجب ان هذه الاصوات سكتت بعد العدوان حين فوجئت بموقف تركيا الايجابي والمؤيد للعرب وموقف ايران المماثل . **وواضح انه كان لزيارة الملك فيصل وسياسته الاسلامية المنفتحة غير المغلقة على الآخرين أكبر الاثر في موقفي تركيا وايران ، وفي موقف بلدان اسلامية أخرى .**

وما زلت أذكر حديثا قريبا مع صديق يعيش فيأوروبا ويتابعالاحداث من بعيد وبغير هوى أو غرض أو ارتباط قال : ثمة حدثان في السنوات الاخيرة أنقذا العرب والحقا بأهداف الصهيونية الهزيمة . أولهما زيارة فيصل لامريكا ، فقد اعادت الزيارة الحوار المقطوع بين العرب والغرب . وثانيهما قرار مؤتمر الخرطوم باعادة ضخ البترول ، فقد ابقى هذا القرار في لحظة جد خطرة على شعرة العلاقات العربية ــ الغربية ، **وأبطل جانبا هاما من الزعم الصهيوني بأن العرب باعوا الغرب وانحازوا ضده وهم موشكون أن يعطلوا مصالحه . وكان غرض الصهيونية من هذا ان تأخذ الغرب الى جانبها بغير حساب** ، ولو نجحت الصهيونية في هذا لانتهت القضية العربية ولحكم على العرب بأن يعودوا الى خيامهم مرة اخرى ودون ان يحققوا هدفا .

وقال : لقد لعبت الصحافة الصهيونية دورا بعيدا في ابراز موقفي سوريا والجزائر المتطرف من موضوع اعادة ضخ البترول ، وكان الهدف من ذلك تشجيعهما على المضي في هذه السياسة الى النهاية بحيث تفرضان على العالم العربي وقف الضخ وتحقق الصهيونية ما لم تستطع أن تحققه في عدوان الخامس من شهر حزيران . غير ان قرار اعادة الضخجاء لطمة لها قاسية ونبه عقلاء الغرب الى حقائق كادت الدعاية المنظمة أن تطمسها وتزورها .

طبعا لقد كان ما أرضىالثوريين منالقرار هو انهم قبضوا ثمن موقفهم هذا . غير ان ما أرضى الغرب كان مختلفا جدا . انه الموقف بحد ذاته والمبدأ . لقد أشاع القرار اطمئنانا عاما وجعل الغرب ينظر الى الصهيونية كقوة في المنطقة وليس كحارس لمصالحه . وفي هذا تكمن اهمية القرار وخطورته ، بله ايجابيته .

الشيوعية ـ الصهيونية
صلات وروابط !!

استعرضنا الى الآن شيئا من تاريخ الحركة الشيوعية ورأينا كيف ان اليهود هم الذين صاغوا فكرها ، وأسسوا تنظيماتها الاولى ، وقادوا ثورتها في روسيا ، وظلوا المهيمنين عليها .

كذلك استعرضنا جانبا من تاريخ الحركة الصهيونية واهدافها ، واسلوبها في العمل ، فهي حركة متممة للشيوعية وليست مناقضة لها . **وذلك ان الشيوعية هي موقف اليهود من الآخرين :** حقد يعبر عن نفسه بالطبقية ، ورغبة في الخروج من الغيتو اجبارا والبقاء فيه اختيارا يعبر عن نفسه بالاممية .

أما الصهيونية فهي موقف اليهودية من نفسها . هي مطلب اليهودية القومي .

وقد يذهب البعض الى القول ان الشيوعية والصهيونية حركتان يهوديتان ، الاولى حركة العمال اليهود والثانية حركة الاغنياء اليهود ، وما بينهما من اختلاف حقيقي أو ظاهري هو اختلاف الاغنياء والفقراء لا أكثر ولا أقل .

على انه مهما يكن من خلاف ظاهر أو حقيقي بين الصهيونية والشيوعية **فمما لا جدال فيه انهما معا يمتحان من نبع واحد ويصبان في بحر واحد .**

ويظل ما بينهما من نقاط الاختلاف الظاهر اقل مما هو بينهما في الجـوهر من نقاط الاتفاق الخفي . فلم يسبق أن اصطرعت الصهيونية والشيوعيـة صراع حياة وموت ، بل ظل خلافهما يدور حـول الاشكال والاساليب وليس حول الغايات والاهداف .

يقول « **هنري فورد** » في الدراسة التي نشرت باسمه تحت عنـوان « اليهودي العالمي » أن الصهيونية بمعناها السياسي المعاصر قد « **نشـات عنصريا وجغرافيا في نفس المكان الذي نشات فيه البلشفية وهو روسيا ، وانـــه كان ثمة علاقـــة وثقى دائما بين صهيونيي روسيا وكيهيلا نيويورك ـ مجلس الطائفة اليهودية ـ كما ظهر في التصريحات العلنية التي قيلت في روسيا بعد نجاح الثورة والتي مجـــدت فيها الكيهيلا ـ أي مجلس الطائفة اليهوديـــة !**

ويتساءل « فورد » : لماذا تؤيـــد اليهودية وهي تجسيد للراسماليـة الحركة البلشفية التي تمثل العدو الاكبر للراسمالية ؟

ويجيب : « لا ريب في ان السؤال ممتـــع . ترى لماذا يمول يهودي نيويورك مطبوعة حمراء لا تستطيع حتى حكومتنا المتسامحة أن تستسيفها ؟ **ان راس المال غير اليهودي هو وحده الذي تهاجمه البلشفية** . واليهـودي الامريكي عابد العجل الذهبي يود أن يظل على صلة حسنة مع يهوديالشرق ، اليهودي المغولي الذي يحاول تحطيم انظمة المجتمع القائمة . ومن المفيـــد جدا عندما تنشب ثورة في باريس مثلا ان توفر الجماهير الثائرة التي تعمل في الحرق واشعال النيـــران بيوت اليهـــود ، تماما كما وقع لبيـــوت « آل روتشيلد » ابان الثورة الفرنسية . **والصهيونية هي احدى المواضيع التي يستطيع يهود الشرق والغرب أن يتحدوا في خدمتها** » .

وقد سبق أن اوردنا في مكان سابق من البحث ما نشرته صحيفـــة « الجويش كرونيكل » الكندية وهي الصحيفة الناطقة بلسان اليهود ، مـــن من اقوال اللورد « بيرسي » . يقول اللورد : « أن الشيوعية والصهيونيـة تنموان في أوروبا الشرقية جنبا الى جنب ، تماما كما قـام النفوذ اليهودي

بصياغة الفكر الجمهوري والاشتراكي طيلة القرن التاسع عشر الى ان وصل لثورة تركيا الفتاة في القسطنطينية » !

على ان ما هو أدل على صلات اليهودية ــ صهيونية كانت ام مستقلة ــ والشيوعية وروابطهما الخفية ، **مجموعة قضايا التجسس في امريكا وتهريب الاسرار الذرية الى روسيا .. ثم مواقف الاتحاد السوفياتي الى جانب قيام اسرائيل منذ وعد لينين بمنح فلسطين لليهود حتى مناداته بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٨ ، وفي عدواني ١٩٥٦ عـــلى مصر ، و ١٩٦٧ على مصر وسورية والاردن .**

فما هي هذه الصلات ، وما حقيقتها وما عناصرها ودلالتها ؟

فضائح الجاسوسية في أمريكا

منذ عام ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٥٢ تكشفت في أمريكا سلسلة من فضائح الجاسوسية بينها فضائح كان لها اثرها في تعديل ميزان القوى في العالم وفي اصطناع التوازن الموقت ، وقد اتضح ان جميع ابطال تلك الفضائح كانوا من اليهود ، وبعضهم كان ينتظم في الحركة الصهيونية ، ومن عناصرها البارزة .

هذه السلسلة من فضائح الجاسوسية كانت :

* **فضيحة « اميريجيا » .**
* **فضيحة « الدجر هيس » .**
* **فضيحة « ايسلر » .**
* **فضيحة « هوليود » .**
* **فضيحة « فوخس ـ غولد الذرية » .**
* **فضيحة الحزب الشيوعي الامريكي .**

ليس في موضوع كتابنا تقصي فضائح التجسس مهما كان طابعها ، الا ان هذه الفضائح بالذات هي بعض الدليل على الصلة الخفية المنتظمة المستمرة بين الشيوعية واليهودية ـ وسواء اكانت يهودية مستقلة ام صهيونية فالاختلاف بينهما يكاد ان لا يراه المدقق وهو في كل حال ليس

أختلافا على الغايات والاهداف بل على الوسائل والاساليب .

ولن نذكر هنا تاريخ أو تفاصيل هذه الفضائح ، وانما نحن نقدم على عجل شيئا عنها وأسماء أبطالها ليمسك القارىء معنا بالخيط الرقيق الدقيق الذي يشد الحركتين اليهوديتين ويربط بينهما .

ففي فضيحة اميريجيا ــ ١٩٤٥ ــ القي القبض على ثلاثة من اليهود اتضح انهم سرقوا من ملفات وزارة الخارجية الامريكية لحساب روسيا ١٧٠٠ وثيقة . وهم : « فيليب جافه » وهو يهودي روسي الاصل . « اندرو روث » وهو يهودي امريكي وملازم في المخابرات البحرية . و « مارك غاين » وهو كاتب ولد في امريكا لابوين يهوديين روسيين واسمه اليهودي جوليوس غنتربرغ .

وفي فضيحة الدجر هيس وهو يهودي اتهم بسرقة وثائق من وزارة الخارجية ايضا ، تحرك يهود امريكا بسرعة في محاولة لانقاذه ، غير انه حكم بتهمة التجسس واقتيد الى السجن . وكان المدافع الاول عنه « فرانكفورتر » اليهودي النمسوي الاصل وأحد أعظم العناصر اليهودية نفوذا في امريكا .

وفي فضيحة « جوديث كوبلن » اليهودية ــ ١٩٤٩ ــ القي عليها القبض وهي تعطي وثائق من وزارة العدل الى جاسوس روسي موظف في الامم المتحدة . واعترفت بالتجسس وحكم عليها خمسة عشر عاما !

وفي فضيحة « جيرهارت ايسلر » اتضح انه كان زعيما للحزب الشيوعي الامريكي وقد تستر بأسماء كثيرة مستعارة وكان كثير التردد على روسيا فيما بين اعوام ١٩٣٥ ــ ١٩٤٧ ، ينقل اليها الاسرار ومنها التعليمات والاوامر . وله أخت ظلت تعمل في الجاسوسية الشيوعية منذ عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٤٦ واسمها « **روث فيشر** » . ومساعده في الحزب يهودي ايضا اسمه المستعار « بيترز » والحقيقي « **غولد برغر** » . ولاسرة ايسلر بشكل عام ، وهي اسرة يهودية ، نشاط واسع في كل حقل من حقول الشيوعية والنشاط الثوري . وقد هرب « ايسلر » فيما بعد الى اوروبا

الشرقية وتسلم في المانيا الشيوعيـــة المحتلة من الروس منصب مديريـة الدعايـــة !

وفي فضيحة كتاب هوليود ـ ١٩٥٠ ـ اتضح للجنة التحقيق فـــي النشاط غير الامريكي التي أشرف عليها الشيخ « ماكارثي » ان ستة منهـم كانوا أعضاء سريين في الحزب الشيوعي الامريكي والآخرين اصدقاء . وان تسعة منهم كانوا يهودا . وان مهمتهم كانت كتابة « السيناريو » وحشـو الدعاية الشيوعية واليهودية في وقت واحد في جميع ما تنتج هوليود مـن افلام ، وهم : **الفابسي . هربرت بيبرمان . لستر كول . ادوارد دمتـريك. رنغ لاردنر الابن . جون هوارد لوسون . ألبـرت مالتـز . سام أورتنـز . أوريان سكوت . دالتون ترامبو** . وباستثنـــاء « أدريان سكوت » فجميـع الآخرين من اليهود .

وفي فضيحة الحزب الشيوعي الامريكي الذي القي القبض على قيادته عام ١٩٤٩ اتضح ان ستة من تسعة من قادة الحزب كانوا يهودا ، وهم :

« جيكوب ستناشل » يهودي روسي .

« جون غايتس » واسمه اليهودي « اسرائيل رينغشترايف » ، وكـان رئيسا لتحرير صحيفة « ديلي ووركر » وضابطا سابقا في الفرقة الشيوعية التي حاربت ضد فرانكو في اسبانيا .

« غلبرت غرين » واسمه اليهودي « غرينبرغ » .

« غس هول » واسمه اليهودي « آرنومايك هلبرغ » .

« ايرفنغ پوتاش » يهودي روسي الاصل .

« كارل ونتر » واسمه اليهودي « فيليب كارل فايسبرغ » .

ولم يثبت ان الثلاثة الآخرين من قادة الحزب وهم : يوجين دفيس ، روبرت تومسون ، وجون ويليامسون ، كانوا يهودا ، كذلك لم يثبت النقيض.

وقد تسلم قيادة الحزب الشيوعي الامريكي بعد هؤلاء مكتب سياسي من رجال الصف الثاني يتألف من ٢١ عضوا بينهم أربعة عشر يهوديا هم :

« **ايزيدور بيفون** » يهودي روسي .

« **ماريان مكسويل ابت** » يهودية امريكية .

« **اسرائيل امتر** » يهودي أمريكي روسي الاصل .

« **جورج تشارني** » يهودي روسي .

« **البرت لافون** » يهودي مجهول الجنسية !

« **لويس فاينشتوك** » يهودي مجري .

« **الكسندر بتلمان** » يهودي روسي .

« **بتي غانيت** » يهودية بولونية .

« **سايمون غرسون** » يهودي أمريكي .

« **فكتور جيروم** » يهودي بولوني .

« **جاكوب مندل** » يهودي روسي .

« **الكسندر تراشتنبرغ** » يهودي امريكي .

وفي فضيحة فوخس ـ غولد الجاسوسية الذرية ، اتضح ان « كلاوس فوخس » وهو يهودي الماني الاصل قد نقل الى روسيا اسرارا ذرية خطيرة. وقد ألقى القبض عليه رجال المخابرات البريطانية في شباط ١٩٤٩ . وبالتحقيق معه تبين انه سبق له أن دخل بريطانيا في مستهل الحرب الثانية فألقي القبض عليه بصفته أجنبيا ومن دولة معادية ـ المانيا ـ ثم ما لبثت سلطات الامن أن افرجت عنه بواسطة « **آينشتاين** » العالم الكبير واليهودي ايضا . وقد دخل فوخس فيما بعد أمريكا واتيح له ان يطلع فيما بين عام ١٩٤٢ و ١٩٤٥ على أخطر الاسرار الذرية ، وأن ينظم شبكة سرية للتجسس اعتقلت منها سلطات الامن الامريكية تسعة اشخاص بينهم ثمانية يهود .

وكانت هذه الشبكة الخطيرة والتي اعتبر ما نقلته من أسرار ذرية الى

روسيا ، اخطر قضايا التجسس خلال الحرب وبعدها ، كان لتلك الاسرار اثرها البعيد في تعديل ميزان القوى العالمي وفي انقاذ الشيوعية بعد الحرب واطلاق اقواها وتعزيز مركزها .

واليهود الثمانية هم :

١ - ٢ - جوليوس ، روزنبرغ وزوجته ايتل : وهو مهندس كهربائي ولد في أمريكا لابوين يهوديين روسيين . سرق رسوما سرية لاختراع هام من شركة « ايمرسون » الكهربائية واعطاه للروس ، وقد استعمل ضد الطائرات الامريكية في كوريا . كذلك ساعد على سرقة الاسرار الذرية ، وكانت مهمته أن يتذكر ما يعطيه جاسوس آخر هو غرينكلاس ثم ينقلها الى الروس . وقد أعدم مع زوجته ايتل في عام ١٩٥٣ ، وكانت هذه تنقل الاسرار ايضا وهي شقيقة غرينكلاس .

٣ - غرينكلاس : وهو يهودي لاب روسي وام بولونية . كان واحدا ممن زودوا « غولد » احد العناصر الرئيسية في شبكة التجسس وصلة الوصل بين الجواسيس ورئيس الشبكة الروسي « سيمونوف » . وقد عمل غرينكلاس في المصانع الذرية في ولاية مكسيكو بين عام ١٩٤٤ وعام ١٩٤٦ ، وأتاح له مركزه أن يعرف الكثير عن أسرار القنبلة الذرية . وهو الذي زود روزنبرغ بمعلومات هامة حول استعمال كبسولة التفجير . وزود هاري غولد بتفاصيل أخرى عن القنبلة الذرية . وكان يرأس مصانع العمل في تلك المرحلة « روبرت اوبنهايم » اليهودي !!

٤ - هاري غولد : وهو يهودي كيماوي ، ولد في سويسرا لابوين يهوديين روسيين . اسمه الاصلي « غولد دنيتسكي » . كان صلة الوصل مع « سيمونوف » رئيس الشبكة الروسي ، وكان ينقل اليه ما يتجمع عنده من معلومات من أعضاء الحلقة الموزعين في جميع مؤسسات الدفاع والذرة .

٥ - ابراهام برونمان : وصف مسؤول روسي ما قدمه من معلومات بأنه يعدل قيمة فرقتين من جيش روسيا . زود « غولد » بمعلومات سرية عن بنزين الطائرات والمحركات الجوية والمطاط الاصطناعي . وهو يهودي ، وكان يرأس مؤسسة « بروثمان » وشركاه الهندسية في ولاية نيويورك .

٦ – مورتون سوبل : يهودي امريكي ورفيق روزنبرغ الدراسي . قدم الى روزنبرغ معلومات الكترونية تتضمن أسرار الرادار .

٧ – مريم موسكوفتش : يهودية وموظفة في لجنة القوات الحربية بين سنوات ١٩٤٢ – ١٩٤٤ ، وكانت تعمل في مؤسسة « بروثمان » . اعترفت باشتراكها في حلقة التجسس ونقلها المعلومات .

٨ – سدني فاينباوم : واسمه اليهودي « اسرائيل » . كان يعمل في مختبر للاشعاع الذري وقدم لروسيا أسرارا ذرية ثمينة. وهو روسي الاصل.

ولقد حدث دائما ان تساءل الراي العام في امريكا وخارج امريكا ، كيف تمكن هؤلاء من الوصول الى مراكزهم تلك ؟

والجواب نجده في النفوذ الصهيوني المعروف داخل امريكا ، وهو نفوذ ضاغط .

فمثلا تمكنت القوة الصهيونية عام ١٩٤٦ من ان تفرض على ترومان تعيين مجلس أمريكي للاشراف على جهود امريكا الذرية ، ويراس هذا المجلس المؤلف من خمسة أعضاء يهودي هو **« دايفد ليلنتال »** ، ويضم في عضويته **« شتراوس » وهو يهودي ، و « بيتشر » وهو يهودي ايضا** . وكانت ثمة اكثر من علامة استفهام حول ميول « ليلنتال » نفسه الشيوعية.

طبعا لسنا نملك دليلا نهائيا وحاسما واخيرا على وجود تلك الصفة الخفية بين الصهيونية والشيوعية ، غير ان الدلائل كلها وهي كثيرة تشير الى مثل هذه الصلة وتؤكدها . وما ذكرناه عن حوادث التجسس في أمريكا التي ادين في معظمها اليهود هو مجرد نماذج من أدلة متوافرة لمن اراد البحث والتقصي .

ونستطيع أن نضيف الى تلك الحوادث والاسماء حوادث مماثلة في كندا ، وكلها تتصل بالتجسس لحساب روسيا ، من عناصر يهودية . وهي قضايا شهرت في حينها وطواها النسيان اليوم . غير انه لا ينفي دلالتها ولا يضعف من أهميتها ومغزاها .

ففي عام ١٩٤٥ اكتشفت السلطات الكندية شبكات تجسس واسعة اتضح ان أبرز أعضائها كانوا من اليهود :

دريدروز – روزنبرغ – وهو يهودي بولوني .

ريمون روير – أستاذ جامعة ، زود روزنبرغ بمعلومات عن متفجر سري ، وهو متزوج من اليهودية انيتا كوهين ، وقد حوكم معه كل من صموئيل غرسون وهو يهودي روسي ، ودافيد شوغار . واشترك في حلقة التجسس هذه ايزيدور غوتهايل ، واسرائيل هلبيرين ، وسام كار – كوهين – الخ .

فاذا تركنا حوادث التجسس الخطيرة في دلالتها على يهوديةالشيوعية وصلات وروابط الصهيونية بها ، فاننا نجد مثالا آخر وأدلة أوضح وأوثق في قيام اسرائيل ذاتها ، وفي موقف الاتحاد السوفياتي من القضية الفلسطينية بوجه عام : منذ عام ١٩٤٨ وحتى اليوم .

فما هو هذا الموقف ؟..

وماذا كان الاتحاد السوفياتي يقول عنها ؟..

وما نقاط الالتقاء والتوافق بين الشيوعية والصهيونية في موضوع فلسطين بالذات ؟!

التأييد السوفياتي للصهيونية ١٩٤٧-٤٨-٤٩ في الأمم المتحدة... وقيام اسرائيل !!

اتجهت السياسة الصهيونية في أعقاب الحرب العالمية الثانية الى انتهاج خطتين للعمل ، بعد أن أيقنت ان المناخ الدولي مسعف لها في تحقيق هدفها . هاتان الخطتان كانتا :

١ ــ تشجيعا غير محدود للهجرة اليهودية من الخارج .

٢ ــ تشجيعا غير محدود للارهاب في الداخل .

وقد بدات الصهيونية سياستها هذه بالضغط المتواصل على الحكومتين الامريكية والانكليزية للسماح بهجرة مئة الف يهودي الى فلسطين . ونجحت في البدء مع الرئيس ترومان متأثرا بليبراليته من نحو وبعطفه على اللاجئين اليهود في أوروبا من نحو آخر ، فأيد حجم الهجرة ، واقترح أتلي رئيس وزراء بريطانيا تأليف لجنة أمريكية انكليزية مشتركة للتحقيق في المشكلة الفلسطينية والتوصية بما ترى ، فجاء قرار اللجنة مؤيدا السماح بالهجرة المحدودة الى فلسطين ، الا ان الحكومة البريطانية تحرجت من الموافقة على ذلك وعبر بيفن وزير الخارجية البريطانية عن مخاوف حكومته من هذا الاتجاه وقال في مناقشة له أمام مجلس العموم **ان المشكلة سياسية في جوهرها . ولو ان الموضوع كان مشكلة اليهود اللاجئين انسانيا لامكن تسويتها ، ولكن الحركة الصهيونية تطرحها على أساس سياسي ، والوكالة**

اليهودية تجعل منها بداية لهجرة أوسع تتحدث فيها منذ اليوم عن هجـرة الملاييـــن .

كان هذا الموقف المتمنع بـــداية توتر جزئي في العلاقات اليهوديـــة الانكليزية ، أدى فيما بعد الى تفجير سياسة الارهاب في الداخل على نطاق واسع للضغط على الحكومة البريطانيـــة .. وانتهى ذلك كله الى اعتراف بريطانيا بفشل انتدابها على فلسطين ، **والى مذكرة اقدمتها في الثاني مـــن شهر نيسان عام ١٩٤٧ الى الامانة العامة للامم المتحـــدة طالبت فيها بادراج المسألة الفلسطينية في جدول أعمالها .**

وقد تضمن الطلب البريطاني دعوة الجمعية العامة الى جلسةاستثنائية وتأليف لجنة خاصة مهمتها تقديم دراسة مبدئية عن المسألة الفلسطينيـــة تتم باشراف الامم المتحـــدة ، ثم تقرر ما ترى بشأن مستقبل الحكم فـــي فلسطيـــن .

وقد وافقت أغلبية الدول الاعضاء على عقد الجلسة وأحيل الموضوع على اللجنة التوجيهية للجمعية العامة لتقرر في الطلب البريطاني ما تراه . وكـــانت اللجنة مؤلفة من أربعـــة عشرة دولة : مصر من الدول العربية ، ودولتين اشتراكيتين هما : الاتحاد السوفياتي وبـــولونيا ، ودولة نصف اشتراكية هي : تشيكوسلوفاكيا (١) ، وعدد من الدول الاوروبية وغيرها .

وقد طلبت الدول العربية الاعضاء يومذاك في الامم المتحدة المشاركـة في اجتماعات اللجنة التوجيهية بوصفها دول ذات صلة مباشرة بالقضية ، فوافقت اللجنة .

وسارعت الدول العربية لتقطع الطريق على أية مناورة وراء الكواليس الى تبني مطلب واضح محدد هو : **انهاء الانتداب البريطاني على فلسطيـــن واعلان استقلالها** . غير ان اللجنة التوجيهية ردت المطلب العربي ولم يؤيدها

---

(١) لم تكن تشيكوسلوفاكيا قد سقطت بعد فريسة الشيوعية تماما ، ولكنها كانت تعيش في ظل النفوذ الروسي ، وبمشاركة الحزب الشيوعي الحاكم فيها .

الاتحاد السوفياتي ، ثم أيدت الدول الاعضاء في اللجنة بما فيها الاتحاد السوفياتي المطلب البريطاني ، وغدا عنوان البحث وموضوعه : مستقبل الحكم فيفلسطين ، بدلا من انهاء الانتدابالبريطاني عليها واعلان استقلالها.

ومما يلفت النظر ان المندوب الروسي السيد غروميكو — وزير الخارجية اليوم — وقف يعلن بوضوح معارضته للموقف العربي المنادي باستقلال فلسطين وانهاء الانتداب . وقد حدد مواقفه الصريح هذا فيجملة واضحة قال : « لا يستطيع احد أن يرغم الجمعية العامة على اتخاذ قرار يؤيد مطلب العرب » .

ولم يدرك المندوبون العرب يومها ان هذا الموقف الروسي لم يكن غير بداية ، وان حبل التأييد الشيوعي للصهيونية سيكر طويلا حتى يومنا هذا ، على الرغم من كل حديث الخلاف والمعارضة . **فليست الشيوعية ولا الصهيونية سوى وجهين مختلفين لعملة يهودية واحدة !**

الإتحاد السّوفيَاتي وَالوكالة اليهُوديَة

لم يكتف الاتحاد السوفياتي برفض مبدأ استقلال فلسطين ، ولا بتأييد المطلب البريطاني الغامض ، وانما خطا خطوة أبعد حين **أصر في اجتماعات الجمعية العامة على أن تشارك الوكالة اليهودية بوصفها ممثلة للشعب اليهودي في عرض وجهة النظر الخاصة بفلسطين . ثم زاد على ذلك بأن دعا الى مشاركة هيئات يهودية أخرى بينها الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، واللجنة العبرية للتحرير الوطني ، ولجنة العمل الفلسطيني** .. الخ ، في بحث المشكلة الفلسطينية . واستطاع الضغط السوفياتي بتأييد ومشاركة الدول التابعة له ، والدول الغربية المتأثرة بالنفوذ الصهيوني فيها ، أن يجعل الاستماع الى وجهة النظر اليهودية أمام اللجنة السياسية موزعا على ست لجان وهيئات وأحزاب يهودية . ولم يجد دعاة الاشتراكية المتشدقون بمكافحة الاستعمار ، المرتفعة أصواتهم أبدا بالحديث عن حقوق الشعب وتقرير المصير .. لم يجدوا ما يبرر دعوة ممثلي عرب فلسطين للاستماع

الى وجهة نظرهم . **وحين طرح على الجمعية العامة اقتراح بدعوة اللجنة العربية العليا عارضه السوفيات ، وظلت الدعوة لممثلي شعب فلسطين قائمة من اللجنة السياسية ، وهي فرع ، لا من الجمعية العامة وهي الاصل. وقد بذل السوفيات جهودا مستميتة ليحولوا دون اتخاذ قرار يضعف من مركز الوكالة اليهودية بوضعها مع اللجنة العربية العليا على قدم المساواة ، وظلوا الى اللحظة الاخيرة يعتبرونها قوة الدولة اليهودية القادمة والممثلة الرسمية لها .**

كل ذلك ، ولم يكن قد اتخذ أي قرار بشأن فلسطين . فقد كانت الجمعية العامة ما تزال في بداية جلساتها الاستثنائية لبحث طلب بريطانيا حول مستقبل الحكم فيها .

اللجنة الخاصة ، وتحديد الأهداف !

انتهت الامم المتحدة في أوائل شهر أيار لعام ١٩٤٧ ، من الموافقة على الطلب البريطاني ، ورد الطلب العربي ، ودعوة الوكالة اليهودية والهيئات والاحزاب اليهودية الاخرى للاستماع الى وجهة نظرها في موضوع فلسطين .. لتنتقل الى الموضوع الذي حددته المذكرة البريطانية وهو تشكيل اللجنة الخاصة لتقديم الدراسة المبدئية المقترحة باشراف الامم المتحدة عن المسألة الفلسطينية .

وقد تمكن الجهد الشيوعي المنسق مع الجهد الصهيوني ، من ضم دولتي يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا الى اللجنة الخاصة. وكان عدد أعضائها احدى عشرة دولة هي : الهند ، ايران ، هولنده ، غواتيمالا ، السويد ، يوغوسلافيا ، تشيكوسلوفاكيا ، كندا ، استراليا ، بيرو . ولم يكن في هذه المجموعة سوى دولتين تقفان بجانب العرب هما ايران أولا والهند ثانيا ، ودولة محايدة يتيمة هي السويد ، وثماني دول تخاصم الحق العربي وتنحاز الى خصومه لاسباب تختلف وتلتقي جميعا عند نقطة واحدة هي التعاطف مع الموقف الصهيوني !

تألفت اللجنة في أيار ، **وسارع السوفيات الى تحديد أهداف اللجنة بتوسيع صلاحياتها بحيث تقدم دراسة كاملة للمسألة اليهودية من خلال بحث مشكلة فلسطين . وأصر « غروميكو » وممثلو الدول التابعة على أن تشمل مهمة اللجنة دراسة «أساة اليهود في أوروبا وزيارة معسكرات اللاجئين منهم والاستماع الى كل الهيئات والاحزاب اليهودية** . وكان في نصوص الاقتراحات والمشاريع التي قدمها الاتحاد السوفياتي والدول الملحقة به ـ وبينها بولونيا ـ دعوة صريحة الى اللجنة لتجمع وتحلل وتدرس كل ما يتصل بالقضية الفلسطينية ، وتستمع الى جميع الآراء وتتقبل الدراسات والمذكرات والرسائل من كل الهيئات التي تجد نفسها مهتمة بها.

ثم ما لبث الاتحاد السوفياتي أن خطا خطوة أبعد ، مفصحا في وقت مبكر جدا عن التزاوج بين الهدفين الصهيوني والشيوعي في المنطقة ، فدعا الى مساهمة الدول الكبرى في حل المشكلة الفلسطينية ، وطالب غروميكو في جلسة اللجنة السياسية المنعقدة بتاريخ الثامن من أيار بحل دولي للمشكلة يشارك فيه الاتحاد السوفياتي . وكان مما قاله :

« ان أيسر الطرق لتسوية مستقبل فلسطين هو أن تتفق الدول الكبرى ذوات المقاعد الدائمة في مجلس الامن على الحل . والاتحاد السوفياتي مستعد أن يتعاون الى أبعد الحدود . ليفهم بعضنا بعضا فهما أصح من الآن : ان لنا جميعا مصالح مشتركة هناك » .

اقتراح التقسيم الأول :

وحتى يكون الموقف الروسي أوضح في الكشف عن أهدافه ومراميه ، أطلق غروميكو في خطابه ذاك اقتراحه الاول موجها فيه اللجنة الخاصة محددا لها مهمتها ، فنادى « بحكم يتساوى فيه العرب ـ وهم الاكثرية ـ مع اليهود ـ وكانوا الاقلية ـ في دولة واحدة يحكمها العرب واليهود حكما مزدوجا » ، **« فاذا تعذر ذلك فقد يكون الحل في تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية »** .

كان اقتراح التقسيم هذا أول اقتراح رسمي أطلق في أجواء الامم المتحدة يومذاك. وأبكر مظاهر المؤامرة الشيوعية ـ الصهيونية على فلسطين. فلم يكن قد تحدث بعد أي مندوب غربي ولا غير غربي عن اقتراح التقسيم ـ **وهو في جوهره دعوة الى اقامة دولة اسرائيل** ـ ولا دعا اليه قبل غروميكو أحد!

حتى الولايات المتحدة الامريكية لم تكن قد أيدت بعد فكرة التقسيم، وربما لم تكن راودتها. وذلك ان السياسة الامريكية لم تعلن تأييدها للتقسيم الا في الحادي عشر من شهر تشرين الاول عام ١٩٤٧، وبعد خمسة شهور من اقتراح الرفيق غروميكو. وهكذا تكون السياسة الشيوعية أسبق من زميلتها الغربية في طعن القضية الفلسطينية والتنكر لحق شعب فلسطين في الحرية والاستقلال.

ومضت اللجنة الخاصة في تنفيذ مهمتها وفق البرنامج الشيوعي الذي حدده الرفيق غروميكو في طلبه التعديل لغاياتها. فاستمعت اللجنة الى شهود يمثلون عددا واسعا من المنظمات والهيئات اليهودية في داخل فلسطين، وفي البلدان الاشتراكية **حيث كانت الحركة اليهودية تتلبس صفتيها المزدوجتين: الشيوعية مرة والصهيونية مرة.**

ففي داخل فلسطين تطوع للشهادة أمام اللجنة خمس منظمات يهودية يسارية هي:

١ ـ منظمات النساء اليهود.

٢ ـ الحزب الشيوعي اليهودي.

٣ ـ الاتحاد الشيوعي الفلسطيني.

٤ ـ اتحاد العمل العام اليهودي.

٥ ـ رابطة التعاون العربي ـ اليهودي.

وفي داخل البلدان الاشتراكية استمعت اللجنة أو أدرجت في وثائقها مذكرات عدد من المنظمات اليهودية وهي:

١ ـ المجلس اليهودي في تشيكوسلوفاكيا ومقره براغ .

٢ ـ اتحاد الجمعيات اليهودية ومقرها براغ أيضا .

٣ ـ مكتب اليهود الاقليمي ومقره بودابست .

٤ ـ المكتب الرئيسي ليهود المجر ومقره بودابست أيضا .

٥ ـ الهيئة اليهودية الاشتراكية ومقرها رومانيا (١) .

٦ ـ هيئة التحرير الديمقراطية ومقرها يوغوسلافيا .

٧ ـ الاتحاد الاشتراكي العالمي ومقره صوفيا .

وزادت اللجنة الخاصة التي تضم ممثلين للشيوعية في شخص مندوبي يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا على كل ذلك بأن أوفدت لجنة فرعية منها لزيارة مراكز احتشاد اليهود ومعسكرات لاجئيهم . ولم تستمع اللجنة في مقابل كل ذلك الى صوت عرب فلسطين لان اللجنة العربية العليا كانت قد قاطعت اللجنة منذ بداية مهمتها ولم تجد فيها الكفاية لتحقيق أمل الاستقلال .

وانتهت اللجنة بأغلبيتها ـ وعارضت ايران ـ الى رأي يؤيد التقسيم، أي يؤيد الاقتراح الروسي الاول .

وقد وجدت الصهيونية في قرار التقسيم ، بالرغم من أنها كانت تطلب المزيد من فلسطين ، بذور مطلبها وبداية تحقيق حلمها فاكتفت بما وصلت اليه وركزت كل جهدها على اقراره، وتركت للمستقبل أمر التوسع وتحقيق أحلام السيطرة على فلسطين كلها وما جاورها !

---

(١) ليلاحظ القارىء هنا اقتران الاشتراكية بالصهيونية ، فللتعبير دلالته الخاصة اذ هو يكشف ازدواجية اليهودية والصلة العضوية بين الاشتراكية والصهيونية .

قرار التقسيم المشترك !

أحيلت دراسة اللجنة الخاصة ورأيها في التقسيم على لجنة فرعية مؤلفة من ممثلي تسع دول مثل فيها المعسكر الشيوعي ثلاث دول هي : الاتحاد السوفياتي ، وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا . بالاضافة الى الولايات المتحدة الامريكية وكندا وغواتيمالا وأورغواي وحكومة اتحاد جنوب افريقيا وفنزويلا . وقد قدمت اللجنة باتفاق اعضائها جميعا تقريرها وفيه تفاصيل التقسيم المقترح وكل ما يتصل بتنفيذه . وردّت اللجنة السياسية كل ما سوى ذلك من وجهات النظر العربية والاسلامية ، **وكان الاتحاد السوفياتي والدول الشيوعية الاخرى في عداد المصوتين ضد كل موقف عربي وكل دعوة الى حماية حق شعب فلسطين وعروبتها .**

وكان بدهيا أن تنتهي تلك المقدمات كلها، **بما بذل فيها من جهد منسق بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي والصهيونية جامعة النقيضين ،** الى موافقة الجمعية العامة للامم المتحدة في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ على مشروع التقسيم الروسي ــ الامريكي المقترح . فتدخل القضية الفلسطينية بذلك مرحلة جديدة من مراحل تطورها .

وقد نص قرار التقسيم فيما نص عليه تشكيل لجنة خماسية مهمتها الاشراف على التقسيم بمعرفة الامم المتحدة ووفق قرارها . وضمت اللجنة كلا من : تشيكوسلوفاكيا ، وبوليفيا ، وباناما ، والفيليبين ، والدنمارك . ولم يكن ضم تشيكوسلوفاكيا الى عضويتها ــ باصرار الاتحاد السوفياتي ــ سوى تمهيد لتقديم العون العسكري الى اسرائيل فيما بعد عن طريقها ، ومنح الدولة الجديدة كل أسباب الحياة والاستمرار .

التراجع الأمريكي والتصميم السوفياتي

كانت مهمة اللجنة هي تكليف مجلس الامن باتخاذ ما يلزم من اجراءات لتنفيذ التقسيم ، ودعوته الى اقرار السلام اذا ما أخل أحد الاطراف بالامن. وفي الخامس من شهر آذار عام ١٩٤٨ ـ وكانت القضية الفلسطينية قد اقتربت من نهاية عامها الاول في أعتاب الامم وأروقتها ودهاليزها ـ اجتمع مجلس الامن بدعوة من اللجنة الخاصة للبحث في موضوع صون الامن والسلم في فلسطين ووقف تردي الاوضاع الداخلية فيها بين الاقلية اليهودية والاكثرية العربية . **فاذا بالمجلس يفاجأ بتراجع الولايات المتحدة الامريكية عن قرار التقسيم الاول** ـ وأيدتها الصين وفرانسا ولم تحدد انكلترا موقفا بسبب تجميدها وجودها في مجلس الامن خلال بحث المشكلة الفلسطينية ، بوصفها الدولة المنتدبة وتظاهراً منها بالحياد أو حيادا متأخرا ـ **وطالب المندوب الامريكي بأن توضع فلسطين تحت وصاية دولية موقتة تحافظ على وحدتها الجغرافية .**

كان للتراجع الامريكي هذا وقع الصاعقة في الاوساط الصهيونية والشيوعية . فوقف غروميكو مندداً بالسياسة الامريكية متهمها بخيانة اليهود والتراجع عن اقرار الامم المتحدة بالتقسيم تحت ضغط المصالح البترولية ولارضاء الرجعية العربية . وشارك غروميكو في الهجوم مندوب الوكالة اليهودية مؤيدا ما ذهب اليه المندوب السوفياتي من اتهام امريكا بخيانة اليهود .

وحين دعا المندوب الامريكي الى احالة الموضوع مجددا على الجمعية العامة للامم المتحدة في دورة استثنائية جديدة لاعادة البحث في المشكلة والغاء قرار التقسيم ، انفرد بمعارضة الاقتراح الامريكي الاتحاد السوفياتي، وأوكرانيا ـ وهي ولاية سوفياتية تتمتع بوجود مستقل في الامم المتحدة فقط هدفه زيادة أصوات الدول الشيوعية كجزء من تسوية ما بعد الحرب العالمية الثانية بين الكبار .

وقد أصر المندوب الروسي غروميكو على أن مهمة مجلس الامن هي

الامر بانسحاب العصابات العربية ـ وهي التسمية التي اطلقها يومذاك على المتطوعين العرب ـ التي غزت فلسطين وليس اي بحث آخر في موضوع فلسطين . الا ان الاكثرية خذلت هذا المنطق واقرت الاقتراح الامريكي ..

انتقلت القضية الفلسطينية في شهر نيسان ١٩٤٨ من مجلس الامن الى الجمعية العامة للامم المتحدة ، وانتقل معها النشاط الشيوعي مستمرا في تصميمه العنيد على تأييد ودعم الصهيونية في مطلب الوطن القومي ، وداعيا الى انسحاب العصابات العربية ووقف الغزو العربي وانزال العقوبات بالغزاة ... الى آخر ما استخدم الرفيق غروميكو من تعابير الشتم التي يتقنها الشيوعيون اتقانا معجزا ويرصعون بها دررهم وفرائدهم حتى لكأنها الملح لا طعم بدونه لمأكل .

ولقد كنا نود لو نقدم للقارىء مع هذا العرض نماذج من اقوال المندوبين الشيوعيين وتأييدهم للصهيونية ، لولا اننا نخشى من ذلك أن يفقد العرض المستمر لتطور الموقف الشيوعي من القضية الفلسطينية وحدته واتساقه.

على أن القارىء سيجد نماذج متعددة في نهاية هذا الفصل ، منسوخة عن سجلات ومحاضر جلسات الامم المتحدة ووثائقها . وهي تكفي لمن يطالعها أن تعطي صورة واضحة ليس عن التأييد الشيوعي لموضوع اقامة اسرائيل فحسب، بل وعن الترابط العميق ذي الجذور البعيدة بين موقفي الصهيونية والشيوعية وفكرهما الواحد .

روسيا تدافع عن التقسيم !

فقد استخدم غروميكو في محاولة ابطال العودة عـن قرار التقسيم أمام مجلس الامن منطقا أبعد في تبني الصهيونية من قادتها . ودعـا الى الاستماع الى مندوب الوكالة اليهودية ليبدي رأيه ويشرح ما أسماه الرفيق الصديق **حقـوق ومطالب شعبه** . واكد أن الاتحاد السوفياتي انما يؤيد مشروع التقسيم لانه مشروع عادل يحقق آمال الشعب اليهودي . واتهم أمريكا بأنها تراجعت عن موقفها لترضية العرب. وقال ان الاتحاد السوفياتي

لن يؤيد أي مشروع أمريكي لا يحقق هدف التقسيم ويقيم الدولة اليهودية.

وبكى غروميكو على ما أصاب يهود العالم وقال **ان من الشناعة أن نترك الامة اليهودية وهي التي نزلت بها فواجع النازية تحت رحمة عنصرية اخرى ، أو نسخر مصائب هذه الامة العظيمة ـ ويقصد الامة اليهودية ـ لمصالح البترول وأصحابه العرب (١) .**

لم يكن موعد انسحاب القوات البريطانية قد حان عن فلسطين . فبريطانيا حددت لانسحابها موعدا هو الخامس عشر من شهر أيار من عام ١٩٤٨ . **وقد حاولت السياسة الامريكية أن تضغط على الحكومة البريطانية لتؤجل موعد انسحابها ، ريثما تجد الامم المتحدة حلا لمشكلة فلسطين ، أو تقر الوصاية الدولية الموضوعة عليها بما ينقذ وحدتها ويعطل قرار التقسيم . فلم تستجب الحكومة البريطانية لذلك ، وقاوم السوفيات بشدة هذا الاتجاه مؤكدين في كل جلسة وكل نقاش ضرورة انسحاب القوات البريطانية في موعدها واعلان مولد الدولة الاسرائيلية بموجب قرار التقسيم الذي كان الفكر الشيوعي أول من دعا اليه على لسان غروميكو .**

وكان على القضية الفلسطينية أن تجتاز في تلك الفترة أصعب مراحلها وأشقها .

وفي صباح ١٥ أيار انتهى تطور القضية الى اعلان دولة اسرائيل فور انسحاب القوات البريطانية ، وقيام حكومة مؤقتة فيها ما لبث أن اعترف بها الرئيس هاري ترومان بعد دقائق من قيامها ، على أساس الامر الواقع وليس اعترافا قانونيا كاملا . وقد جاء الاعتراف الامريكي مبتورا بسبب أن الجمعية العامة ما زالت تبحث المشروع الامريكي بالغاء التقسيم وصون وحدة فلسطين ووضعها تحت الوصاية الموقتة ريثما تستقر الامور فيها ويهدأ الاضطراب .

---

(١) مجلس الامن ـ عن محاضر الجلسات رقم ٥٨ .

اعتراف قانوني كامل !

غير أن الاتحاد السوفياتي الذي زاود منذ اليوم الاول على الموقف الامريكي في تأييد الصهيونية وزاد عليه ، سارع الى الاعتراف الكامل والقانوني بالدولة الجديدة . فكان بذلك أول دولة ـ لا ثانيها ـ تعترف باسرائيل اعترافا كاملا غير منقوص . في حين ظل الاعتراف الامريكي بها دون الاعتراف السوفياتي وأقل في الالزام .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا هو ان المندوب السوفياتي قد عكس هذا الاعتراف الشيوعي فيما بعد في جلسات مجلس الامن بالمناداة على مندوب الوكالة اليهودية كممثل لدولة اسرائيل (١) فأثار موقفه استنكارا شاملا ، وكان ذلك نتيجة بدهية للاعتراف القانوني الكامل وأول موقف لدولة كبرى أو صغرى في منح اسرائيل صفتها الدولية أمام هيئة الامم المتحدة . وقد أدى هذا الموقف الشيوعي الى مقاطعة الهيئة العربية العليا اجتماعات مجلس الامن وظلت الجلسات والمناقشات تنعقد في غياب ممثلي عرب فلسطين . وذلك كان ما توخاه الاتحاد السوفياتي !

مع اعلان الدولة اليهودية الجديدة دخلت الجيوش العربية فلسطين لتنجد أهلها وتمنع المؤامرة الدولية المثلثة الاطراف : الصهيونية ـ الشيوعية ـ الاستعمارية ، من أن تحقق هدفها في ابتلاع فلسطين . وكان على مجلس الامن أن يتحرك فورا بدعوة من الوكالة اليهودية التي آل اليها الحكم في الدولة الجديدة ، فتقدم الوفد الامريكي في ١٧ أيار بمشروع لوقف القتال وآخر لاستقصاء حقائق الموقفين العسكري والسياسي في فلسطين . واتخذ مشروع الاستقصاء شكل أسئلة موجهة الى الطرفين المتنازعين : الدول العربية والهيئة العربية العليا في جانب ، والوكالة اليهودية في الجانب الآخر .

ولم يفوت المندوب السوفياتي الفرصة ليؤكد ارتباط شيوعيته بصهيونية المندوب اليهودي ، فسارع الى كيل الاتهام للدول العربية والعودة

---

(١) موسكو واسرائيل ـ للدكتور عمر حليق .

الى القول بأن التقسيم هو خير الحلول . وأضاف الرفيق الصديق غروميكو هذه المرة الى ما أطلق على الصهيونية من حميد الصفات والمزايا تعريفا جديدا لها ، فأسماها « حركة التحرير الوطنية » وزعم أن مشاعر العرب لا تناوىء هذه الحركة الوطنية وانما تناوئها الرجعية العربية . ودعا غروميكو الى وضع حد للعدوان العربي المسلح فورا وبحزم . ثم ما لبث المندوب السوفياتي بالامس ووزير خارجية الدولة التي يحج بعض العرب الى كعبتها اليوم، أن تقدم بمشروع قرار يدين العرب بالعدوان ويتهددهم بفرض العقوبات ، فلم يستجب مجلس الامن لمشروع قراره ، وانتهت المناقشة في المجلس الى اقرار الهدنة الاولى لمدة أربعة أسابيع بدأت في الحادي عشر من شهر حزيران عام ١٩٤٨ .

السلاح والمتطوعون ؟

في خلال ذلك ، وفيما كان مجلس الامن يبحث الموقف في فلسطين ، كانت البلدان الشيوعية بمعرفة الاتحاد السوفياتي وتاييده ، تفسح المجال أمام المتطوعين اليهود من الشبان الذين دربتهم للسفر الى فلسطين والمساهمة في القتال الى جانب العصابات اليهودية المسلحة ضد العرب . وقد بلغ عدد هؤلاء فيما روت المصادر الصهيونية عشرين الف مسلح وفدوا الى فلسطين من تشيكوسلوفاكيا وبولونيا ورومانيا وبلغاريا ، بالاضافة الى السلاح الذي ما لبث بعد فترة الهدنة الاولى أن تدفق بالتهريب على اسرائيل من تشيكوسلوفاكيا وفيرا غزيرا .

أوكل مجلس الامن مهمة الاشراف على تنفيذ الهدنة الى الوسيط الدولي في فلسطين الكونت برنادوت الذي سبق وانتدبته الامم المتحدة لهذه المهمة . **وقد عرض الاتحاد السوفياتي** في السادس من حزيران عام ١٩٤٨ ، وقبل أن يتوصل برنادوت الى وضع قرار الهدنة موضع التنفيذ ، **أن يمده بقوة عسكرية سوفياتية لردع المعتدين العرب ، ثم عرض أن يقدم له مراقبين عسكريين سوفيات يشرفون على ضبط أمن الهدنة وانسحاب العرب الغزاة!**

وعاد غروميكو الى التنديد بالموقف الامريكي قائلا : **اذا كانت السياسة الامريكية قد اختلفت من خلق الدولة اليهودية ، فسياسة الاتحاد السوفياتي**

ثابتة في هذا . ((لقد أيدنا خلق الدولة اليهودية ، ونحن نصر على الاعتراف الكامل بها وحمل الامم المتحدة على تنفيذ ذلك وجعل هذه الدولة حقيقة ثابتة)) .

أدى برنادوت مهمته على أتم وجه وقدم الى مجلس الامن مشروعا اعتقد أن فيه السلام والامن . وقد عالج برنادوت في مشروعه ذاك لا الحالة الطارئة في فلسطين اي القتال ، بل أصل المشكلة الفلسطينية . وكان جوهر مشروعه الاحتفاظ بوحدة فلسطين تحت حكم عربي يهودي مشترك ، وادارات ذات حكم محلي ، يهودية حيث اليهود أكثرية ، وعربية حيث العرب أكثرية . وتضم منطقة شرق الاردن الى فلسطين لتغدو جزءا منها بوصفها منطقة جغرافية متممة .

ولم يرض المشروع اليهود لانه يلغي التقسيم ويبطل قيام وطنهم المستقل ، وأيدهم الشيوعيون في هذا الموقف فهاجموا برنادوت ومشروعه، واتهمه غروميكو بمعاداة اليهود ومحاباة العرب وبأنه ــ كالعادة ! ــ عميل للاستعمار !!

في هذا الجو ، كان لا بد للقتال من أن يتجدد في فلسطين ، في أعقاب انتهاء الهدنة الاولى في التاسع من شهر تموز ، فطالب الكونت برنادوت مجلس الامن بالعمل مجددا على وقف القتال تمهيدا لحل يصون وحدة فلسطين وينقذها . **ودعا برنادوت الى الاهتمام باللاجئين الفلسطينيين الذين بدأوا بالتدفق هربا من الضغط وأملا في العودة منتصرين ، فرد غروميكو على الوسيط الدولي بأن مسؤولية طرد العرب من أراضيهم تقع على الرجعية العربية التي بدأت القتال ، وليس على اليهود الذين نفذوا مقررات الامم المتحدة بتقسيم فلسطين ومارسوا حقهم في اقامة دولتهم القومية الخاصة .**

الإتحاد السوفياتي يدعو إلى توطين اللاجئين !!

وحين أثار المندوبون العرب مسألة اللاجئين في جلسات مجلس الامن المتعاقبة بعد ذلك ، رد غروميكو ممثل الدولة الصديقة الوفية اليوم (!)

بأن المعلومات العربية حول الموضوع تفتقر الى الدقة والصدق ، وأن لا بد من موافاة مجلس الامن بتقرير من الوسيط الدولي برنادوت . وكان الهدف من الموقف السوفياتي هذا هو تقوية الدعوى الصهيونية بأن حل مشكلة اللاجئين يجب أن يكون ضمن تسوية شاملة لقضية فلسطين وليس جزءا مستقلا عنها . وغني عن التوضيح ان في هذا الموقف دعما جديدا لكيان اسرائيل وبقائها .

وكلما أثير موضوع اللاجئين العرب أمام مجلس الامن أثار المندوب السوفياتي موضوع اللاجئين اليهود في أوروبا وضرورة افساح المجال أمام هجرتهم الى فلسطين واستقرارهم فيها . **ثم كانت الدعوة الى توطين اللاجئين في البلاد العربية أول دعوة أطلقها المندوب السوفياتي على الاطلاق، تماما كما كانت دعوة التقسيم ذاتها ، أي دعوة إقامة اسرائيل ، دعوة سوفياتية أولا .**

ففي جلسة الثامن عشر من شهر آب ١٩٤٨ تحدث **يعقوب مالك** المندوب السوفياتي أمام مجلس الامن عن مشكلة اللاجئين فقال : **((ان الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين ليس في تقديم المعونات لهم بل في توطينهم ضمن البلاد العربية ووفق مبادىء التعايش السلمي التي تجمع الجماهير التقدمية للعرب واليهود معا)) .**

وظلت قضية اللاجئين بعد ذلك قائمة ، لم يتبدل أي معطى من معطياتها الاساسية :

*** برنادوت يطالب بعودة اللاجئين والاهتمام بهم والعرب يطالبون باعادتهم .**

*** واسرائيل ترفض الا بشرط التسوية الكاملة .**

*** والاتحاد السوفياتي يؤيد اسرائيل ويعتبر الرجعية العربية هي المسؤولة وهي المدعوة الى ايجاد الحل لمشكلة اللاجئين باموالها ، وفي اراضيها لا في فلسطين .**

ثم اغتيل الكونت برنادوت في ١٧ أيلول ١٩٤٨ . اغتالته الصهيونيـة لانه ظل حتى اللحظة الاخيرة وفيا لمهمته صـادقا فيها ، وجداني المسلك والفكر والتنفيذ .

وحين دعا وخز الضمير فيما بعد الدول الغربية كبراها وصغراها التي ساندت الصهيونية، الى اسعاف اللاجئين ومساعدتهم وانشاء وكالة الغوث ، عارض المندوبون الشيوعيون جميعا هـذا الاتجاه وأصروا على موقفهـم الاساسي من قضية اللاجئين والتوكيد على مسؤولية الاستعمار والرجعية. **ولم يفز اللاجئون العرب بكلمة عطف واحـدة من ذلك السيل الذي أغدقه الرفيق غروميكو على اللاجئين اليهود في أوروبا ، ولم ير الاتحاد السوفياتي الصديق وجها للمقارنة بين المأساتين** ، لسبب بسيط هو ان الفكر العربـي لم يسهم اسهام الفكر اليهودي في صياغة الشيوعية ، ولا في انتصارها !

وفي مناقشة موضوع اللاجئين العرب اعتبر الرفيق « بافلوف » (١) ان شركات البترول مسؤولة أيضا عن رفض التقسيم . واقترح حلا لمشكلة هؤلاء والمشكلة الفلسطينية برمتها **« التعايش السلمي بين العرب واليهـود وفي ظل أنظمة ديموقراطية تقدمية تخدم جماهير العرب وجماهير اليهـود وتمثلها جميعا عقيدة وحكما ... »** .

لم تفلح الهدنة في كبح جماح الغضب العربـي ، ولا أفلحت في كبح جماح العدوان الصهيوني . فكان الموقف يتفجر بين الحين والحين ، وترد من الوسيط الدولي الجديد الدكتور رالف بانش الذي ورث مهمة الدكتور برنادوت ، تقارير تكشف تعمد الجانب اليهودي افتعال أسباب الحرب والقتال واضطرار الجانب العربي الى الرد .

ولم يكن التقسيم ، كما أسلفنا القول ، هـدف الصهيونية الاخير ، فالتقسيم مرحلة أيدها اليهود لانها أقرت من حيث المبدأ قيام اسرائيل وهو

---

(١) السفير السوفياتي في باريس . وكانت جلسات الجمعية العامة في تلك الفترة من عام ١٩٤٨ تنعقد في باريس .

ما كانت الحركة الصهيونية بحاجة اليه اولا . فلما تحقق لها ما ارادت عمدت الى تفجير الموقف على نحو مستمر لتحقيق مكاسب تزيد على التقسيم . وهذا ما فعلته بالضبط عام ١٩٤٨ ، ثم عام ١٩٥٦ ، ثم عام ١٩٦٧ .. والبقية تأتي .

الإتحادُ السُوفياتي يؤيِّد اختِلال النَقب !!

وفي أواخر أيلول من عام ١٩٤٨ كان القتال يتسع على جبهة النقب حيث كانت تطمع اسرائيل في ضم هذه المنطقة اليها وامتلاكها . ومنطقة النقب كانت عربية بموجب قرار التقسيم ، ثم بموجب مشروع برنادوت . فضلا عن انها عربية قبل ذلك بألفي عام .

وفي منتصف شهر تشرين الاول كانت القوات الاسرائيلية توسع جبهة هجومها الواسع على المواقع المصرية في النقب ، وتتمركز في المنطقة مدعومة بأحدث ما صدرته اليها تشيكوسلوفاكيا من سلاح ، وبخبرة المدربين الشيوعيين من اليهود الذين هاجروا اليها وفق برنامج سوفياتي ـ صهيوني مشترك .

وحين طرح الموضوع أمام مجلس الامن واقترح المندوب السوري (١) انسحاب القوات الاسرائيلية من المواقع التي احتلتها خلافا لمقررات الامم المتحدة وتحديا لها بما فيها قرار التقسيم وقرار الهدنة ـ وقد نص القرار الاخير على تجميد الموقف وحظر على طرفي النزاع تحقيق مكاسب جديدة ـ وقف المندوب السوفياتي يعقوب مالك معلنا ان على مجلس الامن الموافقة على وقف القتال دون انسحاب اليهود من المواقع التي احتلوها في النقب . ولم يستمع مجلس الامن الى نصيحة المندوب الشيوعي فأقر المقترحات

---

(١) فارس الخوري .

العربية وأوجب على القوات اليهـــودية الانسحاب . ولم تستجب اسرائيل لذلك بالطبع . وحين عاد مجلس الامن للبحث في موقف اليهود الجديد كان الاتحاد السوفياتي وحده ـ وأوكرانيا معه ـ الذي أيد ما أعطاه اليهود من تفسير لموقفهم . **واضطر مجلس الامن الى أن يبحث مشروعي قرارين أحدهما قدمته انكلترا والصين وبلجيكا وفرنسا وفيه ادانة اسرائيل وتهديدها بفرض العقوبات عليها ان لم تنسحب من المواقع التي احتلتها ، وثانيهما قدمتـــه أوكرانيا ـ بتوجيه الاتحاد السوفياتي وتأييده ـ وفيه دعوة الى التعـايش السلمي واحلال الوفاق العربي الاسرائيلي محـــل الخلاف ، والسلم محـل الحرب** . ولم يشر المشروع الشيوعي من قريب ولا بعيد الى موضوع تجاوز اسرائيل حدود التقسيم الذي كان الاتحاد السوفياتي نفسه أول من دعـا اليه وأول من نادى بتطبيقه ، ثم أكثر من دافع عنه وأشد من تحمس له .

وكان المعنى الوحيد للموقف السوفياتي هذا هو انه يقر اسرائيل على كل ما تطلب وما تبغي ، ويؤيدها بلا قيد ولا شرط في كل ما تفعل وتقول ، ولا يرى الحق الا في جانبها ولمصلحتها ومعها ، ولا الباطل الا في جـانب العرب ومصلحتهم ومعهم !

كان الموقف السوفياتي صهيوني الظاهر والباطن ، الهوى والغايـــة . ففي تلك اللحظات لا يستطيع المراقب وهو يراجع النصوص ويقلبها أن يجد أي فارق ما بين موقفي الشيوعية والصهيونية المتطابقين ، ولا فكرها الواحد **المشتـــرك .**

فارس الخوري يتهم الاتحاد السوفياتي

بعد أن ضمن الاتحاد السوفياتي لاسرائيل أهدافها الاولى في التقسيم والثانية في النقب والجليل ، انتقل الى مرحلة جـديدة طالب فيها بسحب القوات العربية من فلسطين بفرض تركها جميعا لقمة سائغة أمام اسرائيل . فدعا في مشروع قرار قدمه الى اللجنة السياسية في أواخر شهر تشريـن الثاني واشترك في تقديمه معه دولـــة شيوعية أخرى يمثلها يهودي هـــي

بولونيا ، يدعو الى اتخاذ التدابير اللازمة لسحب القوات العربية من الاراضي الفلسطينية . وقد اضطر مندوب سورية يومها فارس الخوري أن يحدد موقفا صريحا من هذه السياسة ، فوقف يقول في لهجة الغضب الجريح :

« ان موقف الاتحاد السوفياتي من تطور القضية الفلسطينية شيء مخيف . فموسكو لا تريد العدل ولا الانصاف ولا السلام ولا مبادىء الامم المتحدة . ان كل ما تريده هو زرع استعمار جديد في القلب من العالم العربي ، فاذا كان هذا هو حال السياسة السوفياتية هنا فلا لوم علينا ولا تثريب اذا نحن كفرنا بكل شيء : بالغرب والشرق معا » .

وانتقل الاتحاد السوفياتي بعد ذلك في حضانة اسرائيل ـ بعد أن قام بدور المولدة لها ـ الى تحديد مهام لجنة التوفيق الدولية المقترحة ، فحددها بالتقسيم **وطالب بالمحافظة على حدود اسرائيل التي بلفتها وصون مكاسب ثورة التحرير الوطني اليهودية** . والتعبير هنا منقول عن خطاب رسمي للمندوب السوفياتي « تسارابكين » ، سبق ونشره مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بكين ! وعارض المندوب الصديق كل محاولة لجعل مهمة لجنة التوفيق تشمل أبعد من حدود التقسيم كمشروع برنادوت أو مشروع الوصاية الدولية الموقتة الاميركي للمحافظة على وحدة فلسطين الجغرافية . واستطاع الاتحاد السوفياتي في نهاية المطاف أن يجعل مهمة اللجنة غير محددة اطلاقا ، وبذلك حال دون الاشارة الى كل ما قد يلغي فكرة التقسيم الاصلية ، أي قيام اسرائيل .

وانتهت المؤامرة الدولية المثلثة فصولا في ٣ آذار من عام ١٩٤٩ ، حين أقرت الامم المتحدة انتساب اسرائيل اليها ، فقرت بذلك عين الاتحاد السوفياتي الصديق ، وبدأ الاعداد باتقان لمرحلة ما بعد قيام اسرائيل : مرحلة التعايش السلمي ، وسنخصص لهذه المرحلة فصلا آخر من هذه الدراسة بعد أن نناقش بعض مواقف الاتحاد السوفياتي من قيام اسرائيل في الامم المتحدة ونقدم النصوص المثبتة لهذه المواقف .

على هامش الموقف الشيوعي

من العرض السريع المتقدم لموقف الاتحاد السوفياتي والدول الشيوعية الملحقة به ، خلال عرض القضية الفلسطينية أمام الامم المتحدة ، يتضح لنا ان هذه المواقف لم تكن تقل في صهيونيتها عن موقف الوكالة اليهودية مثلا. فلم يتحرج الاتحاد السوفياتي منذ البداية في اتخاذ موقف التأييد المطلق والتنسيق المتكامل بينه وبين الحركة الصهيونية قبل قيام اسرائيل وبعد قيامها .

ومن مطالعة النصوص والوثائق التي تغص بها سجلات الامم المتحدة ، ويستطيع كل مواطن الحصول عليها بطلبها بأية لغة شاء ، يتضح لنا عدد من الحقائق الاولية :

*** فالاتحاد السوفياتي أول من عارض اقتراح العرب باعلان استقلال فلسطين وتحررها من الانتداب البريطاني وإقامة حكم عربي فيها يضمن للاقلية اليهودية باي شكل مقترح من أشكال الضمان ، كل حقوق المواطنة .**

*** والاتحاد السوفياتي أول من اقترح تقسيم فلسطين ولم يكن قد ورد بعد مثل هذا الاقتراح على لسان أي مندوب غربي ، ولا في أي بحث أو مشروع من أبحاث المشكلة الفلسطينية أو مشروعات حلولها .**

*** والاتحاد السوفياتي أول من دعا الى مشاركة الوكالة اليهودية في اعمال الامم المتحدة كممثلة ليهود فلسطين وأقرت الجمعية العامة ذلك ،**

فكان بداية الاعتراف بالدولة اليهودية القادمة .

* والاتحاد السوفياتي أول من عارض في دعوة ممثلي عرب فلسطين على نفس مستوى دعوة ممثلي يهودها ، وترك أمر دعوة الممثلين العرب الى اللجنة السياسية الموقتة لتظل للوكالة اليهودية صفة التمثيل الاعلى .

* والاتحاد السوفياتي أول من دعا الى التوسع في الاستماع الى ممثلي اليهود بحيث يشمل المنظمات والاحزاب والهيئات اليهودية الاخرى في العالم بوصفها جميعا ذات صلة بقضية فلسطين !

* والاتحاد السوفياتي أول من دعا الى مساهمة الدول الكبرى في حل المشكلة الفلسطينية وأبدى استعداده للمشاركة في فرض الحل على أساس حق اليهود في وطن قومي بفلسطين !

* وتشيكوسلوفاكيا ، تابعة الاتحاد السوفياتي ، أول دولة أمدت يهود فلسطين بالسلاح وبالمدربين ذوي الخبرة العسكرية من الرجال والنساء للمساهمة فيما أسماه الاتحاد السوفياتي حركة التحرير الوطني اليهودية !

* والاتحاد السوفياتي أول من استنكر التراجع الاميركي عن التقسيم واقتراح الوصاية الدولية الموقتة للمحافظة على وحدة فلسطين الجغرافية والسياسية .

* والاتحاد السوفياتي أول من أطلق على المتطوعين العرب للدفاع عن فلسطين ثم الجيوش العربية بعد ذلك ، نعت العصابات العربية ، وعلى التدخل العربي المشروع في فلسطين صفة الغزو والعدوان ، وطالب بانزال العقوبات بالغزاة !

* والاتحاد السوفياتي أول من استخدم تعابير الرجعية العربية وأتهمها بالتواطؤ مع الاستعمار ضد مصالح الطبقتين العاملتين اليهودية والعربية ذوات المصالح المشتركة في التعايش السلمي والاخوة !

*** والاتحاد السوفياتي أكثر من بكى واستبكى على ما أصاب اليهـود من فظائع النازية لتبرير اقامة وطن قومي لهم في فلسطين .**

*** والاتحاد السوفياتي أول من اعترف اعترافا قانونيا كاملا بالدولة الاسرائيلية التي لعب فياقامتها دور المولدة ، ثم المرضع ، وساعد ما استطاع على التخفيف من عسر الولادة ومصاعبها !**

*** والاتحاد السوفياتي أول من شجـــع دول أوروبا الشرقية على تهجير اليهود القادمين الى فلسطين لدعـــم اقامة الوطن القومي فيها على حساب أصحابها الشرعيين !**

*** والاتحاد السوفياتي أكثر من دافع عن حق اليهود في التوسع وراء حدود التقسيم في النقب والجليل وغيرهما !**

*** والاتحاد السوفياتي أول من عارض في عون اللاجئين العرب وما زال الى اليوم يمتنع عن تقديم العون لهم !**

*** والاتحاد السوفياتي أول من عارض في عودة اللاجئين الفلسطينيين الى وطنهم فلسطين ودعا الى توطينهم حيث هم في البلاد العربية ، واعتبر الرجعية العربية هي المسؤولة عن مأساتهم برفضها التقسيم ، أي برفضهـا قيام اسرائيل !**

*** والاتحاد السوفياتي أول من دعا الى سحب القوات العربية مــن فلسطين ، لتبقى برمتها لقمة سائغة أمام الصهيونية تفترسها وتقيم فيهـا كلها الوطن المقترح !**

ذلك كله تكشفه وثائق الامم المتحدة وضبوط جلساتها . وقد أجملنا مواقف الاتحاد السوفياتي هذه ، بعد أن قدمنا عرضا لها فيما سبق ، ولم نفصلها لان التفصيل فيها يحتاج الى مجلدات ضخمة حتى يستطيع القارىء أن يحيط ويلم بكل مواقف وأقوال المندوب السوفياتي في الامم المتحـدة

ومندوبي الدول الشيوعية الاخرى ، في تأييد قيام اسرائيل وفي التمهيد لها ، ثم في رعايتها وتوفير ظروف استمرارها وشروط بقائها وقوتها .

ولقد ورد في تفسير الموقف السوفياتي وتبريره على السنة الشيوعيين خدمه المحليين ، ثلاثة أسباب :

اولها ان الاتحاد السوفياتي بوصفه دولة متحررة كان حريصا على طرد الاستعمار البريطاني اولا وقبل كل شيء .

وثانيها ان الاتحاد السوفياتي ، متأثرا بحربه الوحشية مع النازية وبضحاياه ، كان ينظر الى المسألة اليهودية بعطف خاص لما نال اليهود على يد النازية وما اصابهم من بطشها وأذاها .

وثالثها ان الاتحاد السوفياتي كان يرمي الى اصطناع مشكلة في منطقة الشرق الاوسط تساعد على تحريك شعوبها المتخلفة وبالتالي على تحريرها .

لنناقش الآن وجهات النظر الثلاث ، وهي كل دفاع الشيوعية عن نفسها في تفسير موقفها وتبريره .

طبعا ، وقبل كل شيء ، **يجب أن نستبعد السبب الاول** لتأييد اسرائيل وهو طرد الاستعمار البريطاني من فلسطين .

فالاستعمار البريطاني قد حدد لنفسه بنفسه موعدا للرحيل في ١٥ أيار من عام ١٩٤٨ . وقد أوضح رغبته في ترك فلسطين بمذكرة رسمية طرح فيها المشكلة الفلسطينية على الامم المتحدة وطالبها بالبحث عن حلها تحت عنوان : « مستقبل الحكم في فلسطين » ، كما سبق ورأينا في العرض الموجز لتطور القضية الفلسطينية امام الامم المتحدة .

ثم ان البلدان العربية المستقلة يومذاك والمنتمية الى الامم المتحدة عارضت الاقتراح البريطاني باقتراح مبدئي ويتفق مع ما ينادي به الاتحاد السوفياتي — لو ان ما ينادي به كان صدقا — ، فقد اقترحت الدول العربية اعلان استقلال فلسطين فورا واقامة حكم عربي فيها يضمن للاقلية اليهودية كل حقوق الحياة والمواطنة . وما كان العرب بحاجة طبعا الى ما يؤكد ذلك

لان أقليات يهودية كثيرة كانت تحيا في أكثر من بلد عربي وتتمتع فيه بالحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يتمتع بها كل مواطن .

ففي دمشق مثلا ـ وفي القاهرة أيضا ـ كان لليهود قبل حرب فلسطين ممثل في البرلمان ـ على قلتهم ـ وكان لهم وجود مماثل لوجود الاكثرية سياسيا واجتماعيا ، وربما أكثر منه اقتصاديا .

ولكن الاتحاد السوفياتي آثر ان يقف ضد المقترحات العربية وان يعارضها وان يؤيد المطلب البريطاني ببحث مستقبل الحكم في فلسطين ، ملتقيا في ذلك ـ لا معارضا ـ مع السياسة البريطانية ، وموافقا على مخططها لا مختلفا معها ولا مناقضا هدفه لاهدافها .

ثم ان ما ظهر بعد ذلك من رعاية الاتحاد السوفياتي للحركة الصهيونية ودعم مطالبها وتبني أهدافها ـ بل أكثر من أهدافها ـ يرد دعوى حرصه على طرد الاستعمار البريطاني من فلسطين ليؤكد اتفاق الهدف بينه وبين الصهيونية والتقاء فكره بفكرها ووقع خطاه على خطاها .

ففي جلسة السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٤٧ ـ وفيما الجمعية العامة للامم المتحدة تبحث مشكلة فلسطين على ضوء ما أعلنته بريطانيا من عزمها على الانسحاب في الخامس عشر من شهر أيار ـ وقف غروميكو مندوب الاتحاد السوفياتي بالامس ووزير خارجيته اليوم يدافع عن التقسيم ويطالب بتنفيذه . وكان مما قاله :

« ان الاتحاد السوفياتي لا يوافق على ان التقسيم ظلم بحق العرب . فلليهود حقوق وصلات وروابط ازلية بفلسطين أيضا . وقد قاست الامة اليهودية ظلما واضطهادا دائمين ، وكان آخر نماذجهما على يد الهتلرية . فمن الواجب ان نضمن لليهود وطنا قوميا حيث مطلبهم التاريخي في فلسطين » .

فاذا تجاوزنا في منطق السيد غروميكو موضوع التقسيم وموقف الدفاع المطلق عن حق اليهود في فلسطين ، فلنتوقف قليلا عند تعبير **الامة اليهودية** الذي استخدمه غروميكو ، وهو تعبير عنصري محض

صهيوني . بل هو ترداد أمين لما كتبه **موسى هيس** في كتابه **روما والقدس** « من ان اليهود يؤلفون أكثر من مجرد اتباع دين ، انهم يؤلفون قومية وأمة » . ولما ردده بعد موسى هيس مؤسس الحركة الصهيونية **تيودور هرتزل** في كتابه « الدولة اليهودية » ، وما كتبه **لويس برانديس** قاضي المحكمة العليا في الولايات المتحدة الاميركية واحد زعماء الحركة الصهيونية في كتابه « الصهيونية وأمريكا » ، ولما كتبه الحاخام **« موريس جوزف »** راعي كنيس اليهود البريطاني في لندن في كتابه « اسرائيل قومية » ، وما كتبه **« آرثر لويس »** في كتابه « اليهودية أمة » .

وتتضح لنا أهمية هذا التوافق اذا عرفنا ان النظرة الشيوعية تقوم أصلا على انكار القوميات والنظر الى الشعوب والدول من خلال وحدة الطبقات العاملة في كل أرض . فالقومية عندها مظهر استعماري ومرحلة متخلفة . ثم ان للامة شروطها الماركسية المعروفة التي حددها ستالين وهي وحدة الارض واللغة والثقافة والتقاليد والحياة الاقتصادية (١) وهذا ما لا ينطبق على حالة اليهود . فالصهيونية حركة تجميع من لم تجمعهم يوما أرض مشتركة ولا ثقافة مشتركة ــ **ما عدا** الثقافة الدينية التي لا تعترف بها الشيوعية ــ ولا لغة مشتركة ولا حياة اقتصادية مشتركة ولا تقاليد مشتركة .

واذن ، شيوعيا وقبل اية نظرة اخرى ومفهوم آخر ، لا يصح أن يطلق على اليهود تعبير امة .

ومع ذلك ، وفي ظل ستالين بالذات صاحب تعريف الامة ، يطلق مندوب الاتحاد السوفياتي « غروميكو » هذا التعريف على يهود العالم المنتمين لقوميات مختلفة ويحيون في شروط اقتصادية متباينة وبثقافات

---

(١) يعرف ستالين الامة بما يلي : « الامة جماعة ثابتة من الناس ، مؤلفة تاريخيا ، لها لغة مشتركة وأرض مشتركة وحياة اقتصادية مشتركة ، وتكوين نفسي مشترك يجد تعبيرا عنه في الثقافة المشتركة » . ويضيف ستالين الى ذلك قوله : « ان كل علامة من العلائم التي ذكرناها لا تكفي لتعريف الامة اذا هي أخذت منعزلة ، بل نذهب الى اكثر من ذلك فنقول: يكفي أن تنعدم علامة واحدة من هذه العلائم حتى تنقطع الامة عن ان تكون امة » .

مختلفة وبتقاليد لا تلتقي الا في تراثها الديني المفترض في الشيوعية أن تنكره وتعاديه . **فما الذي يجعل غروميكو يطلق تعبير « الامة اليهودية » أن لم يكن الفكر المشترك بين الصهيونية والشيوعية** ، وكلاهما ينبع من أرض واحدة ويصب في بحر واحد وان تفرع الى فرعين : شيوعي وصهيوني ، بين المنبع والمصب ؟!

ولم يردد غروميكو التعبير مرة واحدة لنلتمس له العذر في زلة لسان أو خطأ تعبير ، وانما كرره في جميع دفاعه المتحمس عن اليهود ، وردده معه شيوعيون آخرون يمثلون الاتحاد السوفياتي أو دولا شيوعية مستذلة لا خيار لها .

ومما يسقط دعوى أن الاتحاد السوفياتي كان يرمي الى اخراج النفوذ الاستعماري الانكليزي بأي ثمن ، أن هذا الموقف الشيوعي الصهيوني المعادي لحق شعب فلسطين قد استمر أوضح وأعنف وأحد ، الى ما بعد انسحاب القوات الانكليزية من فلسطين في الخامس عشر من شهر أيار عام ١٩٤٨ .

بل ان جميع مواقف الاتحاد السوفياتي الاشد عداء للعرب والاكثر التصاقا بالصهيونية قد توضحت بأبعد مدى وهدفا في أعقاب الانسحاب البريطاني .

ويكفي أن نراجع في العرض السابق ثم في النصوص التي تلي الموقف السوفياتي لنرى ان اتهام العرب بالعصابات والمطالبة بايقاع العقوبات بهم ، والدعوة الى التعايش السلمي بين الجماهير العربية التقدمية والجماهير اليهودية ، ومعارضة عودة اللاجئين الى وطنهم فلسطين ، وتأييد سياسة التوسع الصهيوني في النقب والجليل : كل ذلك تم في أعقاب الانسحاب البريطاني وبعد أن أصبحت فلسطين هدفا للعدوان الصهيوني تدعمه وتؤازره الشيوعية بسلاحها ومتطوعيها والاستعمار بنفوذه الدولي .

ولقد استمر الموقف السوفياتي في عدائه اللئيم للعرب ومحاباته لليهود مؤيدا ونصيرا ، حتى اطمأن الى ان الدولة اليهودية غدت حقيقة واقعة .. حين ذاك فقط ، وباتفاق جديد في الهدف بين الشيوعية والصهيونية اخذ الاتحاد السوفياتي يتودد الى العرب عله يقيم في بلادهم الحكم الذي دعا

اليه منذ اليوم الاول للمشكلة الفلسطينية ، فتتحقق بذلك « وحدة الجماهير التقدمية العربية اليهودية » وتذوب المشكلة الفلسطينية بنهاية الرجعية العربية المعادية لاسرائيل !

ننتقل الآن الى الدعوى الثانية ، دعوى ان الاتحاد السوفياتي متأثرا بحربه الوحشية مع النازية كان ينظر الى القضية اليهودية بعطف خاص ، لما نال اليهود على يد النازية من بطش وأذى .

جزئيا ، يمكن التسليم بأن الاتحاد السوفياتي ككل دولة أخرى خاضت الحرب ضد النازية قد تأثر بما أصاب اليهود على يدها . فالاتحاد السوفياتي نفسه أصابه الاذى ودفع الثمن غاليا في حرب واجه فيها الموت والابادة . وليس يرضى انساني بأن يقف مكتوف اليدين أمام مأساة تحل بفريق من الناس أو مصيبة تصيبهم أو أذى يحوق بهم . ذلك موقف مفهوم وعادل . بل ونشارك به في الالم لما أصاب اليهود والاستنكار .

ولكن هل كانت النازية عربية لندفع نحن ثمن جرائمها ؟!

ان مأساة الحرب العالمية الثانية وما أصاب العالم فيها من ويل تلحق مسئوليتها بالنازية وحدها . وقد دفعت الثمن في هزيمتها ونهايتها . وكان أجدر بمن يبحث عن حل عادل لليهود أن يقطعهم ولاية المانية تكفر فيها المانيا نفسها عن جرائم هتلر . أما أن يكون العرب الضحية ، فذلك منطق الظلم والعدوان .

وواضح انه ما كانت الدول الكبرى ، شرقيها وغربيها ، لتبحث عن حل لمشكلة اليهود في فلسطين لو أن العالم العربي كان قويا وقادرا على منع الجريمة . **فهو اذن منطق القوة ـ لا المبدأ ـ الذي جعل الاتحاد السوفياتي يشارك في دفع فلسطين ثمنا لجرائم النازية ويقطع أرضها لغير أهلها .**

كنا نفهم لو أن الاتحاد السوفياتي شارك في حملة عالمية لحماية حقوق اليهود كمواطنين في كل بلد هم فيه ، ولو استن التشريعات لذلك واقترح المبادىء وجعل من الامم المتحدة منبرا لدعوته ومكانا عاليا يرفع منه صوت الدفاع عن حق الانسان اليهودي في مواجهة المطاردة المستمرة له ، ومهما تكن مسئولية اليهود انفسهم فيها مساوية لمسئولية الآخرين .

كنا نفهم ذلك ونؤيده . فليس بنا عنصرية ولا تعصب . وليس يصح في عقيدتنا لانسان القرن العشرين وهو يتطلع الى الفضاء ويرتفع أن يظل عالقا في وحول العصبية والظلم والعداء .

اما أن يكون حل المأساة بمأساة أقسى ، وازالة الظلم بظلم أفدح ، ودفع الاذى باذى أشد ، فذاك ما لا يقره منطق ولا مبدأ ، الا أن يكون هذا المنطق منطق الرفيق غروميكو ، والا أن يكون هذا المبدأ مبدأ المكيافيلية الشيوعية تلك التي تحلل كل حرام وتحرم كل حلال ، بحسب ما يحـلو لها ويروق ويتفق أولا مع مصالحها ومطامعها وأغراضها ما انكشف منها وما زال خفيا.

يبقى من تفسيرات الموقف السوفياتي وتبريرها ، ثالثها . وهو أن الاتحاد السوفياتي كان يرمي الى اصطناع مشكلة في منطقة الشرق الاوسط بغية تحريك شعوبها المتخلفة وبالتالي تحريرها .

وفي قناعتنا ان دراسة السياسة السوفياتية بعمق تجعل هذا التفسير اقرب الى المنطق واصح من غيره ، وان لم يكن وحده السبب ، وكان ينقصه الوضوح .

فالاتحاد السوفياتي أراد في جملة ما أراد ، أن يلقي في المنطقة العربية بذرة تجن بها الارض الفوضى والاضطراب ، وتساعد عـلى انتشار الحركة الشيوعية وتسلل النفوذ السوفياتي .

وذلك ان الاتحاد السوفياتي يدرك ــ كدولة ذات مطامح ومطامع تتجاوز حدوده الوطنية ــ **انه حيثما سادت الفوضى وعم الاضطراب فـي البلدان المتخلفة ، فقد انفسح امامه مجال العبث والتدخل ، واستطاع أن يحقق حلمه او بعض حلمه القيصري .**

ولقد القى الاتحاد السوفياتي في تاييده للصهيونية فـي فلسطين ــ ذلك التأييد الذي أعطى ثماره دولة اسرائيل ــ **القى بذرة الشيوعية ، وهـا هوذا اليوم يجني بعض حصادها : انظمة عربية تقدمية ــ الاسم فقط ! ــ ، وما زال يامل كالنار في المزيد !**

وليس الحديث عن تحـرر المنطقة والقضاء عـلى النفوذ الاستعماري ومكافحة الرجعية سوى شعارات براقة تتم تحتها وباسمها عمليـة تشييع المنطقة وسحق شعوبها وتراثها .

ومما تصح الاشارة اليه هنا هو أن الشيوعية التي كانت تقول بلسان غروميكو في الامم المتحدة أن مشاعـر الشعوب العربية لا تناوىء حركـة التحرير الوطني اليهودية وانما تناوئها الرجعية هي ذاتها التي تطلق اليوم اتهام التواطؤ بين اسرائيل ومن تنعته بالرجعية العربية .

الموقف وضده في وقتين مختلفين وموضوع واحد . كالريح تختلـف مهابها وتظل ريحا . وليس ذلك سوى بعض وجه الشيوعية وبعض اسلوبها. فكل شيء مباح في عرفها بهدف الوصول وتحقيق الغاية . **ولقد كان الهدف قبلا اقامة اسرائيل ودعم الصهيونية في مطلبها السياسي باقامة وطن قومي فجاز القول الشيوعي بان مشاعر الشعوب العربية لا تعادي حركة التحرير الوطني اليهودية وانما تقاومها الرجعية العربية وان هذه الرجعية هي التي حملت لواء مقاومة التقسيم ـ أي مقاومـة انشاء وطن قومي لليهـود في فلسطين .**

ثم صار الهدف اليوم ـ وبعد أن اطمأنت الشيوعيـة الى قيام اسرائيل وغدت حقيقة دولية ـ **تشييع المنطقة العربية تمهيدا « لاحلال الاخاء والسلام بين الجماهير العربية التقدمية والجماهير اليهودية التقدمية » فجاز عكس الآية واتهام الرجعية العربية بالتواطؤ مع اسرائيل بعد أن كانت هذه الرجعية ذاتها بالامس متهمة بمقاومة اسرائيل .**

أفك وبهتان وزور وخديعة ، ومغالطة بلا حـــدود ، وتآمر بلا خجل ، وشيوعية متصهينة وصهيونية متشيعة ، وتسخير للمبادىء في سبيـــل الغايات ، وتخدير للعقل والانسان من اجل المطامع ، واستعداد دائم للتقلب والتذبذب واتخاذ الموقف ونقيضه في وقت واحد .. كل ذلك توصف بـه سياسة الاتحاد السوفياتي وهوامشه ولواحقه في قضية فلسطين منذ عام ١٩٤٧ والى اليوم .

ولو نحن طالعنا النصوص بدقة ، وتصفحنا الخطب والبيانات وهي اكثر وافضل ما تجيده الشيوعية في كل محفل ، لوجدناها غاصة بكل ما يندى له جبين المبادىء خجلا وتطرق منه الرؤوس أرضا حياء .

فالاتحاد السوفياتي الذي يتظاهر اليوم ـ مجرد تظاهر ـ بتأييد العرب ويرهن عنده استقلالهم واقتصادهم وحاضرهم ومستقبلهم ، ثم يقف تأييده لهم عند حدود الكلمات والمظاهرات السياسية بما يحقق له هدف تشييع المنطقة دون أن يمس مصالح اسرائيل ولا كيانها .. هذا الاتحاد السوفياتي سبق له منذ عام ١٩٤٧ وخلال جميع جلسات الامم المتحدة ـ ثم بعد قيام اسرائيل والى اليوم ـ أن حدد هدفه بوضوح في موضوع التسوية العربية الاسرائيلية . فهو يقترح لها :

الهدنة الموقتة ، فالسلم الدائم ، فالصلح ، فالتعايش الاخائي المتصل في ظل حكم تقدمي مشترك يجمع العرب الى اليهود ـ بالطبع تحت وصاية صهيونية شيوعية عليا . ثم لا شيء بعد ذلك اقرب أو أبعد . ومن يبحث جوهر الموقف السوفياتي بعد الحرب العربية الاسرائيلية الاخيرة ـ حزيران ١٩٦٧ ـ فلن يجد فيه اختلافا ولا فروقا أساسية عما كان عليه قبل عشرين عاما .

قد يرد على هذا الكلام نقوله اليوم سؤال بسيط هو :

هذا الموقف المعادي كل هذا العداء للحق العربي ، الم يكن في المندوبين العرب في الامم المتحدة يومها من عرفه وتصدى له وكشف أغراضه وخبثه . ولماذا لا يعرف الراي العام العربي عنه الى اليوم سوى ان الاتحاد السوفياتي اقر قيام اسرائيل مع دول أخرى فليس يزيدها مسؤولة ان لم ينقصها ؟

والجواب واضح بسيط أيضا .

ففي الامم المتحدة كان ثمة أكثر من مندوب عربي تصدى لغروميكو وللمندوبين الشيوعيين الآخرين وفضح الغرض الشيوعي والسياسة الشيوعية في قضية فلسطين . وبعض أولئك توفاه الله ، وبعضه ما زال حيا .

من هؤلاء كان الامير فيصل ـ ملك المملكة العربية السعودية اليوم ـ

ومحمود فوزي مندوب مصر ، وفارس الخوري مندوب سورية ، وكميل شمعون وشارل مالك مندوبي لبنان ، وفاضل الجمالي مندوب العراق . . الخ .

ولقد تصدى فارس الخوري مرة لغروميكو فألقى بتاريخ ٢٩ أيار ١٩٤٨ أمام مجلس الامن خطابا مطولا فضح فيه اغراض الاتحاد السوفياتي ومواقفه . وكان مما قاله :

« يتهمنا الاتحاد السوفياتي باننا نعبث بمقررات الامم المتحدة وهو أكثر من يعلم ان مصدر العبث والغش هو الدول الكبرى وليس الدول الصغرى .

ان مندوب الاتحاد السوفياتي يذكرنا بان حكومته سبق لها وايدت الدول العربية مصر وسورية ولبنان ، وقد سبق وشكرنا للاتحاد السوفياتي تاييده لنا في خصومتنا مع الاستعمار الاجنبي . لكننا لا نفهم الآن لماذا يعارض في صراعنا مع الاستعمار الصهيوني وهو احتلال اجنبي ايضا .

ان ما يؤسفنا هو ان الاتحاد السوفياتي يؤيد ويناصر ويحتضن الصهيونية ويحاول ان يمنحها حقوقا ليست لها . واستنادا لهذا التناقض في الموقف السوفياتي فان لنا ان نعتبر تاييد السوفيات للعرب في مسالة جلاء القوات الاجنبية عن اراضيهم لم يكن بدافع العطف ولا الحب لهم وانما بدافع الحقد على انكلترا وفرنسا . ومن حقنا الآن ان نشك في مدى اخلاص الاتحاد السوفياتي للمبادىء او للعرب . وما يبدو لنا هو ان للاتحاد السوفياتي مآرب أخرى غير العطف على العرب والود لهم في مكافحة الاستعمار الاجنبي في بلادهم . هذا المآرب السوفياتي هو منافسة خصومه الغربيين . ان موقف الاتحاد السوفياتي من الاستعمار في الشرق الادنى ليس مرده الى الدفاع عن حقوق الشعوب العربية المستضعفة وانما ازالة نفوذ خصوم السوفيات في المنطقة . هذه المآرب لم تعد خافية . انها واضحة جلية . وهذا ما يدفعنا الى ان نعيد النظر في تقديرنا لسياسة الاتحاد السوفياتي ومواقفه .

ان مندوب الاتحاد السوفياتي يحرض الدول الاخرى علينا ويدعوها الى انزال العقوبات بنا وينذر بان التردد في هذا سيزيد الموقف في فلسطين تعقيدا .. الخ » .

هذه المقاطع المقتطفة من خطاب مطـــول لفارس الخوري ، هي مجرد نموذج للمواجهة العربية . ولم يكن وحده الـذي جادل وحاول ، ففي احدى الجلسـات وكان ذلك في أعقاب قرار اللجنـــة الفرعية المنبثقة عن اللجنة السياسية الموقتة والمكلفة بمهمة درس المسألة الفلسطينيـة ـ تشرين الاول ١٩٤٧ ـ وقف مندوب لبنان الدكتور شارل مالك مفنـــدا سياسة الاتحاد السوفياتي كاشفا أوراق اللعبة الاستعمارية الجديدة ، وتبعه الدكتور فاضل الجمالي مندوب العراق متحدثا في الموضوع ذاته ومستنكرا موافقة الاتحاد السوفياتي على التقسيم ، فما كان من الرفيـــق غروميكو وزير الخارجية الروسي اليوم ، الا ان وقف يومذاك مهددا متوعدا محذرا منذرا ، ووجـــه كلامه الى مندوبي الدولتين العربيتين قائلا : « **لن نغفر لكم هذا التحدي** » .

وبالفعل لم يغفر الاتحاد السوفياتي لهما موقف الدفاع عن الحق العربي في فلسطين ـ بقطع النظر عما اذا كنا نختلف معهما أو نتفق ـ وقد دفعـــا معا ثمن التحدي !

بالطبع ، يصعب علينا في مجال دراسة محـــدودة كهذه الدراسة أن نستعرض بالتفصيل كل ما قيل في تلك الايام لنؤكد حقيقة ارتباط السياسة السوفياتية بالصهيونية وتوادهما ووقـــع حوافرهما المشترك . فضبوط الجلسات والوثائق والخطب والبيانات والنشرات والكتب التي ينبغي عـلى الانسان أن يطالعها بدقة تبلـــغ عشرات آلاف الصفحات وكلها غاص مـليء بمواقف التواطؤ ، وبالافك الشيوعي الصهيوني ، وبالكثير مما يكشف أغراض السياسة السوفياتية وراء كل مواقف العداء الاسود للحق العربي في فلسطين .

على ان من يطالع الوثائق ويراجع الوقائع يستطيـــع أن يكتشف آفاقا كانت مجهولة من الراي العام العربي . فالحكومات العربية على اختلافها كانت وما تزال تحيا بعيدا عن القضية الفلسطينية ، غارقة أو مغرقة في لج الخصام والنزاع والمشاكل . ومسؤولية المثقفين العرب تبـــدو أعمق من مسؤولية الحكومات وأبعد ، فهم جميعا بين صامت خائف أو ناعـق بالاجر مشارك في

الافك . وليس الا القلة القليلة منهم تحمل مسؤولياتها الوطنية وتتصدى للغش والخديعة . وحتى هؤلاء لا يجدون العون لنشر معرفتهم وحصيلة متابعتهم ، وتتفق ضدهم كل ظروف التواطؤ المحيطة بالعرب . انهم موضع الرثاء من فريق والاتهام من آخر .. (١)

ان من يطالع الوثائق ويراجعها سيذهله أن يجد في القضية الفلسطينية جوانب وزوايا أغرقها الصمت المتآمر أو الصمت الجبان . ولن يغفر لنا المستقبل جميعا ، مسؤولين ومواطنين ، اننا سكتنا عن معرفة أو جهل – وكلاهما شر – طوال تلك السنوات عن مسؤوليات الشيوعية الدولية في قضية فلسطين ، مفسحين المجال بذلك لما نحن فيه اليوم ونخشاه من تقدم الشيوعية ، حتى لتوشك أن تفترس الحق والحرية على أرضنا جميعا وبلا مقاومة ، وبوهم انها تساند قضايانا القومية وهي المتآمر الاول والاخطر عليها.

ونعود الى مناقشة الموقف السوفياتي في الامم المتحدة على ضوء الوقائع ، والوثائق :

في الخامس عشر من شهر حزيران عام ١٩٤٨ ، وكان ذلك في ظل الهدنة الاولى ، وقف غروميكو المندوب السوفياتي يطالب بارسال مراقبين عسكريين سوفيات لضمان تنفيذ التقسيم وسلامة اسرائيل . وقدم غروميكو مشروع قرار الى مجلس الامن بهذا المعنى ، فرفض المجلس المشروع . ولم يجد العرب يومذاك في الموقف الروسي هذا سوى تأكيد جديد لمعنى الانحياز في جانب الصهيونية وضد الحق العربي . على ان الاحداث فيما بعد ، وبخاصة في السنوات الاخيرة ، كشفت هدفا روسيا آخر – وربما كان هذا الهدف في جملة الاغراض المشتركة الاخرى بين الصهيونية والشيوعية – **هذا الغرض هو الوجود العسكري السوفياتي في منطقة الشرق الاوسط ، وهو وجود يحقق لروسيا حلما قيصريا قديما بالوصول الى البحار الدافئة .**

---

(١) هذا الكتاب كان مقررا له أن يصدر قبل اكثر من عام ، الا ان ظروفا خاصة هي جزء من ظروف التواطؤ التي تحدثت عنها حالت دون ذلك، وسأترك الحديث عنها الى مناسبة اخرى!

ومن يتابع تطور السياسة السوفياتية واتجاهاتها يجد في اقتراح ايفاد المراقبين العسكريين عام ١٩٤٨ للاشراف على تنفيذ التقسيم **تطلعا مبكرا للوصول الى منطقة الشرق الاوسط** وتثبيت أقدامها فيها تمهيدا لافتراسها والحاقها بمداها الحيوي . وقد وجدت السياسة الشيوعية في المشكلة الفلسطينية وعلى حساب العرب الفرصة لتحاول التسلل وباسم الامم المتحدة.

ولقد يؤكد هذه الحقيقة لنا ما عرضه الاتحاد السوفياتي في رسالة بولفانين الشهيرة الى ايزنهاور عام ١٩٥٦ ـ خلال العدوان الثلاثي على مصر ـ من ارسال قوة مشتركة لحماية الامن والسلام في منطقة الشرق الاوسط . **ثم واتت الفرصة للاتحاد السوفياتي عن طريق صفقات السلاح الواسعة ، تلك التي أتاحت لمستشاريه العسكريين أن يصبحوا الحاكمين السريين لعدد من الانظمة العربية ليس يحتاج القارىء الى تسميتها وتحديدها فكلها معروف .**

وفي الموقف نفسه ، والجلسة ذاتها ـ ١٥ حزيران ١٩٤٨ ـ وقف غروميكو يقول : **اذا كانت أمريكا ما زالت صادقة في تأييد الدولة اليهودية الجديدة في فلسطين فلماذا ترفض وجود المراقبين العسكريين السوفيات لضمان ذلك ؟ ان السوفيات هم أول مؤيد وأكبر نصير وأثبت من يدعو الى تنفيذ التقسيم وحماية الدولة الجديدة)) .**

وللقارىء ان يتوقف قليلا عند بعض الكلمات هنا . لا بما تكشف هذه الكلمات من حقيقة فهي واضحة كل الوضوح ، بل ليقارن ما بينها وبين كلمات تنتشر بيننا وتذاع وتجد صحفا كثيرة وأبواقا ترددها . هذه الكلمات هي : « ان السوفيات هم أول مؤيد وأكبر نصير وأثبت من يدعو ... الخ » .

أليس يجد القارىء الكلمات ذاتها تتكرر اليوم في الصحف الشيوعية ولواحقها وهي تتحدث عن الاتحاد السوفياتي الصديق الثابت والنصير الثابت وأول مؤيد للعرب .

احترنا . الاتحاد السوفياتي أكبر نصير لمن ؟ للعرب أم لليهود ؟ أم لهما معا وبقدر ما يخدم هذا الموقف الفرض الشيوعي ـ الصهيوني

المشترك : غرض السلم الدائم ، فالصلح ، فالتعايش بين الجماهير العربية التي تم تشييعها واستلابها من قوميتها وتراثها ، وبين الصهيونية المتحفزة لابتلاع المزيد ؟!

ولو رحنا أعمق مع النصوص نستقرئها الحقائق **فسيروعنا أن نجد فيها جذورا لكل المواقف السياسية ، التي يتخذها اليسار العربي وتملي عليه اليوم** . فما من كلمة ولا تعبير ولا شعار أطلقه اليساريون بيننا ـ وقد كنت منهم يوما ـ الا ونجد أصوله فيما كان يطلقه الاتحاد السوفياتي من منابر الامم المتحدة وهو يحتضن الحركة الصهيونية كأم رؤوم ، ويزيد في حماسه لها على حماسها لنفسها .

ففي مرحلة الحرب العربية الاسرائيلية ـ نيسان ١٩٤٨ ـ وكان موقف الامم المتحدة الرسمي ما زال مائعا يتأرجح بين قرار التقسيم الذي سبق وأقرته الجمعية العامة ، ثم ألغته ، وبين المشروع الامريكي باقرار الوصاية الدولية الموقتة على فلسطين حفظا لوحدتها الجغرافية والسياسية .. في تلك المرحلة وقف المندوب السوفياتي غروميكو يقول :

((ان أمريكا لا تؤيد حق الشعب اليهودي في الحياة . والرأي العام الامريكي يستنكر منها أن تضحي باليهود لارضاء أصحاب المنافع الرأسمالية في شركات البترول وغيرهم ممن تربطهم بالعرب المصالح . ان الصحافة العالمية بما فيها صحافة أمريكا نفسها تستنكر التضحية بحقوق اليهود من أجل شركات البترول وزبائنهم العرب . ان الرأي العام البريطاني والفرنسي والبلجيكي وغيره يستنكر موقف أمريكا المتراجع ، فقد أصاب الامة اليهودية فواجع وآلام لا حصر لها على يد النازية ، وليس أبشع من أن نتركهم تحت رحمة عنصرية أخرى ـ يقصد العرب ـ أو نسخر مصائب الامة اليهودية لمصالح البترول ورجاله العرب أو الرأسماليين .)) .

فالحملة على البترول العربي قديمة اذن ، قدم الحملة على الرجعية وان اختلف اتجاه الحملة . فهو ـ أي البترول ـ كالرجعية، بالامس ضد اسرائيل ويقتضي الهجوم ضد الشركات البترولية ربطها أمام الرأي العام العالمي بموقف عنصري معاد لليهود للتحريض عليها . وهي ـ أي شركات البترول ـ

اليوم ، كالرجعية أيضا محالفة اسرائيل ، ويقتضي الهجوم ضدها ربطها أمام الراي العام العربي بالتحالف مع اسرائيل .

الموقف ونقيضه من جديد . ولكن وحدة الهدف تظل في النقيضين : انها تحطيم مقومات الحياة العربية في أشكالها جميعا وتراثها ، تمهيدا لمحو شخصيتها الوطنية ، ثم افتراسها على غرار ما افترس الروس أوروبا الشرقية وأوقعوا بها ذلا ونهبا لم يشهده بلد في ظل أي نظام استعماري سابق ، مع فارق واحد وهو ان الشيوعية بنت الفكر اليهودي تمهد لاستعمارها الاجد والاحدث والاشرس ، بتدمير الفكر القومي أولا والوثوب على الانسان من داخله وقناعته ، ثم على البلد من داخله أيضا وببعض مواطنيه ممن استلبته من نفسه !

وليس الموقف من البترول وحده ، ولاالموقف مما يدعى الرجعية العربية وحدها ، هما كل أدلة التوافق وارتباط الفروع بالاصول . فثمة الدعوة الى الحكم التقدمي والتعايش السلمي ، والحديث عن حركات التحرر الوطنية .. الى آخر ما يطلق اليسار العربي اليوم من تعابير استقاها من مواقف الاتحاد السوفياتي بالامس وهو يدافع عن قيام اسرائيل .

ومن الغريب أن يكون **التمسح بالدين** والتظاهر بالدفاع عنه أيضا هو احد وجوه الاتفاق وادلته . **فكما يتمسح اليسار العربي اليوم بالدين مرة بعد مرة في محاولة تحقيق أغراضه خطوة بعد خطوة ، كذلك كان الاتحاد السوفياتي يتمسح بالدين في معرض تأييده تقسيم فلسطين ومنح اليهود وطنا قوميا لهم فيها .**

ولقد بلغ به التصهين درجة الخروج على مألوف سياسته ومعروفها من أجل توليد الدولة اليهودية وحمايتها .

ففي جلسة مجلس الامن بتاريخ ٢٩ أيار ١٩٤٨ وقف غروميكو وزير الخارجية الروسية اليوم وأحد أبرز عناصر الشيوعية في العالم ، **وقف يبكي على القدس الشريف ويستبكي ، ويستثير ضمير المسيحية محرضا لها على العرب بدعوى ان القدس هدف لعدوان عربي مسلح !!**

قال غروميكو :

((ان الصراع في فلسطين تفجره الرجعية العربية والاستعمار ، مما يجعل مجلس الامن مشلولا ومقيد اليد في حماية القدس وضواحيها وهي التـــي تعتبر مركزا استثنائيا عند الاديان . فهل وصل العجز بالامم المتحدة حــدا لا تعبأ فيه بالضرر الذي سيصيب العقائد الدينية في القدس بسبب العدوان العربي المسلح ؟

هل نسي مندوب الارجنتين ان أغلبيـــــة بلاده الكاثوليكية يهمها أن لا تصاب المراكز الدينية في القدس بأذى ؟ وهل نسي مندوب الولايات المتحدة الامريكية ومندوب بريطانيا ان بروتستانت بلادهم قلقون على مصير الاماكن المقدسة في فلسطين المعرضة للعدوان ؟ أم ان على العالم بأسره أن ينتظر من دعاة الالحاد وحدهم الدفاع عن حرمة الاماكن المقدسة في فلسطين ، خاصة وان ممثلي الدول البروتستانتية والكاثوليكية في مجلس الامن قــد اختاروا الامتناع عن معونة الاتحاد السوفياتي في صون معاقل الدين في فلسطين))

بمثل هذا النفاق المركب كان الاتحـــاد السوفياتي يعرض القضيـــة الفلسطينية ويمعن فيها تشويها ومسخا خدمة لاغراض الصهيونية والتقـاء معها فكرا وهدفا ووسائل .

فالدولة الشيوعية الاولى الملحدة التي من تعاليمها أن تعتبر الديـــن والله والغيب أكاذيب صنعها الانسان وتحطمها الشيوعية ، يقف مدافعا عن حرمة الاماكن المقدسة في القدس محرضا جماهير المسيحيين ضد حكومات بلادهم لان ممثلي هذه الحكومات لم يأخذوا بوجهة نظر الاتحاد السوفيـــاتي ولم يبلغــــوا في خضوعهم للصهيونية وارتباطهـــم بها ما بلغه الاتحـــاد السوفياتي يومذاك .

ولكم وددنا لو قرأ بعض المخدوعين في بلادنا ، ممن يرون في سياسة الاتحاد السوفياتي سياسة مبدئية ثابتة ومع الحق والعرب ، هذه النصوص جميعا ، ليروا كم كان في مواقف الاتحاد السوفياتي من تناقض مع ظـاهر المبادىء الشيوعية ومكتوبها وكم كان فيها من عدوان علـــى الحق المقدس ،

حق الشعوب في أن تقرر مصيرها بحرية وعلى أرضها وبغير قوة تفرض عليها حلولا لا ترضاها .

والمفارقة هنا لا حدود لسخفها وغرابتها . فالاتحاد السوفياتي الدولة الملحدة المعادية للدين والتي شعارها ما قاله لينين : « الدين أفيون الشعوب » .. هذا الاتحاد السوفياتي يغدو في لحظة الحماس الصهيوني مدافعا صلبا عن قدسية القدس ويخشى عليها من العدوان العربي !

هل في الادلة على صهيونية الشيوعية وشيوعية الصهيونية ما هو ابعد من هذا واكثر دلالة ؟

ثم ترتفع عندنا أصوات المغفلين والمخدوعين بعد كل ذلك تدافع عن الصداقة العربية السوفياتية ، ويسمح للاحزاب الشيوعية أن تمارس نشاطها المخادع وتوزع الفساد والافك ، **ولا يتحرج اليسار العربي القومي من أن يزيد في تعاونه مع هذه الاحزاب ويزيد في اتجاهه المستسلم لروسيا وهو لا يدري أية هوة يحفر في هذا لنفسه وبلاده .**

* * *

تلك مجرد ملاحظات على هامش الموقف السوفياتي في الامم المتحدة ، ولم نناقش هذا الموقف من زاوية المبدأ وبالمقارنة مع النصوص المكتوبة ، لاننا نخدم الشيوعية لو اعتقدنا انها كمبدأ تناهض الصهيونية والعدوان وان الخطأ في مؤيديها وانصارها . فالشيوعية ككل دعوة أخرى تكتسب معناها ووضوحها في التطبيق وليس في الكتب . وكما نجدها في التطبيق ليست أكثر من مذهب يحلل كل شيء لمؤيديه ويحرم كل شيء على معارضيه وخصومه ، بفرض افتراس السلطة واغتيال الحكم .

انها شهوة متوثبة في نفوس يملؤها المرض ، وتستبد بها بدائية الانسان الاولى ، فتحاول أن تحقق نفسها بأية وسيلة وبكل أداة .

مجرد موقف عاجز تجاه الحضارة ، لا تستطيع أن ترتفع فوقها فهي تحاول أن تدمرها ، ولا أن تزيد فيها فهي تحاول أن تنقصها ، ولا أن تعطيها فهي تجهد لتاخذ منها .

عشب طفيلي يتسلق ..

وكلمات مختارة تغطي نفاقا وجبنا وتهالكا علـى السلطة ، ورغبة جامحة في البطش والانتقام من كل ما هو أعلى لانها لا تستطيع أن تكون الاعلى ..

ثم أخيرا : الغاء كامل للحرية والعقل والضمير والوجدان ، واستعباد ذليل للانسان من داخله ، بلا هدف نبيل .

تلك هي الشيوعية كما نكتشفها من خلال مواقفها جميعا وعلى الاخص منها موقفها من العرب وفي قضية فلسطين بالذات !

مستمسكات

وثائق ونصوص من أرشيف الأمم المتحدة

نقدم الى القارىء فيما يلي بعض النصوص ماخوذا مـن وثائق الامـم المتحدة وضبوط جلساتها لاقـــوال المندوبين السوفيات : غروميكـــو ، تسارابكين ، يعقوب مالـك ، خـلال مناقشة قضيـة فلسطين . ويستطيع القارىء من النصوص وحدها ـ وهي مجـرد نمـاذج وامثلة لان النصوص بكاملها تزيد على آلاف الصفحات ـ ان يلم بوجهة النظر السوفيتية فـي قضية فلسطين وما كان عليه موقف أصدقائنا اليوم ، بالامس ! !

قضية فلسطين قضية اليهود !

« لقد استمعنا منذ البدء الى منـدوبي الدول العربية يعرضون وجهة نظرهم ، ولكننا لم نستمـع بعد الى مندوبي الهيئات اليهودية . **ان علينا أن نذكر دائما ان قضية فلسطين ليست سوى قضية اليهود ، ولذا فلا مجال للبحث في هذه القضية بغير مراعاة مصالح اليهود والاخذ بعين الاعتبار قلقهم . ليس يهود فلسطين وحدهم بل اليهود في كل مكان .**

لقد عارض البعض رغبتنا في دعوة ممثلين عن الهيئات اليهودية للمشاركة في أعمال الامم المتحدة . واستنـد ذلك

البعض في الرفض الى القول بمخالفة مثل هذه الدعوة ميثاق الامم المتحدة . غير ان هذا الرفض مرفوض لدينا . فنحن مقتنعون بأن ليس في الميثاق ما يحول دون دعوة الهيئات اليهودية للحضور أمام الجمعية العامة ، وليس في الميثاق ما يحول بيننا وبين الاصرار على هذه الدعوة . وعلى أي حال ليس مهما ان يوجد مثل هذا النص في الميثاق **ما دامت طبيعة المسألة الفلسطينية تفرض علينا أن نعطي اليهود دورا أصيلا في أعمال الامم المتحدة .**

ان عمر الامم المتحدة قصير ، فلنخلق أسبقية لاعمالها ان لم يكن في الميثاق ما يجيز دعوة الهيئات اليهودية .

لقد عارض بعض مندوبي الدول ـ يقصد العربية والاسلامية ـ في الدعوة بحجة ان هذا ضار بسمعة الامم المتحدة ومبادئها . انا لا أوافق على مثل هذا الرأي ، فتوجيه الدعوة الى ممثلي الهيئات اليهودية للمشاركة في أعمال الجمعية العامة هو في رأينا عمل مجيد يمنح الامم المتحدة سمعة طيبة .

ان قضية فلسطين هي قضية الشعب اليهودي . ولا بد من توفير كل الفرص والاجواء أمام ممثليه للمشاركة ليس أمام اللجنة السياسية فحسب ، بل وفي الجمعية العامة . **والوكالة اليهودية هي الممثل الصحيح للشعب اليهودي في فلسطين** ، فلتعط الفرصة أمام الامم المتحدة لتشارك في بحث ومناقشة قضيتها . واذا كانت هنالك هيئات يهودية اخرى تود المشاركة فسننظر الى طلبها بعين الاهتمام » (١) .

---

(١) من خطاب «فروميكو» المندوب السوفياتي في الامم المتحدة امام اللجنة التوجيهية بتاريخ ٢ أيار ١٩٤٧ ـ وثائق الامم المتحدة ـ محاضر الجلسات.

تأنيب سوفياتي للعرب !

« ان قضية فلسطين لا تهم العرب وحدهم ، بل الامم المتحدة . **وآمل ان يعتبر كلامي هذا تأنيبا للدول العربية التي تحاول أن تحصر بنفسها بحث المشكلة الفلسطينية دون أن تراعي شعور اليهود .**

ان قضية فلسطين تهم كل اليهود ، وهي تزعجهم وتزعجنا نحن السوفيات أيضا كلما ارتفع صياح العرب ».

من خطاب غروميكو امام اللجنة التوجيهية في ٣ أيار ١٩٤٧ .

الإتحاد السوفياتي يقترح تقسيم فلسطين وإقامة إسرائيل !

« ... وعلى لجنة التحقيق الدولية أن تذكر بان الاغلبية العظمى من الشعب اليهودي في العالم مرتبطة ارتباطا وثيقا بقضية فلسطين ومستقبلها ومستقبل الحكم فيها . وهذا أمر معقول نستطيع أن نفهم مراميه ونقرها . **فلقد اصاب الامة اليهودية نكبات وآلام يستعصي على اللسان أن يصفها. ونحن نسال الامم المتحدة هنا باسم الشعب اليهودي المشرد بان تراعي آماله وتحققها فتقر له وطنا وحقوقا .** وانه لمن المنكر ان نمنع عن الامة اليهودية هذا الحق .

لن ادخل في صلب الموضوع الآن فأحدد موقفي من الآراء الخاصة بمستقبل فلسطين ، فسيأتي مجال ذلك ، ولكن ما أود أن أدلي به الآن هو نقاط جوهرية .

ان فلسطين وطن قومي للعرب واليهود معا ولا يجوز ان نمنحها لطرف واحد . والاتحاد السوفياتي يرى ان أفضل الحلول هو أن نعطي اليهود والعرب حقوقا متساوية في دولة واحدة يحكمها الطرفان حكما مزدوجا . **فاذا تعذر ذلك فاننا قد نجد الحل في تقسيم فلسطين الى دولتين : دولة عربية ودولة يهودية . وعلى لجنة التحقيق أن تدرس هذين الاحتمالين لمستقبل فلسطين »** .

من خطاب غروميكو امام اللجنة السياسية بتاريخ ١٤ أيار ١٩٤٧ .

مِن حَق اليهُود أن يفرضُوا سِيَادتهم عَلى فلسْطين ؟

« ليست الحجج القانونية ولا التاريخية التي يقدمها العرب الآن ذات شأن ، ولا يرغب الاتحاد السوفياتي في الدخول بجدل بيزنطي مع العرب . **يكفي أن نعرف ان اليهود قد عانوا الاضطهاد ، وفي مقدمة مسؤولياتنا هنا في الامم المتحدة أن نضمن لليهود وطنا خاصا بهم ، ومن الظلم أن لا نساعدهم على ذلك ، ومن حق اليهود الشرعي أن يفرضوا سيادتهم على فلسطين لئلا يكونوا تحت رحمة العرب** . فاذا اضطررنا الى مراعاة الشعور العربي فان ذلك بضمان نوع من الوحدة الاقتصادية بينهم وبين الدولة اليهودية الجديدة .

ان الاتحاد السوفياتي يدعو ويؤيد ويعمل من أجل اقامة هذه الدولة وضمان مستقبلها . وفي فترة الانتقال فالاتحاد السوفياتي يلح على الامم المتحدة أن تحمل مسؤولية ذلك ، والاتحاد السوفياتي سيساعد بكل الوسائل على تحقيقه» . (١)

---

(١) من خطاب سيمون تسارابكين امام اللجنة السياسية الموقتة بتاريخ ١٣ تشرين الاول ١٩٤٧ .

«الأمّة اليهوديّة»
وحقوقها الأزليّة بفلسطين !

« لقد رفض الاتحاد السوفياتي الراي القائل باعلان استقلال فلسطين في دولة واحدة ، واقر خلق دولة يهودية وعربية في فلسطين . **ان للعرب واليهود معا جذورا تاريخية راسخة في فلسطين ، فمن حق اليهود أن يبنوا هناك دولة ديموقراطية مستقلة تغدو نموذجا للمؤمنين بالديموقراطية في المنطقة .**

ان الاتحاد السوفياتي لا يعارض في موقفه هذا مطالب الشعب العربي بل مطالب الحكومات العربية . فالجماهير في كل مكان ومن كل الجنسيات تتشارك في المصالح والآمال والاهداف . **ان اقرار التقسيم لا يتعارض مع مصالح الجماهير العربية واليهودية .** بل على العكس فالاتحاد السوفياتي واثق من ان التقسيم يخدم مصالح الجماهير العربية واليهودية المشتركة .

يصر المندوبون العرب على القول بأن التقسيم ظلم بحق العرب . والاتحاد السوفياتي لايوافق على هذا الراي **لان لليهود روابط وحقوقا وصلات أزلية بفلسطين . وقد قاست الامة اليهودية ظلما واضطهادا كان آخر نماذجهما على يد الهتلرية . فمن الواجب أن نضمن لليهود وطنا قوميا حيث مطلبهم التاريخي في فلسطين .**

ان الاتحاد السوفياتي يعطف على آمال العرب في التحرر الديموقراطي ، وهو لا يعتبر موقف المندوبين العرب ولا كلامهم السيىء معبرا حقيقيا عن آمال الجماهير العربية في مسألة فلسطين . **والاتحاد السوفياتي على أتم الثقة من**

ان الجماهير العربية وطليعتها القيادية الديموقراطية ستتطلع يوما ما الى موسكو ترتقب من الاتحاد السوفياتي العون لهـا في نضالها لمكافحة الاستعمار والرجعية والتخلف » .

من خطاب غروميكو امام الجمعية العامة للامم المتحدة في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧ خلال مناقشة مشروع التقسيم الذي قدمته اللجنة الفرعيـة المنبثقة عن اللجنة السياسية الموقتة . وهو المشروع الذي اشترك الاتحاد السوفياتي في وضعه وسبق الى اقتراحه .

الغـُزاة العَرب !!

« من المستحيل تحقيق الهدنة فـي فلسطين ما دامت عصابات ووحدات عسكرية قد دخلت البلد من الخارج بقصد شن الحرب والخراب ومعارضة الامم المتحـدة في مشروع التقسيـم .

ان على الامم المتحـــدة ان تنزل بالغزاة العرب اقسى العقاب وتعيدهم الى الصواب » .

من خطاب غروميكو امام مجلس الامن في جلسته بتاريخ ٢٣ نيسـان ١٩٤٨ في اعقاب اشتعال الحرب الاسرائيلية ـ العربية بعد جلاء القـوات البريطانية عن فلسطين .

لوم سُوفياتي لأمريكا
بسَبَب تراجعهَا عَن تأييد التقسِيم !!

« لقد خلق تراجع الحكومة الامريكية عن موقفها المؤيد لقرار التقسيم وضعا جديدا للقضية الفلسطينية يستـوجب علينا استنكاره . **فمواقف السوفيات من التقسيم هو موقف**

المؤيد والمناصر والعازم على التنفيـذ . ان التقسيم مشروع عادل لانه يحقق آمال الشعب اليهودي كما يحقق آمال عرب فلسطين !

ان الولايات المتحـدة الامريكية في موقفها الجـديد لا تعارض مشروع التقسيم فحسب ، بل وتعمل على ابقـاء فلسطين موحدة ، وترفض بأن ترغم العرب المعارضين عـلى القبول بأي حل آخر . **هـذا الموقف الامريكي يعارض ارادة الامم المتحدة التي اقرت التقسيم ومعـونة اليهود على خلق وطن قومي لهم في ديارهم فلسطين .**

يصر المندوب الامريكي عـلى ان مشروع التقسيم غير منصف ولا قابل للتنفيذ . **هذا المنطق هراء ، ولقد طبخوه في اسبوعين لترضية العرب** ، ومن المؤسف أن يكون هذا الموقف الامريكي الجديد مخالفا للحقائق ومعاديا للانصاف .

والذين يدعون بأن المشروع غير قابل للتنفيذ مخطئون ، ففي استطاعتنا تنفيذه والتغلب على معارضيه . اننا سنلجأ الى جميع الوسائل فـي سبيل ذلك . والراي العام العالمي يؤيد وجهة نظرنا وحرصنا على معونة الشعب اليهودي .

اننا سنكافح الوصاية الدولية على فلسطين اذا كـان هدفها أن تعرقل تقسيمها وتترك للعصابات العسكرية العربية افساد حق الشعب اليهودي في وطنه واستقلاله » . (١)

---

(١) من خطاب غروميكو امام مجلس الامـن بتاريخ ٣٠ اذار ١٩٤٨ خـلال مناقشة القضية الفلسطينية بعد انفجـار الصراع المسلح بين العرب واليهود . وكان الموقف الامريكي الرسمي قد تراجع عن فكرة التقسيـم وقدمت امريكا مشروعها باقرار الوصاية الدولية المؤقتة انقاذا لوحـدة فلسطين الجغرافية والسياسية ورعاية للموقف العربي .

لوم آخر لامريكا
واتهام مبكر للبترول !

« ليس صحيحا ان الموقف في فلسطين قد تدهـــور بسبب قرار التقسيم . فالذي يدفع الموقف الفلسطيني في اتجاه التدهور هو تقاعس بعض الدول كالولايات المتحـــدة الامريكية عن العمل الجدي لتنفيذ التقسيم ومعارضة الدول العربية في تدخلها السيىء بفلسطين واشهارها السلاح في وجه الامم المتحدة .

ان الولايات المتحدة الامريكية لا تريـــد أن تؤيد حــق الشعب اليهودي . والراي العام العالمي يستنكر ان تضحــي الولايات المتحدة باليهود من أجل أصحاب المنافع الراسماليـــة من شركات البترول وغيرهم ممن ترتبط مصالحهم مع العرب. ان الصحافة العالمية بما فيها الصحافـــة الامريكية تستنكر تضحية الحق اليهودي من أجل شركات البترول وزبائنهم . والرأي العام البريطاني والفرنسي والبلجيكي وغيره يستنكر هذا الموقف الامريكي . لقـــد أصاب الامة اليهـودية فواجع واضرار كبيرة على يد العنصريـــة النازية ، ومن الشناعة أن تترك الآن تحت رحمة عنصرية اخرى ، أو تسخر مصائبهـــا لارضاء أصحاب مصالح البترول ورجاله العرب والراسماليين.»

اننا لا نستطيع ان نامل حلولا منصفة في قضية فلسطين والدوائر الحاكمـــة في أمريكا تسيطر عليهـــا الراسمالية والرجعية وتتمسح باسم العدل لعرب فلسطين منقلبة عـــلى الحق اليهودي في فلسطين .

ان مطلب الولايات المتحدة الامريكية في الوصاية عـــلى فلسطين هو دفن لقرار التقسيم ودفن لآمال الامة اليهودية .

لقد طرأ على القضية الفلسطينية الآن موقف جديد زادها تعقيدا . هذا الجديد هو العدوان الاجنبي الذي غزا البلد ويريد منا الامريكان أن نتجاهله . ان هذا التجاهل زور ولا مجال للهدنة أن تخدم أغراضنا الا اذا انسحب المعتدون – العرب – ولن ينفع في تبديل موقفنا بإزاء هذا العدوان أية بلاغة أو منطق .

الى متى نظل متجاهلين قرار التقسيم ونعمل على عرقلته ؟ ان الدم يسيل في فلسطين ولا ينفع فيه سوى التقسيم وحزم الامم المتحدة)) .

من خطاب غروميكو امام مجلس الامن بتاريخ ١٣ نيسان ١٩٤٨ .

عدوان عربي يهدد الأمن !
وحركة تحرير وطني يهودية يؤيدها السوفيات !
والمندوبون العرب رجعيون لا يمثلون شعوبهم !!

« ... ان الاتحاد السوفياتي يصر على ان قرار الجمعية العامة في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ (١) هو أشد الحلول انصافا ، **فهو يعطي للجماعة اليهودية حقها في وطن خاص مستقل** . غير ان بعض العناصر في الجمعية العامة رفضت التقسيم وعارضته واعتبرت انه لم يعد موضوعا للبحث . مثل هذا القول لا يتفق مع الواقع والحق ، **فقد أعلن اليهود دولتهم ، ونحن نعترف بهم ونؤيدهم ، ولا حق لمجلس الامن**

---

(١) قرار التقسيم .

في التدخل الآن . ان قرار التقسيم هو حق شرعي لليهود ، فاذا تجاهل هذا مجلس الامن ، فقد شجع العناصر المعتدية على خلق المشاكل والمتاعب .

لقد قامت الدولة اليهودية الجديدة ، واعترفنا بها وتبادلنا معها التمثيل الدبلوماسي الكامل ، وقدمت هذه الدولة طلب الانتساب الى الامم المتحدة ونحن نؤيد طلبها .

ان العدوان على فلسطين خطر يعرقل استتباب الامن الدولي ، فاذا كان لمجلس الامن دور في الموقف الفلسطيني فهو دور الرادع للعدوان .

ان على الامم المتحدة أن تقدر خطورة التدخل العربي المسلح وتصديه لقرارات الامم المتحدة . ان هذا العدوان امر خطير جدا ، وسواء أجاء العدوان من الجيوش النظامية أم غيرها فهو عدوان على كل حال وهتك للحق .

ان الاتحاد السوفياتي اذ يراعي حاجات شعوب الشرق الادنى بما فيها العرب في الاستقلال والتحرر من النفوذ الاجنبي ، فانه يؤيد حركات التحرر الوطني كلها . **وحق اليهود في وطنهم فلسطين هو حركة تحرير تنال من الاتحاد السوفياتي التأييد والحضانة .** اننا لا نعترف بأن مندوبي الدول العربية هنا في الامم المتحدة يمثلون حقيقة شعور العرب ومصالحهم ، **فالحقيقة العربية الشعبية لا تناوىء حركة التحرير الوطني اليهودية ، وانما يناوئها نفر من الرجعيين لا يمثلون جماهير العرب . ان مصلحة الجماهير العربية مرتبطة جذريا بمصالح حركة التحرير اليهودية الوطنية** ، وحين ترتفع قبضة القيادات الرجعية وعملاء الاستعمار عن الجماهير العربية فالوفاق سيسود بين حركات التحرير الوطنية العربية وحركة التحرير الوطنية اليهودية في فلسطين وتسود بينهما صلات الاخوة .

لقد تقـــدم البعض بمقترح هنا لتعيين وسيط دولي يعالج النزاع فـي فلسطين بالحسنى ، والاتحـاد السوفياتي يخشى من أن تؤثر هذه الوساطة على قرار التقسيم وتلفـم الحــق » .

من خطاب غروميكو امام مجلس الامن بتاريخ ٢١ ايار ١٩٤٧ .

الغزو العسكري العربي لفلسطين !
السوفيات يؤيدون الهجرة اليهودية المستمرة ..
والعدوان على إسرائيل مؤامرة حاكتها الرجعية العربية !!

« في قرار ٢٢ أيار ١٩٤٨ ــ حاول مجلس الامــن أن يدعو الدول المعنية بالامر الى وضع حد لعدوانها العسكري ، غير ان هذه القرارات ظلت حبرا عـــلى ورق . ان الدول العربية في غزوها العسكري لفلسطين انما تتحدى مقررات مجلس الامن . وليست هي المرة الاولى التي تتجاهل الدول العربية مقررات مجلس الامن أو الجمعية العامة . **ان الاتحاد السوفياتـــي يسجل هنا رأيه الصريح فـي العبث العربي بمقررات الامم المتحدة** ، وليس من صالح الامــم المتحدة أن تصبر أو تصفح عن هذا العبث ، بل ان واجبها هو ان تضع حداً له .

ان بعض الدول هنا يبدي ميوعــــة وضعفا في ردع العدوان ، وهذا يضر بسمعة الامم المتحدة وهيبتها . مــن الضروري ردع المعتدي ، والاتحاد السوفياتي عازم على ذلك . **وأي قرار يتخـــذه مجلس الامن أو اجراء لمعالجـة الموقف الطـارىء ، يجب أن يؤيد ولا ينقض قـــرار الجمعية العامة الداعي الى تقسيم فلسطين وصون الدولة اليهودية الجديدة.**

لقد تقدم الوفد البريطاني في مجلس الامن بمشروع قرار يدعو الدول الاعضاء الى منع مواطنيها اليهود من الهجرة الى فلسطين في هذه الفترة انتظارا لما يرفعه الوسيط الدولي من توصيات حول القضية .

ان وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين أمر لا نقره ، فقد غدا لليهود دولة مستقلة رسمية نعترف بها قانونا ولسنا نملك الحق في منع اليهود من الهجرة الى بلدهم !

قد يكون من المعقول ان نستمع الى آراء المندوب البريطاني لسابق معرفة حكومته وخبرتها بالقضية الفلسطينية، ولكننا لا نرى في دعوته الى وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين سوى الشر ، فهل يدرك المندوب البريطاني ان وقف الهجرة الى فلسطين الآن معناه ان نضع اليهود تحت رحمة العرب وأن نسمح بمذابح وضحايا من يهود فلسطين . يجب أن نحذر دعوة المندوب البريطاني . فبريطانيا لعبت دورا منافقا في القضية الفلسطينية وحالت ما بين أهل فلسطين والاستقلال ، وها هوذا المندوب البريطاني يأتي اليوم ليعرقل مولد الدولة الجديدة المستقلة .

ان وقف الهجرة اليهودية الآن الى فلسطين كما يقترح المندوب البريطاني علينا هو عمل غير قانوني . فمن حق الدولة اليهودية الجديدة أن تفعل ما تشاء في مسألة الهجرة اليها . ان الدولة اليهودية حقيقة قانونية نعترف بها وليس لمجلس الامن أن يفرض عليها أمورا ليست من اختصاص الامم المتحدة أصلا ، بل هي في صميم الحق الداخلي للدولة المستقلة . وحتى لو اتخذ مجلس الامن مثل هذا القرار - بمنع الهجرة الى فلسطين - فسيظل حبرا على ورق وكلاما أجوف .

ان المشروع البريطاني هو بمثابة العقوبة تفرض على

الدولة اليهودية الجديدة . ومثل هذه العقوبة كان اجدر بان تفرض على العرب ... فهل تريـــد بريطانيا نصرة الحق ام هي تحاول أن تصب الوقود على النار الفلسطينية ؟

ان بريطانيا تغازل العرب الآن وتتجاهل بل هي تهـدر حق اليهود وتعبث بمقررات الامم المتحدة . ان مصلحة العرب واليهود هي في مكافحـــة الاستعمار وفي أخـوة الجماهير الشعبية المتحررة من كلا الشعبين .

ان مصر ما تزال عـــاجزة عن التخلص مـــن القاعدة البريطانية في بلادها . وعلى العرب ان يتحرروا من الاستعمار أولا ، والا كان الموقف مضحكا . ان خصم العرب هو الاستعمار لا الجماهير اليهودية ، ومعارضة العرب لمولد دولة يهـودية واخرى عربية في فلسطين لا يخدم سوى الاستعمار .

ان العدوان العربي المسلح في فلسطين مفامرة حاكتها الاوساط العربية الحاكمة ، وقد تقدم الاتحاد السوفيـــاتي بمشروع قرار الى مجلس الامن يأمر بوقف العدوان عـــلى فلسطين خلال ٣٦ ساعة . **ونحن نرى ان واجب مجلس الامن وحقه هو تحميل العرب وحدهم مسؤولية العدوان .**

ان الصراع في فلســـطين تفجره الرجعية العربيـــة والاستعمار ، مما يجعل مجلس الامن مشلول النشاط ومقيد اليد في حماية القدس وضواحيها وهي التي تعتبر مركـــزا استثنائيا عند الاديان . فهل وصل العجز بالامم المتحدة حدا لا تعبأ فيه بالضرر الذي سيصيب العقائد الدينية في القدس بسبب العدوان العربي المسلح ؟

هل نسي مندوب الارجنتين ان اغلبية بلاده الكاثوليكية يهمها ان لا تصاب المراكز الدينية في القـــدس باذى ؟ وهل نسي مندوب الولايات المتحدة الامريكية ومندوب بريطانيا ان

بروتستانت بلادهم قلقون على مصير الاماكن المقدسة في فلسطين المعرضة للعدوان ؟ أم ان على العالم باسره أن ينتظر من دعاة الالحاد وحدهم الدفاع عن حرمة الاماكن المقدسة في فلسطين ، خاصة وان ممثلي الدولة البروتستانتية والكاثوليكية في مجلس الامن قد اختاروا في مجلس الامن هنا الامتناع عن معونة الاتحاد السوفياتي في صون معاقل الدين في فلسطين ؟! » .

من خطاب غروميكو امام مجلس الامن بتاريخ ٢٩ ايار ١٩٤٨ بعد نشوب الصراع العربي الاسرائيلي المسلح واجتياز الجيوش العربية حدود فلسطين دفاعا عن الحق العربي .

السوفيات يقترحون إيفاد مراقبين عسكريين منهم لحماية إسرائيل !

« ... وأرى من واجبي التوكيد ثانية على استعداد الاتحاد السوفياتي لتنفيذ ما أوصى به مجلس الامن . ولذا وجب علينا الآن أن نبحث بالتفصيل الوسائل التي يجب على الوسيط الدولي ولجنة الهدنة الفلسطينية أن يقوما بها .

والمسألة المهمة بالنسبة للاتحاد السوفياتي هي موضوع المراقبين العسكريين . اننا نرفض أن يكون هؤلاء المراقبون من الدول ذات التمثيل القنصلي في القدس وحدها . **أن الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى لشديدة الرغبة في أن ترسل المراقبين العسكريين لتنفيذ قرار مجلس الامن والتأكد من ان مهام الوسيط الدولي تنفذ على النحو الذي يرضى عنه المجلس » .**

من خطاب غروميكو امام مجلس الامن في ٦ حزيران ١٩٤٨ بعد ان قرر مجلس الامن الهدنة الاولى ولم يكن قد توقف القتال بعد .

أصوات الاتحاد السوفياتي والكتلة الشيوعية
هي التي حسمت قرار التقسيم !!

« ... والذين يرفضون ايفاد العسكريين السوفيات الى فلسطين يهدفون الى عرقلة الامور . ان الاتحاد السوفياتي لشديد القناعة بأن هذا الرفض للدور السوفياتي لتنفيذ التقسيم مرجعه الى التطور الجديد في موقف الولايات المتحدة . **فالامريكان تخاذلوا في حين ان الاتحاد السوفياتي ظل ثابتا على موقفه مصرا اصرارا متواصلا على تنفيذ التقسيم .**

ان العالم يتساءل عن الغرض من هدنة الاسابيع الاربعة التي جاء بها الامريكان **وهل تريد أمريكا استغلال فترة الهدنة للمساومة مع العرب** والوصول الى اتفاق خارج الامم المتحدة وعلى حساب الطرف الآخر ؟

اذا كانت أمريكا صادقة في موقفها من تاييد اليهود في دولتهم الجديدة في فلسطين فلم ترفض وجود العسكريين السوفيات لضمان ذلك ؟ ان الاتحاد السوفياتي هو اول مؤيد وأكبر نصير واثبت من دعا ويدعو الى التنفيذ والتأييد .

لقد واجهت الولايات المتحدة الامريكية أعظم الصعوبات في جمع الاصوات الكافية لتأييد مشروع التقسيم في العام الماضي ، **وكان لاصوات الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الشقيقة القول الفصل في نجاح القرار .** اما اليوم فالولايات المتحدة الامريكية تجد صعوبة في جمع أصوات التأييد لها لاضعاف قرار التقسيم ، وهذا التطور يسيء الى الامم المتحدة وسمعتها » . (١)

---

(١) من خطاب غروميكو امام مجلس الامن بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٤٨ .

الاتحاد السوفياتي يرفض الهدنة

ويؤيد الصلح والتعايش السلمي !

ويبكي للاجئين اليهود ويطالب بتوطين اللاجئين العرب !!

« منذ البدء ظل الاتحاد السوفياتي داعيا الى تقسيم فلسطين والاعتراف بحق اليهود في أن يعيشوا بسلام مع العرب . **غير ان مجلس الامن لم يؤيد التقسيم ولا ايقاف المعتدين العرب عند حدهم** ، وكل ما فعله الاعضاء هو طلب الهدنة الموقتة لبضعة أسابيع لا ردع المعتدين ردعا نهائيا .

ان الاتحاد السوفياتي لا **يوافق على الهدنة الموقتة وانما يريد صلحا دائما بين العرب واليهود** لان مصلحة الجماهير العربية واليهودية التقدمية مشتركة ، يصونها التعايش السلمي والاخوة التقدمية .

لقد أثار مندوب بريطانيا مشكلة اللاجئين العرب وتجاهل مأساة اللاجئين اليهود الاوروبيين . ثم جاءنا مندوب سورية فأبلغنا في جلسة ١٣ آب بأن عدد المشردين الفلسطينيين العرب زاد على نصف مليون نسمة لا تجد أغلبيتها وسائل العيش .

ان السؤال الذي يجب أن نسأله هو : على من يقع اللوم في مشكلة هؤلاء ؟ ومن هو المسؤول عن تشريد نصف مليون من الناس تركوا بيوتهم وأعمالهم السلمية وغدوا بؤساء بلا مأوى ؟

ان الذنب يقع على شركات البترول الامريكية التي ضغطت على حكومتها في واشنطن لتعارض تنفيذ قرار التقسيم الذي أصدرته الجمعية العامة للامم المتحدة .

ان هدفنا وهدف الامم المتحدة من اقرار التقسيم كان خلق التعايش السلمي بين العرب واليهود **ومنح اليهود حقهم الطبيعي والتاريخي في وطنهم فلسطين . ولكن الاقطاع العربي تحدى قرارات الامم المتحدة** واعتبرها مجرد قصاصة ورق يمزقها العدوان على الجماهير التقدمية .

هنالك تواطؤ بين الاقطاع العربي والرأسمالية والاستعمار لخلق العداء والحقد بين الجماهير العربية والجماهير اليهودية . وهذا هو سبب التوتر وسبب التشرد الذي أصاب الجماهير العربية في فلسطين .

وان الطريقة الوحيدة لحل مشكلة هؤلاء اللاجئين هي في حمل العرب على احترام قرار التقسيم وتوطين اللاجئين العرب وفق برامج ومشاريع يقوم بها العرب أنفسهم في الشرق الادني ، وعلى أساس مبدأ التعايش السلمي بين الجماهير العربية التقدمية والجماهير اليهودية التقدمية في اسرائيل » .

من خطاب يعقوب مالك المندوب السوفياتي امام مجلس الامن بتاريخ ١٨ آب ١٩٤٨ .

هُدنة فسُلم فصُلح فتعايش

وحديث عَن تصارع القوى .

« ان عمل مجلس الامن الرئيسي هو وقف القتال والعدوان العسكري وترك الامور على ما هي عليه حتى يحين الوقت للاطراف المتنازعة في فلسطين للوصول الى تسوية سلمية . فأول خطوات التعايش السلمي هو مرحلة الهدنة الموقتة ، ونقلها الى مرحلة السلم ، فالصلح ، ثم التعايش السلمي .

ان تاريخ القضية الفلسطينية شاهد على تصارع القوى للسيادة على الشرق العربي . وفكرة الوساطة الدولية خاطئة أصلا ، وهي لن تستطيع حل القضية الفلسطينية او ابدال الوضع الجديد بعد مولد اسرائيل . **ان الوضع الجديد سيظل قادرا على البقاء** .ولا نفع من استنباط مشاريع أخرى أو التراجع عن قرار التقسيم . ان كل تدخل لتبديل هذا الوضع ليس سوى عبث يزيد في المتاعب والآلام التي يعانيها العرب واليهود في فلسطين .

لا تستغربوا أيها السادة اذا وجدنا أنفسنا يوما أمام وضع تقوم فيه الاطراف المعنية بالامر مدفوعين بمصالحهم الخاصة مصالح الجماهير التقدمية للتفاوض السلمي والتعايش السلمي ويفاجئون العالم بالامر الواقع . ان الاتحاد السوفياتي لن يوقف المسعى والتأييد والترحيب لمثل هذا الهدف ، ومن العباطة ان نصر في هذه الآونة على أمور فرعية في النزاع العربي الاسرائيلي مثل مسألة النقب .

ان النقب والمناطق الاخرى المتنازع عليها ليست سوى أمور فرعية في أصل المسالة لا يحلها الا مولد ظروف جديدة في المنطقة العربية كلها . عندئذ يستطيع العرب واليهود تسوية نزاعهم بأنفسهم خارج التدخل الاستعماري .

ان التعايش السلمي وفض النزاعات بالطرق السلمية مبدأ من مبادىء الامم المتحدة ، وهو مبدأ أيضا من مبادىء اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية . **وواجبنا في المسالة الفلسطينية هو أن ندعو الى الهدنة أولا ثم نترك الاحقاد تندثر وتنشأ بدلا عنها علاقات سلمية .. علاقات تعايش سلمي» . (١)**

---

(١) من خطاب يعقوب مالك امام مجلس الامن في جلسته بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٤٨ .

اسرائيل وُجدت لتبقى !

هكذا قال المندوب السوفياتي !

« لقد وجدت اسرائيل لتبقى حيث موطن اجدادها . ووجود اسرائيل في منطقة الشرق الاوسط سيكون عنصر خير وسلام وأمثولة للجماهير العربية الطامحة الى التخلص من الاستعمار والرجعية .

ان اسرائيل تسعى الى السلام والتعايش السلمي مع جيرانها العرب ، هؤلاء الذين يرفضون التعايش السلمي مع اسرائيل . وهذا الرفض مرده الى الاستعمار والرجعية في الحكم العربي . ولن يتخلف الاتحاد السوفياتي عن تقديم العون لاسرائيل وحركات التحرر العربية التقدمية لتنظيف الوسط العربي من الاستعمار ومن الرجعية العربية » .

من خطاب يعقوب مالك المندوب السوفياتي أمام مجلس الامن بتاريخ ٢ كانون الاول ١٩٤٨ خلال مناقشة طلب اسرائيل الانضمام الى الامم المتحدة.

محمود فوزي ، يدين السياسة السوفياتية ويكشف انحيازها لاسرائيل !

وللتذكير فقط ، ننشر هنا مقتطفات من خطب الدكتور **محمود فوزي** ، مندوب مصر آنذاك في الامم المتحدة ، ووزير الخارجية المصري في عهد الثورة ، ثم نائب الرئيس للشئون الخارجية فيما بعد .

« ان السؤال الآخر الذي برز هو حول تفسير عبارة

« جيوش اجنبية » . لقد فسر الممثل السوفياتي هذه العبارة بانها تعني تلك الجيوش التي لا يمكن ان تكـــون اجنبية علـــى الاطلاق ، أو على الاقل هي أبعد من غيرها عن هذه التسمية . **فبينما ذكر الممثل السوفياتي الجيوش العربية ، لـم يات على ذكر الجيوش التي اتت من سائر انحاء العالم ، بما فيها اوروبا الوسطى ، وبنوع خاص اوروبـــا الشرقية لتعزيـــز القوات اليهودية** . فاذا كانت هذه الجيوش بنظـــر الممثل السوفياتي غير اجنبية ، فان على اللجنة ان تراجع تفكيرها حـــول هـــذا الموضوع » .

« اما بالنسبة لموقفي وفدي بولندا والاتحاد السوفياتي، فلا بد من الاشارة الى ان تعريفهما لهذا الامر فـــي اقتراحيهما لا يخلو من مغزى . لقد طالبا باخراج جميـــع الجيوش العربية من فلسطين بينما غضا النظر عن غيرها من الجيوش ، بخاصة تلك التي اتت من اوروبا الشرقية » .

« ... ان السكان العرب في فلسطين قـــد طردوا مـــن بلادهم بقوة السلاح ، ذلك السلاح المعروف مصدره عند ممثل الاتحاد السوفياتي » .

من خطاب الدكتور محمود فوزي في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٨ امام اللجنة الاولى .

« لقد حاول الممثل السوفياتي ان يثبت لنـــا ان القوات العربية دخلت فلسطين لخلق الاضطرابات ولمنع ايـــة تسوية سلمية . ان هذا القول يخالف الواقع ، لان الصهيونيين هـــم الذين بداوا الاعتداء ، كما يظهر ذلك من تدفق الفرق العسكرية والمعدات الحربية المتواصل من أوروبا الشرقيـــة . ليس من الصعب أن ندرك لماذا طـــالب الاتحاد السوفيـــاتي وبولندا بانسحاب القوات العربية بينما نرى الجيوش المدربـــة تدريبا ايديولوجيا معينا تصل يوميا مـــن اوروبا الشرقية لمساعـــدة الصهيونيين » .

من خطاب الدكتور محمود فوزي في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٨ امام اللجنة الاولى ايضا .

ان لدينا اثباتات لا تدحض، بالرغم من انكار الصهيونيين ذلك ، **على ان عددا كبيرا مـــن جيوشهم وكمية كبيرة مـــن اسلحتهم مصدرها اوروبا الشرقية .** ان هـــذا الامر ثابت لا يمكن انكاره ، وان عددا كبيرا من ممثلي الحكومات الممثلة هنـــا مطلعة عليه تماما ، اطلاعنا نحن عليه .

من خطاب الدكتور محمود فوزي بتاريخ ٢٨ كانون الاول ١٩٤٨ امام مجلس الامن .

الموقف السوفياتي ..
من قيام إسرائيل حتى اليوم !!

بين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٦٧ ، ماذا كان موقف الاتحاد السوفياتي من اسرائيل ، وما مبلغ التبدل في سياسته نحوها ، وما حدود هذا التبدل ، وما أغراضه ؟

لقد رأينا فيما سبق كيف ان الاتحاد السوفياتي ألقى بثقله الدولي عام ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ لضمان قيام اسرائيل ، وكان أول من اقترح تقسيم فلسطين واعنف من عارض الموقف العربي في مطلب التحرير والاستقلال .

وبقيام اسرائيل وانتسابها الى الامم المتحدة ــ وهو أمر واقع مهما كان شعورنا نحوه مريرا وموقفنا منه الرفض ــ انتهت مرحلة جديدة من التقاء الهدف بين الشيوعية والصهيونية .

وكان لا بد من أن يسود الهدوء علاقات مختلف الاطراف باسرائيل حتى تتمكن من هضم ما ابتلعته وترتيب شؤونها الداخلية : الهجرة ، بناء الدولة بأجهزتها الحديثة والمعقدة ، دمج السكان الاشتات في وحدة وطنية تتيح لاسرائيل أن تقيم مجتمعا موحدا هو الشرط الاساسي لبقائها واستمرارها .. الخ .

حرية التصرف !!

وبهدوء موقت ومدروس انصرف الاتحاد السوفياتي الصديق الى تهيئة أجواء العمل المقبل في البلاد العربية . **وقد تميزت هذه المرحلة بانفصام شكلي بين الاشتراكية العربية والتوجيه الصهيوني** ، وتركت اسرائيل للاتحاد السوفياتي حرية التصرف في قيادة اليسار العربي ، ادراكا منها لحقيقتين :

الحقيقة الاولى ، هي تعذر استمرار العناصر اليهودية في توجيه هذا اليسار وفي تمويله !

والحقيقة الثانية ، هي ان كل جهد شيوعي واشتراكي في المنطقة العربية ـ وان لم ينتصر ـ سيفتت وحدتها الوطنية ويشل قدرتها على مواجهة اسرائيل ويمنحها فرصة زمنية كافية لترتيب أوضاعها . وربما وجدنا هذه الحقيقة أيضا في الالتقاء الخفي بين الصهيونية والشيوعية وهو التقاء يرمي الى تشييع المنطقة العربية بالفعل لان الشيوعية تمزق الروابط القومية والوطنية وبالتالي تضعف روح المواجهة وتلغي مبرر النزاع والصراع؟

في الحالين ، فان ما تكشف من حقائق فيما بعد قد اكد بوضوح ان لعبة الشيوعية في المنطقة هي الحصان الذي تراهن عليه اسرائيل لكسب سباق الزمن والديمومة ، به تحقق غرضها البعيد ، وبغيره يظل الخطر محيقا بها مطبقا عليها .

قد تحقق اسرائيل بمعونة الغرب ـ وتواطؤ الشرق ـ نصرا عسكريا خاطفا ، ولكن مثل هذا النصر يزيد في تأجيج الاحقاد ضدها ، وهو قد ينهي موقتا حالة النزاع ويؤكد معنى بقاء اسرائيل واستمرارها ، غير انه لا ينهيه أبدا ولا يستطيع أن ينتزعه من داخل النفس العربية .

ان الشيوعية وحدها ، بدعوة الاخاء والتعايش وتحويل اتجاه الصراع من صراع قومي الى صراع طبقي ، هي التي تستطيع أن تهدم جدار الرفض في داخل الانسان العربي ، فالشيوعية هي الامل الاسرائيلي الوحيد على المدى الطويل ، بها يتحول الرفض الى قناعة والعداء الى صداقة ، وبغيرها تظل حالة النزاع قائمة تستنفد جهدها وطاقتها وتحيل حياتها الى خوف دائم لا تهدأ به ولا تستقر .

وفاة ستالين .. وصفقة الأسلحة

مضت السنوات الست الاولى بغير أحداث بارزة في العلاقات الاسرائيلية السوفياتية . فاسرائيل منصرفة الى داخلها ، والاتحاد السوفياتي منصرف بنصيحة اسرائيل ـ وربما بتقديره المستقل أيضا ـ الى تهيئة أسباب القوة والدعم لليسار العربي .

ثم واتت الفرصة بوفاة ستالين ، وبصفقة الاسلحة .

فوفاة ستالين منحت الاتحاد السوفياتي حريـة أكبر في العمـل الخارجي ، وقد أخرجه القادة الجدد : مالنكوف ، بولغانيـن ، خروشوف ، ثم كوسيغين وبريجنيف ، من قوالبه الجامدة الى قوالب أخرى أكثر تحررا ومرونة ، وأصبح ممكنا بذلك دعم حركات اليسار العربي عمـوما ودون أن تكون مشدودة تماما الى مركزية موسكو أو تكون قشرتها الخارجية شيوعية الاسم . وهكذا كان !

وصفقة الاسلحة منحت الاتحاد السوفياتي مركزا ممتازا في الضمير الشعبي ، مرده الى قناعة الجماهير العربية بأن الغرب لن يسلحها بما يكفي للقضاء على اسرائيل وان كسر طـوق السلاح من حول العرب هو الخطوة الاولى في امتلاكهم أسباب القوة لتحرير فلسطين .

ومهما نكتشف اليوم ـ وتكتشف الجماهير ـ من وهم هذه القناعـة وضلالها فقد ظلت سائـدة طوال السنـوات العشر الماضية وأتيح للاتحاد السوفياتي فيها أن يمتلك من النفوذ ما لم تستطعه القيصرية قبل الشيوعية في مئات الاعوام من حلم الوصول الى المياه الدافئة .

وكما حققت الدعـوة اليساريـة وانتشارها حلمـا سوفياتيا ، كذلـك حققت هدفا اسرائيليا ، فقد مزقت الوحدات الوطنيـة ودمرت قيم المجتمـع العربي وكل أشكال علاقاته الوطنية والقومية ، دون أن تمنحه بديـلا أفضل أو أقـوى .

كانت صفقة الاسلحة الاولى ، ثم الصفقات التي تلتها ، بداية الانعطاف والتحول . ومن حيث ظن العرب انهم امتلكوا بها قوة جديدة كافية يتضـح الآن بتحليل الاشياء انهم وقعوا فريسة خداع كبير ووهم أكبر . والـى هذا الخداع والوهم تعود أسباب الهزيمة وعواملها ودوافعها جميعا .

فقد اتضح ان كل قطعـة سلاح وصلت الـى العرب من موسكو أو تشيكوسلوفاكيا ، عرفت بها اسرائيل بواسطة عناصرها اليهودية في داخـل البلدين الشيوعيين ، وهي عناصر قيادية وفي مراكز المسؤولية الاولى .

كذلك اتضح ان معظم السلاح السوفياتي ـ ان لم يكن كله ـ كان سلاحا

دفاعيا ، يصلح لمواجهة العدوان ولا يصلح لمعركة التحرير التي رفعنا شعارها واستهدفناها من تحويل اتجاهنا السياسي .

وبالاضافة الى دفاعية السلاح ، فقد ظل استخدامه رهنا بموافقة الاتحاد السوفياتي وتأييده .

وتأكيد ذلك في مثالين :

يوم أرسلت القاهرة قواتها الى اليمن لم ينصح الاتحاد السوفياتي الرئيس المصري بوقف ارسالها ، ولا بوقف استخدامها ، وظل يمده بالذخيرة والعتاد خمس سنوات حتى يوم الانسحاب ، وربما كان انسحاب القوات المصرية من اليمن تحت ضغط الاحداث بغير موافقة الاتحاد السوفياتي ولا رضاه .

ولكن يوم واجهت مصر احتمال الاصطدام مع اسرائيل سارع الاتحاد السوفياتي الى الرئيس عبد الناصر ينصح بعدم استخدام القوة ـ أي استخدام السلاح الروسي ـ وربما لو استخدمه الرئيس عبد الناصر خلافا لنصيحة موسكو لامتنعت هذه عن امداده بذخيرة السلاح وقطع التبديل ، وهي عناصر متممة للسلاح لا قيمة له بدونها .

على ان شراء السلاح وبوفرة حقق للاتحاد السوفياتي هدف الوصول الى مركز النفوذ في المنطقة . فهو قد رهن بالسلاح مستقبل العالم العربي لديه ـ أو على الاقل دول اليسار العربي ـ اقتصاديا وسياسيا وعسكريا . وظل ممسكا بسلطة التوجيه ومركزية الامر .

ومن الغريب ان الاتحاد السوفياتي قد حقق بصفقات السلاح فوق ما حقق من أهداف سياسية وعسكرية واقتصادية ، هدفا تجاريا محضا ، اذ هو قايض على ما ينتج بما يحتاج اليه . سلاح مقابل القطن ، وسلاح مقابل القمح ، وسلاح مقابل منتجات أخرى يحتاجها أو يحتاجها المعسكر الشيوعي ويعيد الاتحاد السوفياتي المقايضة عليها مع بلدان أخرى .

وعلى كل ما أوهمتنا به صفقات السلاح من تأييد الاتحاد السوفياتي لنا في مشكلة فلسطين وما اعطيناه في مقابلها من مركز نافذ خاص ، فقد ظل الاتحاد السوفياتي حريصا على أن يضع هذه الصفقات في اطارها التجاري وان يعلن انها لا تلزمه في المشكلة الفلسطينية بموقف معاد لاسرائيل .

موسكو: اسرائيل أيضاً تستطيع أن تشتري منا السلاح !!

ففي حديث أدلى به الملحق العسكري السوفياتي في باريس عام ١٩٦٤ بتاريخ ٢٢ كانون الثاني الى صحيفة « معاريف » الاسرائيلية ـ وكان ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل يزور فرنسا ليعقد فيها صفقة سلاح كبرى ـ قال الملحق الروسي :

« ان اسرائيل ايضا تستطيع أن تشتري منا السلاح . فالقضية عندنا هي المتاجرة به . ونحن نبيع الجمهورية العربية المتحدة وغيرها ممن يبحث عن السلاح ، وليس في تجارتنا به أي التزام بالنسبة للمشكلة الفلسطينية . اننا على أتم الصلات باسرائيل ولم يصدر عنا ولن يصدر مع مصر أو غيرها ما يسيء أو يضر بالكيان السياسي المستقل لاسرائيل . هذه هي القاعدة في سياستنا نحو الشرق الاوسط » .

ومضى الملحق العسكري السوفياتي يكشف أكثر أهداف صفقات السلاح قال :

« اننا نشارك العرب في مكافحة الاستعمار والرجعية العربية فحسب ولا نشاركهم ولن نشاركهم في العدوان على اسرائيل . ولقد كان موقفنا منذ البدء معارضا أشد المعارضة العدوان العربي الرجعي ولم يقتصر هذا الموقف على العمل الدبلوماسي في الامم المتحدة **بل نحن أعربنا عن تأييدنا اسرائيل بالسلاح أيضا والعتاد والرجال في أشد أوقات الازمة الفلسطينية يوم كانت حركة التحرير الوطني اليهودية في أمس الحاجة الى هذا العون » .**

« ان ما قدمناه ونقدمه للجمهورية العربية من سلاح هو لافراض دفاعية ولن نسمح باستخدامه ضد اسرائيل .

واذا احتاجت اسرائيل للسلاح فليس لدينا ما يمنع من أن نبيعها اياه . ولكن اسرائيل الآن ليست بحاجة اليه منا لانها تحصل على حاجتها وما يفوق حاجتها من مصادر صالحة لها. ولا نعارض هذا ، لان ما نبغيه هو سلامة اسرائيل. **لا تنزعجوا من السياسة السوفياتية في المنطقة العربية ، فهذه السياسة متممة بل هي ضرورة لسلامة اسرائيل »** .

وتحدث الملحق العسكري السوفياتي في تصريحه ذاك الى الجريدة الاسرائيلية عن أهمية اسرائيل للاتحاد السوفياتي والحكم الاشتراكي السليم الذي تبنيه ، قال :

« لتطمئن اسرائيل . فالاتحاد السوفياتي يدرك ان اسرائيل قوية وعزيزة هو أمر ضروري لسياستنا في المنطقة العربية ومصالحنا متجانسة مع مصالحكم . **اننا نرعى الاشتراكية العربية تعزيزا لمصلحة اسرائيل أيضا !!»)** .

تلك هي حقيقة السياسة السوفياتية أعلنتها على لسان ملحقها العسكري في باريس ، ولم توارب بها ولم تخف أغراضها .

طبعا يمكن أن يلاحظ المراقب المتتبع للاحداث ، بين الحين والحين ، فتورا في العلاقات السوفياتية الاسرائيلية ، مرده الى ان اسرائيل تبدو أكثر انحيازا الى الغرب . ربما لان القيادة الصهيونية تدرك أكثر مما يدرك العرب ان رهانها مع السوفيات خاسر . ثم ان القوى اليهودية داخل الاتحاد السوفياتي المسيطرة على الفكر والتوجيه الشيوعي تستطيع دائما أن تزيل كل جفاء وأن تسخر السياسة الشيوعية لخدمة بقاء اسرائيل وحمايتها مهما بدا من انحياز اسرائيل الى الغرب .

وتقدم لنا المصادر السوفياتية الرسمية نفسها ما يؤكد هذا .

فيهود الاتحاد السوفياتي ، فيما تروي هذه المصادر ، يؤلفون ١ ٪ من مجموع السكان ، ولكنهم يمثلون نسبا عالية من مدرسي المعاهد العليا في الاتحاد السوفياتي ومن مسؤولي التوجيه العقائدي في الحزب والسياسة الخارجية ، وهم يسيطرون سيرة تامة على جميع دوائر الصداقة والتنسيق

بين الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، وبين الاتحـاد السوفياتي ودول منطقة الشرق الاوسط : أي الدول الغربية .

ولست اذكر ان وفدا عربيا زار الاتحاد السوفياتي واي بلد اشتراكي آخر ، بدعوة من اية لجنة من لجان العمـــل الشيوعي المستتر والمكشوف : انصار السلم ، الشبيبة الديموقراطية ، المحامين الديموقراطيين ، النساء ، الطلبة .. الخ ، الا وكان جميع مرافقي هذه الوفود مـن الشيوعيين اليهود ، كما كان معظم رؤساء هذه اللجان في الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى يهودا .

ومن هذه العناصر اسمـــاء بارزة شاركت وتشارك في الاشراف على تسلح الجيوش العربية الاشتراكية : « يعقوب كريزر » وهو ضابط يهودي سوفياتي كبير اشترك في جميع المفاوضات العسكرية مع البعثات العربيـة وزار القاهرة .

ذلك كله غيض من فيض .

فحقيقة العلاقات الاسرائيلية ـ السوفياتية ، يطويها كتمان مقصـــود هدفه اتاحة الفرصة للاتحاد السوفياتي ليكون أكثر نفوذا في العالم العربي واقدر على توجيه الامور وضبط عناصر اليسار . ولن يستطيـع المراقب أن يتابع من هذه العلاقات الا ما يتسرب منها ، بين آن وآن ، وتنشره الصحف الاسرائيلية أو السوفياتية وكلاهما غير مقروء في العالم العربي ويستطيع أن يطمئن اليه الجانبان !!

فاذا تركنا جانبا ما يتسرب من هـــذه العلاقات وما تنشره صحف اسرائيل او الشيوعية عنها للتدليل على استمرارها والتقائها ، فقـد نجد في جوهر الموقف السوفياتي من عدوان اسرائيل عام ١٩٥٦ علـى مصر ، ثم مـن عدوانها عام ١٩٦٧ على مصر والاردن وسورية ، ما يؤكـد حقيقة التقـاء السياستين السوفياتية والصهيونية ، علـى نقـاط مشتركة ، وضد الحـق العربي ، مهما بدا من مظاهر الخلاف الاخرى ومـن اشكال الصخب الشيوعي وضجيجه في تأييدنا .

موقف الاتحاد السوفياتي من عدوان ١٩٥٦ !

لنعد الآن الى حقائق الاشياء .

في شهر تشرين الاول من عام ١٩٥٦ أقـدمت اسرائيل على اختـراق الجبهة المصرية في غزة وسينـاء ، واحتلت قواتها مواقع جـديدة انتهت بالضغط السياسي الامريكي الى انسحابها عنها في مقابل السماح لها بالمرور عبر خليج العقبة ، واستخدم البوليس الدولي ستارا لهذه التسوية الجزئية والموقتة بين مصر واسرائيل .

ليس المهم الآن تأريخ أحداث السويس فكلها معروف ومنشور . ولكن ما يهمنا هنا هو موقف الاتحاد السوفياتي من العدوان .

في ضجيج الخداع والتزوير استطاعت الـدعاية الشيوعية أن توهم الراي العام العربي بأن موقف الاتحاد السوفياتي كان حاسما في صد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ . غير ان ما انكشف من حقائق تلك المرحلة يرد الدعوى الشيوعية ويرفضها ويؤكد خلافا لها ان العامل الحاسم الوحيد كان موقف أمريكا وليس الموقف الشيوعي .

فقد سكت الاتحاد السوفياتي خمسة أيام العدوان الاولى ، وكـان موقفه في الامم المتحدة أكثر مرونة وليونة من الموقف الامريكي . وفي اليوم السادس من العدوان فقط وجه بولفانين رسالته التهديدية ، بعد أن كـان قد ضمن صدق الموقف الامريكي وصرامته .

ويروي ايدن في مذكراته القصة كاملة ، فيقول :

« وتلقيت في مساء الثلاثين من تشرين الاول برقية أخرى من الرئيس ايزنهاور ، وكان قد وقف على الشروط التي تضمنتها مذكرتانا الى مصر واسرائيل ، فأوضح بأنه يشعر بقلق بالغ من توقع العمل القوي الفظ وأعرب عن اعتقاده بأن الوسائل السلمية يجب أن تسود » .

« وتلقينا تقارير أخرى من واشنطن ونيويورك عن رد فعل الحكومة الامريكية وكانت تقارير غير مرضية » .

« ولم تجد حججنا جميعا آذانا صاغية . فقد أصرت الولايات المتحدة الامريكية على تولي زمام المبادرة وقدم ممثلها في مجلس الامن مشروع قرار يقضي بوقف اطلاق النار فورا ، وانسحاب القوات الاسرائيلية الى ما وراء خطوط الهدنة الاصلية . وطالب مشروع القرار الامريكي أيضا جميع الدول الاعضاء في الامم المتحدة ، بالامتناع عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها في المنطقة ، وتجنب تقديم أي عون لاسرائيل ما لم تمتثل لهذا القرار وتنفذه » .

« وكان هدف أمريكا من هذه الحركة أخذ زمام المبادرة في يدها من الحكومتين البريطانية والفرنسية ، وجعل مذكرتنا المشتركة الى مصر واسرائيل أمرا لا داعي له . وألح المستر « كابوت لودج » مندوب أمريكا على أخذ الاصوات بسرعة على مشروع قراره مضمنا فقراته ، عمدا ، عبارات ضد الاجراء الفرنسي البريطاني . وكانت النتيجة أن استخدمت بريطانيا الفيتو لاول مرة في تاريخ عضويتها في الامم المتحدة » .

« حينذاك تقدم الروس بمشروع قرار هو مشروع القرار الامريكي ذاته بعد أن حذفوا منه الفقرات المهينة الموجهة الى فرنسا وانكلترا » .

« وجاءتنا في الليل ـ ليل ٥ تشرين الثاني ١٩٥٦ ـ

رسالة بولغانين التي اذاعها قبل وصولها الي ، وقد سببت لهجتها عناوين مفزعة في بعض الصحف البريطانية ، اذ أعلن رئيس الوزارة السوفياتية ان الحرب في مصر يمكن أن تتطور الى حرب عالمية ثالثة ، وهدد بأن روسيا قد تلجأ الى القوة ، ثم قال متسائلا : في أي وضع ستجد بريطانيا نفسها اذا هاجمتها دولة أقوى منها تملك جميع الاسلحة المدمرة الحديثة ؟ اننا نأمل انك ستظهر الحنكة اللازمة وتستخلص من قولنا هذا النتائج المناسبة » .

ويتابع ايدن استعراض الاحداث قائلا :

« ولكننا استخلصنا نتائج مغايرة تماما . فقد حافظ الروس في الايام الاربعة الاولى سواء في الامم المتحدة أم في اذاعاتهم على الهدوء وضبط النفس ، وكان تدخلهم في مجلس الامن أكثر اعتدالا من تدخل الولايات المتحدة ، فلم يدينوا الاجراء الفرنسي الانكليزي كما أدانه المستر كابوت لودج الامريكي في مشروع قراره ، ولم تنشط دعايتهم الا بعد أيام وعندما اتضح ان الولايات المتحدة تتولى الزعامة في الحركة المضادة لنا في الامم المتحدة » .

ويرد ايدن سبب التحفظ الروسي الى عوامل أهمها خوفهم من أن يكونوا ضحية شرك منصوب لهم . يقول :

« وتعود هذه الفترة من التحفظ الروسي الى عدة عوامل ، فقد كان الروس حريصين على أن لا يجازفوا بانفسهم في وضع مكشوف قد يضطرون الى التراجع عنه كما وقع في حصار برلين . ولا شك في انهم تذكروا التحذير الذي وجهته لخروشوف وبولغانين عندما زارا لندن من اننا سندافع عن مصالحنا في الشرق الاوسط بالقوة اذا أحوجنا الامر . ومن المحتمل أن يكونوا قد شكوا في بادىء الامر في ان سخط أمريكا الرسمي على حلفائها يمكن أن يبلغ الحد

الذيظهر منه ، فقد كانموقف أمريكا منوجهة نظر السوفيات أكثر مما توقعوا ، اذ لم يبلغ بهم الامر تصور أمريكا تتنكر لمصالح حلفائها ، وخافوا أن يكون ثمة شرك منصوب في مكان ما ، ومن ثم آثروا أن تكون الحكمة والحذر رائدي خطواتهم ، فلما اطمأنوا تماما من هذه الناحية وبعد أنشجعهم فشل مجلس الامن عدة أيام متعاقبة في مناقشة موضوع المجر فكروا ان بامكانهم اتخاذ اجراء جديد فقفزوا بسرعة الى المقدمة » .

تلك هي رواية ايدن للاحداث (١) ومنها يتضح **ان الموقف الامريكي من العدوان على مصر هو وحده الذي أوقف العدوان ، وهو وحده الذي عطل الاهداف الفرنسية الانكليزية الاسرائيلية المشتركة .**

وما زلنا نذكر ان الرئيس عبد الناصر وقف أكثر من مرة في مرحلة خلافه مع الشيوعيين المحليين والاتحاد السوفياتي (٢) معرضا بموقفه عام ١٩٥٦ من العدوان مؤكدا ان مصر حاربت وحدها وان موقف الاتحاد السوفياتي بجانبها لم يتعد حدود الكلمات .

واذا تجاوزنا جدية الاتحاد السوفياتي وتهديده وحاولنا أن نستخلص من موقفه من العدوان موقفه من اسرائيل ذاتها فماذا نجد ؟

لقد طالب الاتحاد السوفياتي اسرائيل بايقاف عدوانها ، ثم بالانسحاب وهدد وتوعد ــ صادقا أم غير صادق ــ فهل كان موقفه ذاك معاديا لاسرائيل ذاتها كيانا ووجودا ؟

ان المطالبة بوقف العدوان لا تعني التخلي عن تأييد اسرائيل والحرص على بقائها . وفي افضل الاحوال فان الموقف السوفياتي عام ١٩٥٦ لا يزيد

---

(١) مذكرات ايدن ، الجزء الثاني ص ٣٨١ ــ ٤١٦ .

(٢) كانون الاول ١٩٥٨ . كانون الثاني ١٩٥٩ .

على موقف اية دولة غربية ـ باستثناء فرنسا وانكلترا ـ من الدول التي استنكرت العدوان وادانته وأيدت انسحاب القوات الاجنبية . وهو بالطبع لا يمكن في أي حال أن يبلغ الموقف الامريكي الذي كان له ، بنسبة أعلى وأكبر من أي بلد آخر ، فضل ايقاف العدوان ثم سحب المعتدين . ومع ذلك فان الموقف الامريكي ذاك على نبله وقوته ، لم يكن يعني التنكر لاسرائيل الكيان ولا اعتراضا على مبدأ وجودها .

بمعنى آخر : **ان الموقف السوفياتي من عدوان عام ١٩٥٦ لم يتجاوز حدود استنكار سياسة حكام اسرائيل ، مع استمرار تاييدها وحمايتها والاعتراف بها !**

في مقابل ماذا ـ اذن ـ يريد الاتحاد السوفياتي منا ان نشيع ونرهن عنده وله مستقبلنا واقتصادنا وحريتنا وامننا الوطني ؟

امن اجل انه استنكر عدوانا اسرائيليا استنكره العالم كله قبله ومعه وبعده ومثله واكثر منه يريد منا ان ندفع له الثمن : استقلالنا وسيادتنا ؟

عدوان ١٩٦٧
والنصيحة الغالية !!

وننتقل من عدوان عام ١٩٥٦ الى عدوان عام ١٩٦٧ . ففي صباح الخامس من شهر حزيران عام ١٩٦٧ فوجىء الراي العام العربي والدولي باسرائيل تجتاح حدود ثلاث دول عربية هي مصر وسورية والاردن فتضرب بسرعة وتحقق في ساعات ثم في أيام نصرا خاطفا تستقر بعده في سيناء وغزة وعلى ضفة القناة ، وفي الضفة الغربية من الاردن والقدس ، وفي المرتفعات السورية حتى القنيطرة بالقرب من دمشق !

وقد سبق عدوان اسرائيل جو كانت الحرب فيه متوقعة . ففي ١٦

أيار من عام ١٩٦٧ طلب الرئيس عبد الناصر سحب قوات الطوارىء الدولية من خطوط الهدنة ، وارسل قواته لتحل مكانها ، واوقف الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة بعد أن كانت مباحة لها كجزء من تسوية عام ١٩٥٦ بين قيادة مصر والمستر همرشولد .

وتكهرب جو المنطقة ، ثم سارت الاحداث سريعا في اتجاه الحرب ، ونصح الملك فيصل في بروكسل وجنيف ـ وكان يقوم بزيارة رسمية للاولى وشخصية للثانية ـ بأن تضرب مصر فورا فلا تنتظر لان الانتظار لن يكون في مصلحتها ، وأبلغ السفير المصري في البلدين ان جميع تقارير مبعوثيه تشير الى ان الحرب محتومة وان على مصر ان تكون البادئة لئلا تخسر ويخسر العرب بانتظارها .

فلما جاءت الحرب ولم تبدأها مصر بل اخذت فيها بغير استعداد لها بالرغم من توقعها ، تساءل الكثيرون عما أوقف مصر وشل قواها وكانت تملك قوة وقوات كثيرة وعتادا وفيرا ؟

وجاء الجواب على لسان الرئيس عبد الناصر وهو يشرح أسباب الكارثة المفزعة فاذا به يلمح بغير تصريح ـ ربما لما أوقعت مصر به نفسها من عداء الغرب كله فلم يبق لها الا الاتحاد السوفياتي مهما قست شروطه وأشارت اليه اصبع الاتهام بالتواطؤ ـ **ويروي كيف زاره سفير الاتحاد السوفياتي في مصر بعد منتصف ليل الرابع من شهر حزيران ١٩٦٧ اي صباح يوم العدوان ـ وقبل ان يبدأ العدوان ـ فطلب منه ان لا تكون مصر البادئة بالحرب واكد له ان اسرائيل لن تبدأ »** .

غير ان الاحداث ما لبثت ان تتالت سريعة خاطفة ، وحققت اسرائيل بالنصيحة السوفياتية ما كانت ترجوه من اخذ الجبهات المحيطة بها على حين غرة وبغير استعداد ولا توقع .

وروى الرئيس عبد الناصر ما هو أبعد وأخطر دلالة . فهو لم يسحب قوات الطوارىء الدولية من خطوط الهدنة الا بعد أن أبلغه السوريون واكد

له السوفيات احتشاد القوات الاسرائيلية على خطوط الهدنة مع سورية تمهيدا لعدوان عليها . فأقدم الرئيس المصري على سحب قواته تنفيذا لالتزام ميثاق الدفاع المشترك الذي لم يجف حبره بعد بينه وبين السوريين. وكان العدوان الاسرائيلي المتكرر على سورية قد احرج زعامة القاهرة في مواجهة النقد المتصاعد لتقاعسها عن نصرتها .

ثم يتضح بعد ذلك ان ما قيل عن الحشد الاسرائيلي على الحدود السورية قبل سحب قوات الطوارىء الدولية لم يكن صحيحا ، وان المنطقة العربية وقعت فريسة كذبة مؤامرة ، ادت بها الى كارثة ٥ حزيران !

ومن سياق الاحداث تتكشف لنا النقاط التالية وينطرح عدد من الاسئلة وكلها خطير :

فالاتحاد السوفياتي هو الذي ابلغ القاهرة انباء الحشد الاسرائيلي ولم يكن ثمة حشد فعلي ــ اي ان الاتحاد السوفياتي هو الذي دفع القاهرة الى موقف المواجهة مع اسرائيل .

ثم كان الاتحاد السوفياتي هو الذي نصح القاهرة بان لا تبدأ بالعدوان وكان ذلك قبل عدوان اسرائيل ببضع ساعات ، معطيا الفرصة بذلك لاسرائيل لتكون صاحبة الضربة الاولى !

فماذا أراد الاتحاد السوفياتي ؟

مبدئيا يتبادر الى الذهن تساؤل منطقي : **هل في مصلحة الاتحاد السوفياتي ان تنهزم الانظمة الموالية له ؟ ام انه هو الآخر وقع فريسة الخداع الاسرائيلي ؟**

والجواب : نعم ولا . نعم بقدر ولا بقدر آخر . فمن مصلحة السوفيات ان تنهزم الانظمة الموالية وليس من مصلحته ان تسقط . من مصلحته ان تنهزم فيتقدم لتأييدها سياسيا فتزداد التصاقا به وارتماء عليه وحاجة له ، ويزداد بالتالي نفوذه عليها وتسخيره لها وسلطانه فيها . وليس من مصلحته

ان تسقط لان في سقوطها خروجه من المنطقة .

ولو نحن تابعنا الموقف السوفياتي بعد حرب الخامس من شهر حزيران والمشروعات المتعددة التي قدمها أمام الامم المتحدة ومحادثاته جميعا **لراعنا منها انه، وهو يتظاهر بتأييد العرب في موقفهم من اسرائيل، يتبنى كل أهداف اسرائيل من العدوان ويقول معها ومع الغرب بتسوية سلمية للنزاع اي الصلح فالتعايش السلمي** ، اي بقاء اسرائيل الدولة والكيان .

اذن لماذا كل هذا الضجيج وذلك التهريج ما دام الموقف السوفياتي في جوهره لا يخرج على موقف الغرب ولا موقف اسرائيل ؟

فاذا أشار البعض الى مساعدات الاتحاد السوفياتي قلنا ولكن المساعدات الامريكية للعالم العربي تظل اكبر حجما وربما أعظم فائدة . فديون مصر لامريكا مثلا تزيد على ديونها للاتحاد السوفياتي . واذا كانت روسيا قد أعطت مصر السلاح في مقابل القطن فقد اعطت أمريكا لمصر لقمة الخبز .

طبعا نحن لا نعمى عن رؤية وجه الخطأ في موقف السياسة الامريكية من القضية العربية ولا انحيازها الى جانب اسرائيل . ولئن كانت السياسة العربية الثورية تحمل بعض المسؤولية فيما انتهت اليه العلاقات العربية الامريكية بسبب شططها وتطرفها واستفزازها وسوء تقديرها للامور والمواقف ، فان السياسة الامريكية نفسها تحمل جانبا آخر من المسؤولية لان بعض أخطائها في المنطقة قد جرها الى ما انتهت اليه جرا وساقها عنوة !

وانما نحن نقصد المقارنة لاننا لا نفهم وجها وسببا للتقرب من الاتحاد السوفياتي على حساب الغرب ، ما دام الموقف السوفياتي لا يخرج جوهرا من الموقف الغربي ولا يزيد عليه أو ينقص عنه .

لماذا نعادي هنا ونصادق هناك في الموقف الواحد والنظرة الواحدة ؟

وهل في مصلحة القضية الفلسطينية هذا الانحياز الاعمى الذي يجر علينا وضدنا قوى لا يستطيع الاتحاد السوفياتي نفسه ان يواجهها ويتجنب لالف سبب وسبب مناطحتها ؟

هذا وروسيا تطالبنا ايضا كالغرب بان نعترف باسرائيل ، ونصالحها ، ونقيم معها علاقات ود وتعايش ، ولا تقر سياستنـــــا منها ولا موقفنا معها ، وتنصحنا بان لا نكون البادئين بالقتال ضدها لتمنحها فرصة ان تكــون هي البادئة ضدنا !!

ويريدون منا ان نصفق للاتحاد السوفياتي وأن نستسلم للشيوعيـــة والاشتراكية ونسلس لهما القياد . لماذا ؟ وفي سبيل أيــة قضية ؟ ولمصلحة مــن ؟

خلفية العلاقات والعداء المصطنع !

فاذا تركنا ظواهر المواقف السياسية ، وهي مواقف كلامية في كل حال لا تضر ولا تنفع أو هي لا ترد باطلا ولا تمنع عدوانا ، لنذهب الى ما وراء المرئي من العلاقات الروسية الاسرائيلية فماذا نجد ؟

في تموز ١٩٦٥ ذكرت الصحف الاسرائيلية ان الاتحاد السوفياتي **اعار اسرائيل عالما ذريا يهوديا هو الدكتور « لاندو »** للتدريس في معهد وايزمن والمشاركة في أبحاث اسرائيل الذرية وانتاجها .

وقبل ذلك بعام ـ ١٩٦٤ ـ عقد الاتحاد السوفياتي صفقة دينية مع اسرائيل باعها فيها ممتلكات الكنيسة الارثوذكسية في القدس والناصرة وحيفا ، وألقى السفير السوفياتي في تل أبيب خطابا بالمناسبة أكد فيه ان هذه الاتفاقية **تشكل اعترافا راسخا بكيان اسرائيل المستقل وبحقها في أن ترث الممتلكات والنفوذ التقليدي لاي طرف أجنبي سبق ان كان له في الماضي بعض الامتيازات ..**

وحتى حين اعتدت اسرائيل عام ١٩٦٧ في الخامس من حزيران على ثلاث بلدان عربية واحتلت بالقوة أجزاء من أراضيها ، ووقف الاتحاد السوفياتي ، لاعتبارات تتصل بسياسة تشييع المنطقة ، الى جانب العرب لم يتجاوز التأييد حدود استنكار العدوان والمطالبة بالانسحاب ، دون أن يمس جوهر الموقف الشيوعي من الكيان الاسرائيلي .

وقد حدد هذا الموقف بوضوح السيد اليكسي كوسيفين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي في خطابه أمام الجمعية العامة للامم المتحدة بتاريخ ١٩ حزيران ١٩٦٧ ، قال :

« وان الاتحاد السوفياتي طيلة الاعوام الخمسين من تاريخه يكن الاحترام لجميع الشعوب صغيرها وكبيرها . ولكل شعب الحق في تأسيس دولته الوطنية المستقلة وهذا من المبادىء الاساسية لسياسة الاتحاد السوفياتي . ولقد حددنا في هذا المبدأ بالذات موقفنا من اسرائيل كدولة وصوتنا في عام ١٩٤٧ الى جانب قرار هيئة الامم المتحدة بقيام دولتين مستقلتين يهودية وعربية في أراضي فلسطين التي كانت مستعمرة بريطانية . وأقام الاتحاد السوفياتي بعد ذلك علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل اهتداء منه بذلك الموقف المبدئي » .

ولم تخرج سياسة الاتحاد السوفياتي بعد عام ١٩٤٨ – أي بعد قيام اسرائيل – عن خط تأييد **الكيان الاسرائيلي** ، وان كانت قد تقلبت بين تأييد ومعارضة سياسة اسرائيل الخارجية ، ووقفت لاهداف توسعية ذاتية ضد سياسة التوسع الاسرائيلي ! بمعنى أن الاتحاد السوفياتي قد تطلع من خلال معارضة التوسع الاسرائيلي الى كسب الرأي العام العربي بجانبه بحيث يحقق أهدافه القيصرية في الوصول الى المياه الدافئة ، واحتلال موقع أمامي في المنطقة عبر حكومات موالية تقيمها القوة العسكرية باسم الاشتراكية مرة وباسم فلسطين مرات !!

ولقد ادركت صحيفة «كول هاعام» الاسرائيلية ان جوهر هذه السياسة هو في مصلحة اسرائيل ، باكثر مما ادرك بعض العرب ، فكتبت بتاريخ ١٨ آب ١٩٦٥ تقول ان في اسرائيل والاتحاد السوفياتي مكاتب وهيئات ومنظمات شبه رسمية ورسمية متفرغة مهمتها تعزيز الصلات السوفياتية – الاسرائيلية في جهد متصل ومنظم . وتابعت الجريدة تقول : **« ان اسرائيل حكومة وشعبا تعلم أتم العلم أن ازدياد نفوذ السوفيات في العالم العربي**

واعتماد العرب عسكريا على الاتحاد السوفياتي سياسيا واقتصاديا هـو في المرحلة النهائية ، وفي المرحلة الراهنة ايضا ، لمصلحة اسرائيل ويعـزز أمنها وسلامتها تعزيزا اكيدا . !! »

وهنالك نماذج لا تحصى لاتفاقات تجارية وصفقات ومشروعاتمشتركة ومساعدات تشكل بمجموعها الخلفيـة الحقيقيـة للعلاقـات السوفياتية ـ الاسرائيلية ، وراء كل مظاهر الخلاف وضجيج الاتهام .

ولم ينكر الاتحاد السوفياتي موقفه هذا كلما اثير معـه او احرج فيه . بل الانصاف يقتضي أن نشير الى انه كان دائما وفي جميع المحادثات الرسمية وشبه الرسمية والشعبية يدافع عن مبدأ وجود اسرائيل ويقـر بدوره فـي قيامها ويدعو العرب الى الاعتراف بها . فهو لم يتنصل يوما من هذه الحقيقة ولا تنكر لها . غير ان الدعايـة الشيوعية كانت قادرة دائما علـى التغطية وايهام الراي العام العربي بنقيضه . ولـم تحقق الشيوعية تقدمها الملحوظ في السنوات الاخيرة الا على جثة فلسطين وبوهم أن الاتحاد السوفياتي ضد اسرائيل ، وهو ضد سياستها في واقع الامر لا ضـد وجودها . والخلاف كبير بين الموقفين !

وحتى تتم الصورة وضوحا نشير هنا الى موقف الاتحاد السوفياتي من منظمة التحرير الفلسطينية ، ومن جميع المنظمات الاخرى ، بما فيها منظمات الفـداء .

فهو لم يعترف ، واصر الى النهاية علـى موقفـه ، بمنظمـة التحرير الفلسطينية ورفض ان تفتح المنظمة مكتبا لها في موسكو . كما هـو رفض ويرفض تدريب الفلسطينيين عسكريـا مهمـا كانت هوياتهـم السياسية وانتماءاتهم التنظيمية . وفي مطلع عام ١٩٦٦ بلـغ **رفض فلسطين** بالاتحـاد السوفياتي درجة اعتذر فيها المسؤول فـي وزارة الخارجية الروسية عـن شؤون الشرق الاوسط عن استقبال مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية كانت قد وجهت اليه الدعوة لزيارتها من لجنة التضامن الآسيوي ـ الافريقي، السوفييتية . وكان الاعتذار استجابـة لاحتجاج السفير الاسرائيلي فـي موسكو على دعوة ممثل المنظمة .

كيف يوفق الاتحاد السوفياتي بين هـذه المواقف المبدئية ذات الدلالة ، وبين المواقف الدعائية التي يهيج بها الرأي العـام العربي وتتفـل لاغراض التوسع الشيوعي دون ان تعكس أي أثر على جوهر القضية الفلسطينية ؟

يقول دافيـد هاكوهين رئيس لجنـة العلاقات الخارجية ولجنة الدفاع عـن الكنيست وقطب حـزب الماباي : ان حاجة اسرائيل للاتحـاد السوفياتي كحاجة الاتحاد السوفياتي لاسرائيل . هـذه القاعدة راسخة وقديمة في العلاقات بيـن البلدين . ولـن ننسي ان موسكو كانت اول مـن اعترف باسرائيل وحين يجـيء الوقت المناسب فسيلعب الاتحاد السوفياتي اكبر دور في تصفية المسألة الفلسطينية التي تتاجر بها الرجعية العربية (١) . ونحن وموسكو على يقين بانـه لـن يكون بيننا أي خلاف او اصطدام علـى المشاريـع المرسومة والمفهومة مسبقا لاقـرار التعايش السلمـي وتصفية المشاكل في الشرق الاوسط » .

ترى هل كان عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ هو **الوقت المناسب ؟**
وهل كان العدوان بالتحريض الروسي أولا ثم بالنصيحة الغالية ثانيا ، بداية **لاقرار المشاريع المرسومة والمفهومة مسبقا ؟**

لنحاول أن نظل مفتوحي الأعين .

---

١ ـ مسكينة هذه الرجعية العربية التي تتهم بكـل شيء . بالموقف ونقيضه . بعـداء اسرائيل ومحالفة اسرائيل . بالتواطؤ ضدها ومعها . انهـا كبش الفداء للجهل والسخف ، وربما للتواطؤ والتحالف الحقيقيين !

مِن تاريخ الأحزاب الشيوعية العربيّة
وَعن مؤسّسيهَا اليهُود وَموقفهَا مِن قضيّة فلسطين !!

في تاريخ الاحزاب الشيوعية العربية عموما ، يظل منشا كل حزب منها أكثر جوانب هذا التاريخ غموضا . فلا أحد ، حتى أعضاء هذه الاحزاب ــ ما عدا القلة التي تحتفظ بالسر ــ يعرف كيف نشأت : أيــن ، ومتى ، ومن هــي العناصر الاصلية في انشائها .

فالحزب الشيوعي في سورية ولبنان ــ مثلا ــ لا يكــاد يعرف المتتبع لتاريخه ــ فضلا عن المواطن العادي ــ منشأه والعناصر التي حملت أفكــاره الاولى . ويجهد الحزب نفسه في الايحاء بأن تاريخه يعود الــى عام ١٩٣٠ ، ربما لتغطية ما قبل هذا التاريخ وابقائه سرا فــي ضمير الذين عاصروا نشأته الاولى وعرفوا أسرارها وخفاياها .

على أن واقع الحال هو أن الحزب الشيوعي تأسس أولا في لبنان عــام ١٩٢٤ وساهم في تأسيسه كــل مــن يوسف يزبــك وفؤاد شمالــي وبعض العناصر اليهودية الوافدة من فلسطين ، وهي التي أوكلت اليهــا مهمــة نشر الفكرة الشيوعية والاشراف على تنظيم خلاياها في المنطقة العربية ، وذلك أن أول حزب شيوعي انشيء فيها كــان الحــزب الشيوعي الفلسطيني . تأسس عام ١٩١٩ ، وجميع عناصره من اليهود الروس الذيــن حملوا بذور الفكــرة الاولى ــ كما حملوا بذور الصهيونية ــ في هجرة عام ١٨٨٢ ومــا بعدها التي أعقبت اغتيال قيصر روسيا وردود الفعل العنيفة ضد اليهود بسبب ذلك .

تيبر اليهودي سكرتير عام الحزب !!

وفي عام ١٩٢٥ أعيد تنظيم الحزب الشيوعي في لبنان وانضم اليه حزب سبارتاكوس الارمني برئاسة أرتين مادويان وتألفت لجنته المركزية المؤقتة من خمسة أعضاء على الشكل التالي : **جاكوب تيبر سكرتيرا عاما ، وهو يهودي فلسطيني من أصل روسي (١)** • وارتين مادويان اميناً للصندوق ، وهيكازون بويادجيان ويوسف يزبك وفؤاد شمالي اعضاء .

وفي نهاية عام ١٩٢٥ ـ كانون الاول ـ انعقد المؤتمر الوطني الاول للحزب الشيوعي وانتخب لجنته المركزية من سبعة أعضاء، **وظل تيبر اليهودي الروسي محتفظا بأمانة الحزب العامة** .

ثم اعتقلت اللجنة المركزية للحزب في عام ١٩٢٦ وأحيلت على المحكمة العسكرية **وأبعد جاكوب تيبر الى فلسطين** ، فانتهت بذلك المرحلة الاولى من تأسيس الحزب الشيوعي في سورية ولبنان .

وفي عام ١٩٢٨ أطلق سراح المعتقلين من أعضاء اللجنة فانتقل نشاطها الى دمشق ، وانضم للحزب كل من أحمد ظاظه ، ورشاد عيسى ، وفوزي الزعيم ، **وخالد قوطرش الذي شهر فيما بعد باسم : خالد بكداش** .

وظل الصراع محتدما في الحزب حول القيادة منذ ذلك الحين حتى عام ١٩٣٢ ، **حيث تمكن خالد بكداش من أن يبلغ مركز زعامة الحزب المطلقة بترشيح جاكوب تيبر اليهودي المبعد الى فلسطين وتزكيته** . واحتفظ مادويان بمركزه القيادي في الحزب ، وتقدم مع بكداش وجوه ثلاثة جديدة هي : نقولا شاوي وفرج الله الحلو ، ورفيق رضا الذي قدر له أن يلعب بعد ثلاثين عاما دورا كبيرا في فضح أسرار الحزب واتصالاته .

---

١ ـ يعرف تيبر عادة باسم « شامي » . وقد درج معظم الاعضاء القياديين في الحركات الشيوعية على استعارة اسماء اخرى ، وربما كان هذا التقليد يهوديا .

ففي عام ١٩٥٩ ، خرج رفيق رضا على الحزب وكان عضوا في قيادته المركزية ، ليروي بعض تاريخه ويسلط الضوء قليلا على الجوانب المعتمة منه.

كتب رفيق رضا في ذلك الحين يقول في رسالة مفتوحة وجهها الى القيادة المركزية التي كان منها :

المال اليهودي للحزب !!

« **في عام ١٩٣٢ وفد الى بيروت عدة مندوبين شيوعيين يهود حملوا مبالغ وافرة من المال الى قيادة الحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، وأذكر منهم : أميل وأوسكا ، ومولر . وقد أبدلت لهم شخصيا قسما من الاموال التي حملوها بالعملة المحلية آنذاك** . في عام ١٩٣٨ حملت الى الحزب مبلغ خمسة وعشرين الف فرنك كان الحزب الشيوعي الفرنسي قد قرر آنذاك وضعها تحت تصرف الحزب الشيوعي السوري اللبناني لتوسيع حملته من أجل اقرار المعاهدة الفرنسية السورية البغيضة ومحاربة الاتجاه الوطني في ذلك التاريخ . هذا مع العلم أن خالد بكداش قد نقل بنفسه مبلغا آخر حين كان ، في باريس واشترك في مؤتمر « آرل » الشيوعي الفرنسي (١) » .

ثم عاد رفيق رضا في بيان آخر له الى القاء أضواء أخرى على موضوع مشاركة العناصر اليهودية في توجيه الحزب الشيوعي في سورية ولبنان، قال:

« **وفي عام ١٩٣١ ـ ١٩٣٤ ، والى ما بعد عام ١٩٤٣ ، كنتم على أحسن حال مع الشيوعيين اليهود ، وكنتم تبادلونهم ودا بود وتتبادلون معهم البعثات وتشركونهم في بحث سياستكم وأوضاع بلادكم . وقد**

---

٢ ـ جريدة الجماهير ـ دمشق . عدد رقم ٦٧ تاريخ ١٣ تموز ١٩٥٩ .

أرسلتم فرج الله الحلو الى تل أبيب ليستطلع رأي الشيوعيين اليهود في خطة حزبكم ، ثم استقدمتم الى بيروت الشيوعي اليهودي ((نخمان ليفتسكي)) لتستأنسوا برأيه في أحد مؤتمرات الحزب . وقد حضر فعلا ، واشترك في أعمال المؤتمر المذكور وأوصاكم بأن تعدلوا موقفكم من الاحزاب والجماعات الوطنية في سورية ولبنان وأن تتشددوا في الحملة عليها على اعتبار أنها أحزاب انتهازية (١) هذا في وقت كان فيه الاستعمار الفرنسي يمعن في بعض هذه الاحزاب اضطهادا ونفيا وتشريدا .

ثم كان منكم أيضا ، بدافع الامانة لوصية نخمان اليهودي ، أن سعَّرتم نار حملتكم على الجمعية التأسيسية وعلى أعضائها ، والمندوب السامي يهدد بحلها وبسجن نوابها المعارضين لانهم رفضوا أن يضعوا بيده مفتاح سيادة الامة ومقاليد أمورها ، وهكذا استويتم والاستعمار على صعيد واحد .

وقبل ((نخمان)) اليهودي كان مستشاركم السياسي ((برنمو)) ، وبعد ، ((برنمو)) و ((نخمان)) وفد عليكم العديد من المستشارين اليهود الذين كانت لهم الكلمة الاولى في سياسة حزبكم وقد حمل هؤلاء جميعا اليكم الاموال الاجنبية ونقلوا اليكم التوجيهات (١) .))

---

١ ـ من الاهداف التي سعت وتسعى اليها الصهيونية في البلدان العربية ، تدمير القيادات السياسية فيها بتشويهها وتسليط ألسنة الفجور عليها . وقد شهد العالم العربي في السنوات الاخيرة ، ربما لتنفيذ وصية ((نخمان)) موجة حاقدة معادية لكل قيادة سياسية وطنية غير شيوعية . وما تزال وصية نخمان نافذة في اكثر من بلد عربي وضد كل من يرتفع له صوت معاد للشيوعية واسرائيل !

٢ ـ جريدة الجماهير ـ دمشق عدد رقم ٦٩ تاريخ ١٥ تموز ١٩٥٩ .

ولم يكتف الحزب الشيوعي السوري اللبناني بذلك ، ولم يقف ارتباطه الفكري والمالي بالعناصر اليهودية عند هذا الحد ، فقد استعار أسماء صحفه التي أصدرها من اسماء الصحف التي أصدرتها الحركات الشيوعية واليهودية في فلسطين ـ فاسم « صوت الشعب » وهي الصحيفة السرية للحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، تعريب أمين لاسم الجريدة العبرية للحزب الشيوعي الفلسطيني ـ اليهودي « كول هاعام » . واسم « النور » وهي الصحيفة العلنية للحزب التي أصدرها في دمشق عام ١٩٥٦ وظلت حتى عام ١٩٥٨ ، منقول بالامانة ذاتها عن اسم صحيفة الحزب الشيوعي الاسرائيلي التي أصدرها عام ١٩٢٤ في فلسطين .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن الحزب الشيوعي العراقي أيضا عرَّب الاسماء اليهودية في الصحف التي أصدرها ، وحملت صحفته السرية عام ١٩٥٩ اسم صوت الشعب أي « كول هاعام » صحيفة الحزب الشيوعي الفلسطيني ـ اليهودي !.

فلم يكن غريبا اذن حين جاءت القضية الفلسطينية أن نجد الحزب الشيوعي السوري اللبناني ـ وبقية الاحزاب الشيوعية في العالم العربي كما سيجيء معنا ـ يتخذ موقفه المعادي للحق العربي الواضح ، مرتبطا في ذلك وملتقيا ، بالاتحاد السوفياتي ومع الصهيونية العالمية . فقد أحسنت العناصر اليهودية تنشئته وتوجيهه واصطفاء قياداته !

وسنتجاوز في هذا البحث بالطبع كل ما له صلة بمواقف الحزب الشيوعي السوري اللبناني ، والاحزاب الشيوعية الاخرى من القضايا القومية بعامة والقضايا الوطنية بخاصة .

سنتجاوز مواقف الخيانة من الكفاح الوطني في داخل كل بلد، وسياسة التشكيك والتمزيق والتحريض والاستزلام والتبعية الذليلة . فكل ذلك لا يدخل في نطاق بحثنا هذا ، وانما نحن نقصر الحديث هنا على القضية الفلسطينية دون غيرها ، ونمر بمواقف هذه الاحزاب منها في خطوطها العامة

لا في تفاصيلها وجزئياتها ، فالتفاصيل والجزئيات كثيرة والشواهد والوثائق موفورة . والحديث عنها جميعا باسهاب ومناقشة يحتاج الى أكثر من دراسة بمفردها وكتاب واحد .

بوادر الخيانة !

ظهرت بوادر خيانة قضية فلسطين لدى الحزب الشيوعي السوري اللبناني عام ١٩٣٧ ، حين اشتد النضال العربي في فلسطين ضد الانتداب البريطاني ، **وقدم خالد بكداش باسم الحزب الى مؤتمر بلودان المنعقد لبحث القضية الفلسطينية تقريرا حدد فيه موقف الحزب منها .**

في ذلك التقرير استعرض خالد بكداش مطالب الشعب الفلسطيني فحددها في : **رفض التقسيم ومنع الهجرة الصهيونية ، ومنع بيع الاراضي ، واقامة نظام دستوري ديموقراطي يضمن انتشار السلام والهدوء في فلسطين (١) .**

وسكت بكداش عن مطلب الاستقلال الوطني الذي كان هو المطلب الاساسي . تماما كما سكت الاتحاد السوفياتي فيما بعد عن هذا المطلب خلال مناقشة القضية الفلسطينية أمام الامم المتحدة ، والتقى بالسياسة البريطانية في بحث مستقبل الحكم في فلسطين تمهيدا لاقطاعها كلها أو بعضها لليهود !

ثم خطا الحزب الشيوعي خطوة أبعد مفصحا في ذلك الوقت عن سياسته الفلسطينية فنشر سليم عبود عضو اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية مقالا في صحيفة « صوت الشعب » السرية جاء فيه :

---

١ ـ جريدة صوت الشعب . عدد رقم ١٢ تاريخ ١٥ أيلول ١٩٣٧ .

« أما العرب فعندما يرفضون مشروع التقسيم يقدمون بالوقت نفسه مشاريع عمرانية مقابلة ، فهم يطلبون وضع حد للسياسة الامبراطورية الاستعمارية، واعطاء سكان فلسطين العرب واليهود أيضا حقوقهم الديموقراطية المحرومين منها وتشكيل مجلس يتألف من ممثلي الشعب لاجل التشريع بشكل ديموقراطي **وبدون قيد فيما يختص بتقسيم الاراضي والهجرة وجميع الامور** وفقا لمصلحة سكان فلسطين . »

« وهنالك مشروع عربي آخر يستحق الذكر هو مشروع الامير محمد علي وصي العرش المصري الذي جاء مطابقا لمشروع الشخصيتين النافذتين في العالم اليهودي : السر **هربرت صموئيل** رئيس حزب الاحرار في بريطانيا العظمى والمفوض السامي البريطاني الاول في فلسطين ، والدكتور **ماينتس رئيس جامعة القدس العبرية سابقا** . ويرمي هذا المشروع الى ضم فلسطين وشرقي الاردن ، وسورية الى حكومة ديموقراطية موحدة حيث يصبح اليهود أقلية وطنية لها نفس الحقوق التي لغيرها وهو حائز على تأييد جميع الوطنيين في العالم العربي. **ومن احدى ميزات المشروع انه لا يضمن التعاون والصداقة بين العرب واليهود ، فحسب ، بل هو يخفف من أخطار الحرب في البحر المتوسط الشرقي ، وذلك ما لا يستطيع أحد انكاره ، ويخلق بلادا تحبذ قضية السلم العالمي وحليفا جديدا للامم الديموقراطية فرنسا وانكلترا بنوع خاص في نضالها ضد الحرب والفاشستية (1) . »**

هنا يحدد الحزب الشيوعي موقفين أساسيين وخطيرين في قضية

1 ــ صوت الشعب عدد رقم ٤٩ تاريخ ٢٢ كانون الاول ١٩٣٧ .

فلسطين : **فهو يسكت اولا عن موضوع الهجرة** ، ويطالب بتشكيل مجلس من ممثلي الشعب للتشريع وبدون قيد على تقسيم الاراضي أو الهجرة .. الخ . أي انه يوجه السلطة البريطانية المنتدبة على فلسطين الى ضرورة فتح باب الهجرة أو تركه مفتوحا فلم يغلق قط ! — **وليس يحتاج القارىء الى ذكاء خارق ليدرك ان الهجرة المعنية هنا ليست الهجرة العربية ، بل الهجرة اليهودية !**

وهو ينادي ، ثانيا ، بمشروع لدولة سورية الكبرى يكون فيها لليهود وجود وطني اقلي ، ملتقيا في ذلك مع شخصيتين نافذتين في العالم اليهودي هما **هربرت صموئيل والدكتور مايتنس** .. ومع شخصيتين عربيتين فيما بعد هما : **فكري اباظه** الذي سبق وكتب عام **١٩٥٩** ينادي بالفكرة ذاتها ويدعو خروشوف وايزنهاور الى تنفيذها (١) **وميشيل عفلق** الذي روى فنربروكوي عضو حزب العمال البريطاني على لسانه انه موقن بضرورة اقامة اتحاد لدول المنطقة تنضم اليه اسرائيل وتحتفظ فيه كل دولة بادارة شئونها الداخلية (٢) .

وينبغي ان نسجل هنا نقطة اساسية في توضيح الموقف الشيوعي من قضية فلسطين ، وهي ان الحزب الشيوعي السوري اللبناني — والاحزاب الشيوعية الاخرى — كان حتى نهاية الحرب العالمية الثانية معارضا مبدا التقسيم ، مؤيدا مرة ومعارضا مرة اخرى موضوع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، بحسب اتجاه وميول العناصر المهاجرة . فاذا كانت يسارية سكت عنها ، او كانت يمينية ثار عليها .

ثم سكت الحزب وبقية الاحزاب الشيوعية عن موضوع الهجرة اليهودية أصلا — بعد الحرب العالمية الثانية — ربما لان اعداد المهاجرين من الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى فاقت مثيلتها من الدول

---

١ — مجلة المصور ايلول ١٩٥٩ .

٢ — مجلة النظرة الجديدة تل ابيب عدد رقم ٧ تاريخ شباط ١٩٥٨ .

الغربية ـ ! وظل الحزب معارضا مبدأ التقسيم الى مـــا قبل صدور القرار الذي اقترحه الاتحاد السوفياتي في الجمعية العامة للامــم المتحدة ولجانها المنبثقة عنها .

ولان قضية فلسطين لم تكن ـ كما هي اليوم ـ تهم الشيوعيين الا من زاوية الهجوم ضد انظمة الحكم القائمة لتقويضها، فقد كان الموضوع الاساسي المشترك في جميع مواقف هذه الاحزاب قبل الحرب وبعدها هــو الهجوم ضد ما يسمى بالرجعية العربية الدينية والاقطاع . وسيجيء معنا شرح مــا تعنيه هذه التعابير في الفكر الشيوعي وعنـد مستخدميها اليساريين بشكل عــام .

ويتضح لنا صحة هذا التحليل من مراجعة مذكرة خالـد بكداش الـى مؤتمر بلودان عام **١٩٣٧** ، ومواقف الحزب الاخرى قبل الحرب العالمية الثانية .. ثم البيان المشترك الذي أصدره الحزبان الشيوعيان السوري واللبناني ، ـ وكانا قد انفصلا لاغراض تكتيكية ليعودا فيندمجا فيما بعـد بقيادة بكداش ايضا ـ عام **١٩٤٧** .

ففي المذكرة الاولى باسم الحزب الى مؤتمر بلودان حدد بكداش مطالب الشعب الفلسطيني بأربعة مطالب بينها منـع الهجرة الصهيونية . **هنا وبعد سكوت طويل عن موضوع الهجرة يتحـرك الشيوعيون معارضين . وبالعودة الى تاريخ تلك المرحلة يتضح لنـا أن معظم الهجرة المفتوحة يومذاك كان مـن اوربا الغربية ومن عناصر يمينية، مما حرك موقف المعارضة عند الشيوعيين..**

سكوت عن الهجرة !

وفي البيان المشترك للحزبين الشيوعيين السوري واللبنانـــي الصادر بتاريخ ١٧ تشريـــن الاول ١٩٤٧ ، يتنــاول الشيوعيون موضوع القضية الفلسطينية بالسكوت عن موضوع الهجرة ، ورفض مشروع التقسيم ـ ولـم يكن قرار التقسيم قد صدر بعد ، ولا تلقـــى الحـزب تعليمات الكومنفورم بالموقف الذي يجب أن يتخذه من هذه القضية .

يقول البيان فيما خص قضية فلسطين ، ونحن نورد النص الكامل هنا لاهميته :

« ان قضية فلسطين تجتاز مرحلة دقيقة تتميز بتنوع وتكاثر المؤامرات الاستعمارية الانكليزية والاميركية الرامية الى اخراج هذه القضية عن حقيقتها ، وطمس معالمها ، واعطائها الشكل الذي يمكّن المستعمرين من تنفيذ اهدافهم ومطامعهم . ان المستعمرين الانكليز وقد انضم اليهم فيالسنين الاخيرة المستعمرون الامريكيون ـ قد عملوا دوما لجعل القضية الفلسطينية قضية نزاع عنصري عربي يهودي . ولاجل ذلك سعوا ـ يساعدهم زعماء الصهيونية ـ **الى تغذية التوتر والحقد بين العرب واليهود في فلسطين** ، ومنع اي تقارب بين الطرفين . وكان هدفهم دائما تأمين سيطرتهم والمحافظة على احتلالهم واستعمارهم .

وها هم اليوم يستغلون الحالة التي خلقوها هم انفسهم ، لاجل تقسيم فلسطين واقامة دولتين فيها ، وهدفهم من ذلك هو تثبيت سيطرتهم واستعمارهم واحتلالهم بالتعاونمع خدمهم زعماء الصهيونية وعملائها ودعاتها . ولا ريب ان السياسة التي سارت عليها بعض الاوساط العربية وخصوصا تلك الاوساط المتصلة بالاستعمار الانكليزي ، وكذلك الاوساط ذات العقلية الاقطاعية الرجعية قد ساعدت في تنفيذ مأرب المستعمرين والصهيونيين في الدعوة للتقسيم وجعل القضية قضية نزاع عربي يهودي ، وبايجاد الحجج لدعم مزاعمهم القائلة باستحالة عيش العرب واليهود في دولة واحدة .

ان الحزبين الشيوعيين السوري واللبناني يعتقدان اعتقادا جازما بان قضية فلسطين هي قضية

حرية وجلاء واستقلال . وهما واثقان من انهما يعبران عن راي جميع الوطنيين الديموقراطيين العرب في التأكيد بأن حل قضية فلسطين هو في الجلاء والاستقلال والغاء الانتداب ورفض مشروع التقسيم رفضا باتا ، كما يعتقد ان بأن من الممكن أن يعيش العرب واليهود في فلسطين في ظل دولة ديموقراطية مستقلة واحدة .

ان واجب الوطنيين الديموقراطيين العرب ، في نضالهم ضد التقسيم أن يقاوموا بحزم وقوة جميع المحاولات التي تحمل لواءها بعض الاوساط الرجعية المرتبطة بالاجنبي في الاقطار العربية ، تلك المحاولات الرامية الى اخراج حركة التضامن العربي مع فلسطين من نطاق النضال ضد الاستعماريين والاحتلال والصهيونية وتحويله الى نضال عرقي عربي ـ يهودي .

ان الشرط الرئيسي لنجاح النضال العربي ضد التقسيم هو في الوقوف بحزم وجراة في وجه كل سياسة ترمي الى جر العرب لمثل هذه المغامرات التي لا يقتصر اذاها وضررها على قضية فلسطين العزيزة بل تتناول سمعة العرب جميعا وتهدد استقلال سورية ولبنان في الدرجة الاولى ونظامهما الجمهوري ، كما تهدد مستقبل نضال بقية الشعوب العربية في سبيل الجلاء والاستقلال .

ان العالم اجمع يجب أن يعرف ويقتنع بأن نضال العرب لاجل فلسطين هو قبل كل شيء نضال وطني ضد الاستعمار والاحتلال وفي سبيل الجلاء والديموقراطية .

وان تضامن العرب في جميعاقطارهم مع فلسطين في نطاق النضال ضد الاستعمار هو السبيل الوحيد

القويم للفوز بتأييد القـــوى الديموقراطية فـي العالم واحباط مشاريع التقسيم والدولة الصهيونية، وتحقيق استقلال فلسطين وتحريرها مـن الانتداب ضمن دولة ديموقراطية مستقلة (١) » .

ذلك هو نص البيان فيما خص قضية فلسطين . ومن مطالعته وتحليله تتضح لنا بعض الحقائق :

١ ـ سكت الشيوعيون سكوتا مشبوها عن موضوع الهجرة الى فلسطين.
فلم يطالبوا بالحد منها ولا منعها ، لان المهاجرين اليهود فـي تلك الفترة كانوا يتدفقون من الاتحاد السوفياتي ومـن دول أوربا الشرقية التـي احتلتها في أعقاب الحرب الثانية ـ بالرغم من أن الهجرة الى فلسطين كانت وما زالت أخطر جوانب هذه القضية ، لانها تستتبع بالحتم ازدياد اليهود فيها وازدياد عوامل الانفجار في مشكلتها . وليس من يجهل أن الهجرة اليهودية الى فلسطين هي أهم أهداف المؤتمر الصهيوني الاول في « بال » عام ١٨٩٧ . **فالسكوت عنهـا اذن التقاء واضح الهدف بين الشيوعيين العـرب والصهيونية مهمـا كانت جنسية المهاجرين الى فلسطين والوانهم السياسية .**

ثم ان القول بامكان تعايش اليهود والعرب في فلسطين في ظـل دولة ديموقراطية دون تحديد موقف من الهجرة اليهودية السابقة الى فلسطين ولا من التدابير الاستعمارية التي مهدت لقيام الوطن القومي اليهودي ، يعتبر في حد ذاته موافقة ضمنية على الهجرة والتدابير الاستعمارية معا ، وتواطؤا في الموقف والهدف بين الشيوعية وبين الصهيونية والاستعمار : ثالوث المؤامرة على فلسطين .

٢ ـ طالب الشيوعيون في بيانهم هذا بالغاء الانتداب بعـد أن حـدد الانتداب البريطاني بنفسه لنفسه موعد رحيله عـن فلسطين . وقـد سبق لبكداش أن سكت في مذكرته الاولى الى مؤتمر بلودان عام ١٩٣٧ عن موضوع الانتداب أصلا ، ولم يجد يومذاك مبررا وطنيا في ضميره للمطالبة بالجلاء عن

---

١ ـ صوت الشعب ـ تاريخ ١٩ ـ ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٧ .

فلسطين ومنح شعبها استقلاله وحريته ، وهو الموضوع الاساسي في كل قضية وطنية .

٣ ـ هاجم البيان الشيوعي السوري اللبناني مشروع التقسيم، واعتبره مأربا استعماريا صهيونيا ، يهدف الى تثبيت سيطرة الاستعمار والاحتلال بالتعاون ما بين المستعمرين وخدمهم زعماء الصهيونية .. وكان ذلك قبل أن يوافق الاتحاد السوفياتي رسميا على التقسيم وترد الى الحزب توجيهات السلطة العليا في موسكو . فلما وافق الاتحاد السوفياتي بعد ذلك على التقسيم ، ووضح اشتراكه في مسؤولية تمزيق فلسطين ومنح اليهود فيها وطنا قوميا وهو مطلب الصهيونية الاول .. لم يجد بكداش ولا زمرة القيادة الشيوعية في سورية ولبنان وما يحركها بل راحت وفي أعقاب هذا البيان مباشرة تبرر مسلك الاتحاد السوفياتي وتهلل للتقسيم وتعلن موافقتها على قيام دولة اسرائيل .

كان منطق الحزب الشيوعي الذي أعلنه بكداش في تبرير التقسيم وموافقة الاتحاد السوفياتي عليه هو ما يلي :

« الحكومات الرجعية العربية هي المسؤولة . لقد عارضت الاتحاد السوفياتي الصديق حتى اللحظة الاخيرة ولم تخطب وده . صحيح أن اليهود ليسوا أمة لكنهم شعب له حق الحياة (١) . »

طبعا لم يتح لخالد بكداش أن يقرأ يومها خطب الرفيق غروميكو في مجلس الامن وأمام اللجنة السياسية ، تلك التي أورد فيها أكثر من مرة تعبير « الامة اليهودية » . ولو اطلع بكداش والشيوعيون على ما قاله الرفيق الصديق لسارعوا الى التبرير ولصاغوا المقالات وأجهدوا الفكر طويلا في تفسير ذلك وفي تأكيده .. فاليهود أمة بدليل كذا ودليل كيت وبما قاله هذا الكاهن أو ذاك من كهّان الشيوعية ونظرييها !

---

١ ـ صفحات مجهولة من تاريخ الحزب الشيوعي . تاليف محمد علي الزرقا والياس مرقص ص. ١٢٧ ـ ١٢٨ .

ولم يدر بكداش ــ أيضا ــ ان منطقه ذاك يجعل المصالح أساس العلاقات الدولية ، لا المبادىء . واذن وطبقا لمنطــق الزعيم الشيوعي فــان لاصدقاء أمريكا الحق كل الحق في أن يطالبوا الحكام العرب بخطب ود أمريكــا وهــي صاحبة الكلمة الاولى في قضية فلسطين ، مـــا دام خطب الود مبررا مــن اجل المصالح واحقاق الحق ، وما دام نقيضه يبــرر للآخرين مواقف العداء والخصومة والتنكر للمبادىء .

نحن لم نقل هذا ولكنه منطق بكداش يقود اليه ويوحيه .

الموقف من الداخل !

ولم يكن ما قاله بكداش مع ذلك على خطورته، جوهر الموقف الشيوعي. كان مجرد قشرة خارجية تخفي وراءها مـــا هـــو أخطر وأبعد . فالحزب الشيوعي السوري اللبناني ، شأنه شأن الاحزاب الشيوعية العربية الاخرى ، قد هلل لقيام اسرائيل . فلهذا الهدف وهذا اليوم أعــده مؤسسوه اليهود . وقد كشف رفيق رضا عضو قيادة الحزب المركزيــة المنشق ، حقيقة موقف الحزب من قضية فلسطين قال :

« .. وكانت قيادة الحزب الشيوعي بمثل حماس بن غوريون على بعث الدولة اليهودية فـــي فلسطين . فاسرائيل في نظرها واحة مـــن واحات الديموقراطية في الشرق الادنى . والشعب الاسرائيلي المشرد لا بــد وأن يلتقي في أرض الميعاد ، وأن واجب التضامن الاممي في عرف القيادة المذكورة هــو مــن صلب **المبادىء الماركسية ولذا فوجود اسرائيل لــه في عرفها مبرراته الانسانية التي تتخطى المبررات والوقائع القومية .**

« ومنذ اليوم الاول لكارثة فلسطين أو منذ اليوم الاول لاعلان التقسيم ووقوف الدول الكبرى الى جانب

الصهيونية بما فيها الاتحاد السوفياتي ، منذ ذلك اليوم المشؤوم في تاريخ قوميتنا انحازت قيادة الحزب الشيوعي الى جانب الرأي الاستعماري ـ الصهيوني ونادت بعدالة التقسيم ودعت اليه كما لو كانت قيادة تجري في عروقها دماء اسرائيل . وهي قد التزمت جانب الاستعمار والصهيونية علنا وصراحة على لسان دعاتها وفي بياناتها وصحفها . وقد قوبلت خيانتها هذه بسخط عربي عارم زلزل الارض تحت أقدامها ، وانهالت لعنات العرب عليها حتى لم يعد بوسع شيوعي في سورية ولبنان أن يعلن عن شيوعيته » .

« كل ذلك كان من قيادة الحزب الشيوعي ارضاء للاستعمار وارضاء للاتحاد السوفياتي وارضاء لليهود وانسجاما منها مع عدائها التقليدي للقومية العربية وكرهها لكل ما هو عربي » .

ولقد تبنى الحزب ـ فيما بعد ـ دعوة الصلح مع اسرائيل صراحة ، وكان يوزع في سورية سرا مقالات « صموئيل ميكونيس » سكرتير الحزب الشيوعي الاسرائيلي المنشورة في جريدة الكومنفورم « في سبيل سلم دائم » الداعية الى الصلح كحل وحيد لمشكلة الخلاف. **ولقيت مقالات ميكونيس تاييد قيادات الاحزاب الشيوعية في المنطقة العربية جميعا ، تلك التي ظلت تنظر الى النزاع العربي الاسرائيلي من زاوية اتجاه الحكم في اسرائيل لا من مبدا وجودها** . وسنعود في نهاية هذا الفصل الى مناقشة ذلك وتوضيحه .

وثيقة !

على ان من المفيد هنا ان نعرض وثيقة منتزعة من سجلات الحزب الشيوعي وكانت بعض ما صادرته السلطة في سورية عام ١٩٥٨ وهي تكشف بأوضح موقف الحزب من اسرائيل .

ففي ١٣ نيسان ١٩٥٠ كتب خالد بكداش في توجيه خاص للحزبيين يقول :

مظاهرات الطلاب : جاء من بين الهتافات التي القاها اخواننا **هتاف ضد اسرائيل ربيبة الاستعمار** الامريكي وهو شعار يدعو الى التفكير العميق . فهل هو شعار صحيح ؟ كلا . لا أعتقد انه شعار صحيح . **فاذا كانت حكومة اسرائيل هي حكومة تسير في ركاب الاستعمار الامريكي ويسيطر عليها الاشتراكيون اليمينيون الصهيونيون، فليس معنى ذلك ان من الواجب اسقاط اسرائيل كلها . وهاك مثالا يصور القضية : ان عبد الله ونوري السعيد هما ربيبا الاستعمار الانكليزي وخادماه ، فهل نهتف ضد العراق ربيب انكلترا ؟ ان اسرائيل مثل كل دولة أخرى رأسمالية مؤلفة من طبقات : فهناك الطبقة الرأسمالية والمستوردين الخ .. ثم خدم الاستعمار، وهناك طبقة العمال والشغيلة الذين تتناقض مصالحهم مع مصالح الاستعمار وخادمته البورجوازية الاسرائيلية . وطليعة العمال والشغيلة أي الحزب الشيوعي في اسرائيل ، تناضل الاستعمار ولاجل السلم وضد خيانات الطبقة الحاكمة في اسرائيل . فلا يمكن اذن ان ننظر الى اسرائيل كوحدة. واذا نظرنا كذلك فمعناه أننا ننظر نظرة قومية لا نظرة طبقية ولا نظرة بروليتارية . هذا شيء هام وأرجو ان تكون هذه القضية موضوع نقاش بينكم »** .

ذلك ما قاله بكداش ، أي قيادة الحزب الشيوعي عام ١٩٥٠ ، وهو يكشف الجانب الحقيقي والابعد في الموقف من قضية فلسطين .

اليهود أسسوا الأحزاب الشيوعية الأخرى !

لم يكن الحزب الشيوعي السوري اللبناني وحده ـ مندمجا في حزب ومنفصلا الى حزبين ـ هو الذي أسسه اليهود ثم اختاروا لقيادته عناصر معادية لكل اتجاه عربي فضلا عن الاتجاه الديني . ولا كان وحده الحزب الشيوعي الذي اتخذ موقف التواطؤ القذر من قضية فلسطين .

فالحركة الشيوعية العراقية ايضا اشرف على تأسيسها اليهود ومولها في معظم مراحلها عناصر يهودية موسرة كان يفترض فيها أنها ضد الشيوعية بحكم انتسابها الطبقي . ومن قيادة هذه الحركة برز كل من : **صديق يهودا وساسون دلال ويعقوب كوجمان** . وكلهم من اليهود . وكانت الحركة الشيوعية العراقية منقسمة الى فريقين : فريق « القاعدة » وفريق « راية الشغيلة » . وفي المنظمتين لعبت العناصر اليهودية الدور الاول ما عدا مرحلة « فهد » أي يوسف سلمان ، وكان أيضا بجانب الدعوة الى السلام الاسرائيلي العربي .

وفي مصر ، تأسست الحلقات الماركسية الاولى باشراف مندوبي الكومنترن : **افجيدور ونداب وهما يهوديان روسيان** . وقد انضم الى هذه الحلقات انطون مارون وسلامه موسى وروزنتال وحسني العربي ، وكان الاخير أبرز قيادييها وسلامه موسى أبرز مثقفيها .

ثم تأسست المنظمات الماركسية الاولى باشراف اليهود أيضا ، فأسس **« هنري كورييل » المليونير اليهودي الايطالي الاصل منظمة : الحركة المصرية للتحرر الوطني ، وأسس « هيلل شفارتس » منظمة الايسكرا أي الشرارة ، ومرسيل اسرائيل منظمة تحرير الشعب ، ثم انضمت منظمة الايسكرا الى الحركة المصرية للتحرر الوطني تحت زعامة كورييل وغدت تعرف باسم « حدتو » واصدرت صحيفة اسبوعية متقطعة باسم الجماهير . والى هذه الحركة انضم لفترة من الزمن طالت وقصرت معظم عناصر اليسار المصري الحاكم اليوم ! وكانت هذه المنظمة وحدها من بين كل المنظمات الشيوعية**

الاخرى التي تلقت ثورة ٢٣ يوليو في مصر بالتأييد وكتبت تدعو المثقفين الى الالتفاف من حولها بوصفها خطوة في اتجاه التحرر ، فالاشتراكية !! ورأت في يوسف صديق وخالد محي الدين ضمانتها !

وقد اشتركت جميع هذه الاحزاب المصرية والعراقية في تاييد تقسيم فلسطين وفي الدفاع عن مبدأ دولة اسرائيل ، وفي الهجوم على الرجعية العربية بوصفها مسعرة نار الخصام بين الشعبين العربي واليهودي ، وعدوة الحق اليهودي في اقامة وطن قومي لهم في فلسطين . واتخذت جميعها موقفا متشابها من الحرب العالمية الاسرائيلية عام ١٩٤٨ ، ورات فيها حربا استعمارية .

فالحزب الشيوعي السوري اللبناني اعتبر الحرب مؤامرة رجعية دينية استعمارية هدفها بذر الخصومة والعداء بين الشعبين العربي واليهودي ! !

والحزب الشيوعي العراقي يكتب في صحيفته السرية « القاعدة » (١) :
« ان الشعب العراقي يرفض باباء أن يحارب الشعب الاسرائيلي الشقيق » .

« لا مصلحة في الحرب للكادحين العرب واليهود بل للبورجوازية العربية العفنة » .

ومن قبل هذا الكلام كتب **يوسف سلمان الملقب « فهد »** وكان سكرتير الحزب الشيوعي العراقي وأبرز عناصره جميعا في كل تاريخه والمنافس الوحيد لبكداش على زعامة الاحزاب الشيوعية في المنطقة (٢) « مرحبا بانشاء دولتين عربية ويهودية في فلسطين واشترط لهما الاشتراكية والتحالف ضد الرجعية الدينية العربية ! »

---

١ ـ عدد رقم « ١١ » عام ١٩٥٣ .

٢ ـ صدر حكم باعدامه على عهد نوري السعيد في أعقاب الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨ .

ولم يخرج الشيوعيون المصريون على هذا الاتجاه . فقد أيدوا قيام اسرائيل ورددوا أقوال الرفيق غروميكو الذي اتهم الرجعية العربية والاستعمار بتفجير الخلاف والقى عليهما المسؤولية في النزاع العربي الاسرائيلي !

وزادت منظمة « حداتو » ، اليهودية القيادة ، على ذلك بأن اعتبرت اسرائيل مرحلة أعلى وأرقى من التطور الاجتماعي هي المرحلة الرأسمالية ـ البورجوازية الديموقراطية ، في حين أن الدول العربية تمثل مرحلة الاقطاع (١) ، ودعا قادة « حداتو » الى الاخاء العربي اليهودي والصلح مع اسرائيل !

اما المنظمة الشيوعية ، فقد عالجت في أواخر عام ١٩٤٨ النزاع العربي الاسرائيلي في مقال افتتاحي نشرته صحيفة صوت البروليتاريا ، فقالت (٢) :

« في ١٥ مايو ١٩٤٨ غزت جيوش البلاد العربية فلسطين .

هناك حرب قائمة في الشرق الاوسط منذ ٧ شهور ، ولكننا اذا درسنا هذه الحرب بتعمق لوجدنا انها ليست سوى حرب عنصرية .

آ ـ لقد أملى الاستعمار البريطاني هذه الحرب وأعد لها منذ سنين طويلة ليدافع عن مركزه في الشرق الاوسط .

ب ـ ان هذه الحرب تخدم البورجوازية العربية بكبت البروليتارية الصاعدة .

جـ ـ ان هذه الحرب هي واحدة من مصادر الحرائق الكثيرة التي تشعلها الرجعية العالمية وذلك بهدف خلق ترسانات من بعض المناطق التي يريدون استخدامها كنقط للهجوم ضد الاتحاد السوفياتي » .

---

١ ـ مصر مجتمع عسكري تأليف أنور عبد الملك أحد عناصر الحركة الشيوعية في مصر .
٢ ـ عدد ٣ تشرين الثاني ١٩٤٨ .

« واخيرا فان هذه الحرب موجهة اليوم ضد الخطر الذي تمثله البروليتاريا الثورية في فلسطين » .

ذلك كان مجمل مواقف الاحزاب الشيوعية في الشرق العربي من موضوع فلسطين واسرائيل . وقد حرصت هذه الاحزاب جميعا منذ ذلك الحين والى اليوم على أن تظل منسجمة مع مواقف الاتحاد السوفياتي في الامم المتحدة وموافقته على قرار التقسيم .

مهاجمة الصهيونية والسكوت عن اسرائيل !!

ولم تخرج هذه الاحزاب عن هذا الخط الا قليلا ، وحين وجد الاتحاد السوفياتي أن مصلحته تفرض عليه مهاجمة الصهيونية ، حين ذاك أخذت الاحزاب الشيوعية تردد ببغاويا التعبير السوفياتي ، **واقتصرت مواقفها على استنكار الصهيونية واتهامها والتوكيد على أن حكام اسرائيل عملاء الاستعمار، دون المساس بكيان اسرائيل أصل المشكلة ، ولا بموضوع الدولة القومية لليهود في فلسطين وهو أصل الخلاف .**

فخالد بكداش يكتب في صحيفة نضال الشعب (١) مهاجما أديب الشيشكلي وخالد العظم يقول :

> « ولقد استغل العظم والشيشكلي وزمرتهما ما حدث على الحدود من استفزازات **لم يكن دورهم فيها اقل من دور الزعماء الصهيونيين في اسرائيل** تنفيذا لمؤامرة استعمارية محبوكة الاطراف غايتها الاولى تحقيق المشاريع الحربية الانكلو ـ أمريكية في سورية » .

---

١ ـ عدد رقم ٨٨ أيار ١٩٥١ .

« تقول استغل العظم والشيشكلي وزمرتهما هذه الحوادث والاستفزازات ففتحوا بـــاب سورية أمـــام وحدات آلية من الجيش العراقي فدخلت هذه الوحدات وعسكرت في المطارات وشتى المراكز ، هكـذا تحققت خطوة خطيرة نحـــو تنفيذ مشروع الاتحـاد السوري العراقي ... الخ » .

بكداش يلقي مسؤولية حوادث الحـدود السورية ـ الاسرائيلية علـى حكام دمشق اذن، مثلما يلقيها على حكام اسرائيل، **واضعا بذلك الجانبين على مستوى واحد متناسيا أن اسرائيل في أساسها كيان عدواني اقتطع من أرض العرب ومن حقهم المشروع . وقد رمي بكداش من هذا الـى تحريف النظرة الى القضية الفلسطينية واغراقها في المفهوم الشيوعي الجديد الذي يهاجـم حكام تل أبيب ويسكت عن دولة اسرائيل . انـــه يقول أن المصيبة في الحكام العرب واليهود معا ، لا في مبدأ قيام اسرائيل** . وعندما يتبدل هؤلاء الحكـام تتبدل معطيات المشكلة الفلسطينية ويصبح ما هو باطل حقا ، ومـا هـو حق باطـلا .

ويتابع خالد بكداش ، ممثل الاتجاه الشيوعي برمته في منطقة الشرق الاوسط والمسؤول القيادي الاول فيه ، خطـــة اغراق القضية الفلسطينية وتحريفها ، فيخطب في البرلمان السوري ـ وكان نائبا فيه ـ عام ١٩٥٥ (١) **يقول بكداش :**

« ان للاستعمار الامريكي ركيزتين أساسيتين في الشرق الاوسط تركيا واسرائيل . فهـــو يريد تقويـة هاتين الركيزتين في سبيل هدفين أساسييـن أولهما استعمالهما في الحرب العالمية التي تسعى لها الدوائـر العدوانية في الولايات المتحـدة الامريكية ، وثانيهما ـ استعمال هاتين الركيزتين أداة تهديـــد وضغط علـى

---

١ ـ جلسة ٦ تشرين الاول .

البلدان العربية » .

« هكذا تبدو الطغمة الصهيونية في تـــل أبيب ، وكذلك الحركة الصهيونية العالمية بأسرها فـــي ضوئها الحقيقي كأداة عدوان وتجسس وتخريب وتوسع في يد الاستعمار الامريكي بوجه خاص وفي يـــد الاستعمار العالمي بوجه عام » .

فمشكلة اسرائيل اذن كمشكلة تركيا ، هـــي مشكلة اتجـاه وسياسة وارتباط ، لا مشكلة كيان . وكما لا يعني قـــول بكداش ان تركيـا قاعـدة الاستعمار الامريكي في الشرق الاوسط الغــاء الكيان التركي أو الاعتراض عليه ، كذلك لا يعني قوله ان اسرائيل قاعدة هذا الاستعمار الغـاء كيانها ولا الاعتراض عليه . المشكلة كلها هي في اتجاه السياسة الاسرائيلية ، فــاذا تبدلت ، تبدلت النظرة اليها . بأوضح : **ان ارتباط اسرائيل بالغرب هــو مـا يغيظ الشيوعيين ولا يرضيهم ، فاذا ارتبطت اسرائيل بموسكو غــدت شيئا آخر : دولة صديقة محبة للسلام يدعو لها الشيوعيون العرب بالسلامة وطول البقــاء !**

أين جوهر المشكلة : اسرائيل ذاتها بالكيان الذي اغتصب اغتصابا مــن حق العرب وأرضهم ووجودهم ؟ لا اعتراض عند الشيوعيين على هــذا ، ولا حديث .. فليست فلسطين ، ولا القضايا القومية ، ولا الحق العربي هـــو المهم ، بهم المهم أن تتعاظم القــوة السوفياتية الأم وينمــو نفوذهـــا وتبسط سلطانها ، ما دامت هذه القوة هي التي تجسد أحلامهم فـــي الحكم ، وتطلعهم يوما الى اغتيال السلطة ، وما دامت هي التي ترفدهم بالمال ، وتوفر لهم فـــي بلادها ــ وفي البلاد الشيوعية الاخرى ــ لذائذ الحياة وطيبها !

وعلى الرغم من ان قضية فلسطين كانت تطرحها الاحداث كـل يـوم ، وبشكل أحد وأعنف مع تعاظم الخطر الاسرائيلي فقد ظل الشيوعيون علـــى موقفهم الاول منها وسياستهم وظلت مقرراتهم ومواقفهـم تدفـع بالقضيـة الفلسطينية الى الجوانب والهوامش ، وبالاعتراض على الاتجاه والسياسة دون المساس بالجوهر والاصل .

ففي السابع من أيار عام ١٩٥٦ اتخذت اللجنــة المركزيــة للحـزب

الشيوعي في سورية ولبنان ـ وكانت قد عادت الى وحدتها بعد انفصالها التكتيكي ـ عددا من المقررات نشرته في صحيفة النور ، وفي كراس خاص بعنوان « نحو آفاق جديدة » وكان في هذه المقررات قرار خاص بفلسطين عالجها تحت عنوان قضية فلسطين . فماذا قالت اللجنة المركزية للحزب وفي اي اطار وضعت القضية ؟

يقول القرار :

« ولا ريب أن صون استقلال البلدان العربية المتحررة وتوطيده ، والنضال لاستكمال استقلال البلدان العربية الاخرى والتعاون الوثيق بين جميع الشعوب العربية هي من أهم العوامل في جميع الظروف للوصول الى حلول لقضية فلسطين تتفق مع مبادىء الديموقراطية والعدالة وتضمن حقوق العرب » .

« ومن الواضح أن كل حل أو تسوية لقضية فلسطين ، في نطاق الاوضاع والملابسات الحاضرة لن تؤدي الى ما ينشده جميع الشرفاء في العالم من اقيام سلم وطيد ، ولن تكون له صفة الاستقرار والدوام ما دامت اسرائيل قاعدة للاستعمار وأداة في يده للضغط والعدوان والتوسع .. »

ماذا قال الشيوعيون هنا في قرارهم هذا ؟

لا جديد . بل تهرّب كامل من مواجهة المشكلة لعلمهم وقناعتهم ان رأيهم فيها لا يتفق ورأي الشعوب العربية ، وان ما يقترحونه لها من حلول لا تخرج في جوهرها عما تقترحه الصهيونية وهو الصلح والاعتراف .

فالحديث عن « حلول لقضية فلسطين تتفق مع مبادىء الديموقراطية والعدالة وتضمن حقوق العرب » ، حديث مائع يمكن أن يعني كل شيء ، وأن لا يعني شيئا ، ما دام لا يقترن باقتراح واضح محدد .

والقول بأن كل حل أو تسوية لقضية فلسطين في نطاق الاوضاع والملابسات الحاضرة لن يؤدي الى ما ينشده جميع الشرفاء في العالم من قيام سلم وطيد ولن تكون له صفة الدوام، ما دامت اسرائيل قاعدة للاستعمار وأداة في يده .. » لا يعني سوى الهرب من اقتراح الحل ، ثم التأييد الصريح لبقاء اسرائيل بدليل قول الحزب في قراره : « ما دامت اسرائيل قاعدة للاستعمار وأداة . الخ ... **أي أن الاعتراض ظل كما كان من قبل ، موجها ضد أن تكون اسرائيل قاعدة للاستعمار وأداة في يده ، لا ضد أن تكون أصلا . وبمعنى آخر ، ضد أن تكون اسرائيل موالية للغرب ، ومع أن تكون اسرائيل موالية للشرق !**

أين الحق العربي ، والمشردون من أرضهم ووطنهم ؟ لا جواب عند الشيوعيين على هذا ، لان جوهر المشكلة عندهم ليس هذا الحق ولا الشعب المشرد ، بل ان جوهرها هو مصلحة الاتحاد السوفياتي الدولة الأم . **فهم ضد اسرائيل في اتجاهها وسياستها ، لا ضدها في كيانها . ودعوتهم أبدا هدفها ربط اسرائيل الى المعسكر الشيوعي كما هو هدفها ربط العرب الى هذا المعسكر .. وفي اطار التبعية هذه تجد المشكلة الفلسطينية حلها في الاخاء العربي اليهودي ، وبعد ان يغدو الحزب الشيوعي حاكما في البلاد العربية وفي اسرائيل ، بالخديعة أو بالحراب !!**

بكداش سكرتير عام الاحزاب الشيوعية العربية.. وإسرائيل أيضًا !

ولم يكن هذا الاتجاه كما أسلفنا اتجاه الحزب الشيوعي السوري اللبناني وحده ، ولا قيادة خالد بكداش من دون غيرها من القيادات ، وان يكن خالد بكداش في سياسته واتجاهه معبرا أتم التعبير عن مجمل الاتجاه الشيوعي وسياسته، فهو اكبر شخصية نافذة في الاحزاب الشيوعية العربية، وثمة أكثر من دليل على أنه يتولى قيادة الاحزاب الشيوعية في المنطقة بما في ذلك اسرائيل . فقد نشرت Le Spectacle du Monde الفرنسية في عددها رقم ٥٧ تاريخ كانون الاول ١٩٦٦ تذكر أن خالد بكداش غدا الامين العام

للاحزاب الشيوعية في كل من : سورية ، لبنان ، الاردن ، اسرائيل ، العراق ، مصر .

وسواء أصح هذا أم لم يصح ، فلا انكار في انــه الشخصية الشيوعية الاولى في المنطقة ، واقدم عنصر قيادي فيها ، والوحيد الذي ظــل محتفظا بزعامة حزب شيوعي مدة خمسة وثلاثين عاما .

لم يكن هذا الاتجاه اذن اتجاه الحــزب الشيوعي السوري اللبنانــي وحده ، بل كان اتجاه الاحزاب الشيوعية كلها بغير استثناء . ولقــد يكون ((**مؤتمر شعوب الشرق الادني والاوسط**)) الذي انعقد في بيروت أواخر عام ١٩٥٣ خير نموذج لهذا الاتجاه الشيوعي بمجمله .

ففي ذلك المؤتمر حرص الشيوعيون من أنصار السلم ــ وانصار السلم حركة شيوعية الاتجاه والقيادة ــ على مقاومة كل مــا يمس كيان اسرائيل او يستنكر وجودها ويسيء اليها . كــل ما وافقوا عليه هــو القول ((**ان حكــام اسرائيل هو عملاء الاستعمار ، وان المشكلة اصلا هي في الاستعمار فاذا زال زالت المشكلة تلقائيا**)) .

وبما ان كلمة الاستعمار تعني النظام الرأسمالي الغربي عموما والامريكي بخاصة ، فان مشكلة اسرائيل يحلهــا زوال الغــرب وأمريكــا ، وانتصار الشيوعية فيها . وحتى يحين ذلك فان على العرب أن يندفعوا بكل قواهم في هذا الاتجاه ، أي أن ينضموا الى الثورة الشيوعية العالمية ضد الغــرب وضد امريكا حتى يسقط الغرب وتسقط أمريكا !

معنى ذلك أن على العرب ان ينسوا اسرائيل وان ينظروا اليها فقط من خلال المعركة الشاملة ضد الاستعمار العالمي .

ولقد بحث المؤتمر مشاكل الدنيا بالتفصيل ، واتخــذ فيهــا المقررات المنسجمة مع النظرة الشيوعية ومنطقهــا ، من فــورموزا الىالفيتنام الى قضايا افريقيا ، ولكنه تجنب اتخاذ أي قــرار واضح محدد فــي قضيــة فلسطين .

وكان في الوفد السوري بعض العناصر القومية شاءت أن تطرح المشكلة صراحة ، **الا أن تكتل الشيوعيين السوريين والمصريين والاردنيين واللبنانيين والايرانيين حال ما بين المؤتمر وبين بحث المشكلة الفلسطينية في غير الاتجاه الشيوعي : اتجاه ادانة حكام اسرائيل لا اسرائيل نفسها ، واتهامهم بالعمالة للاستعمار دون المساس بها !**

لقاء هلسنكي

كذلك يتضح لنا الموقف الشيوعي ككل ، — وبغير حصر هذه الدراسة بالحزب الشيوعي السوري اللبناني وقد ركزنا عليه الحديث بوصفه نموذجا أوضح — في مؤتمر آخر هو مؤتمر السلام الذي انعقد **في هلسنكي** عاصمة فنلندا عام ١٩٥٥ تحت اسم **« تجمع قوى السلام العالمي »** وقد أتيح لي أن احضر هذا المؤتمر ممثلا لسورية مع بعض الرفاق الآخرين ، ورأيت فيه نماذج من لقاء الفكر والاتجاه بين الشيوعيين السوريين والمصريين والعراقيين واللبنانيين والاردنيين ، ومندوبي اسرائيل الى المؤتمر . ولم يقف الامر عند حد اللقاء الفكري ، **فقد تمت اجتماعات كثيرة خارج جلسات المؤتمر ولجانه المنبثقة عنه ، وفي زوايا معتمة بين الشيوعيين العرب ومندوبي اسرائيل ، ودارت احاديث صريحة بينهم جميعا عن اللقاء والتعاون ضد الرجعية العربية ومن أجل احلال السلام محل العداء والتعاون محل الجفاء** . ولم يستطع أعضاء الوفد السوري من غير الشيوعيين أن يطرحوا مشكلة فلسطين ولا أن يبحثوها من غير زاوية السلام والاستعمار . وهو خط يفترض — كما اسلفنا — أن اصل البلاء هو في الحكام العرب التقليديين وفي حكام اسرائيل الصهيونيين اليمنيين ، وليس في اسرائيل نفسها ، ولا في الجماهير اليهودية التي تجمعها الى الجماهير العربية أخوة الاشتراكية ووحدة الكفاح المشترك ضد الامبريالية .

ولو رحت اعدد المؤتمرات التي التزم فيها الشيوعيون العرب بهذا الخط لطال بي البحث ، فجميع مواقفهم لا تخرج عن هذا الاتجاه ، وهم في ذلك

مجرد ببغاوات تردد ما يلقنه لها المعلم الروسي ـ وربما اليهودي ـ بفرض الوصول الى ما يخدم هدفا وحيدا هو انتصار الاشتراكية **وحل مشكلة فلسطين بإزالة روح العداء العربي الموجه الى اسرائيل دون المساس باسرائيل !**

ولن يجد القارىء العربي ما نقب في تاريخ أي حزب شيوعي ، في أي بلد عربي موقفا واحدا من قضية فلسطين يخرج على هذا ، أو رأيا صريحا يعالج جذر المشكلة : اسرائيل ـ الكيان ، لا فرعها : الصهيونية ـ الحكم .

واني لاذكر هنا أحاديث كثيرة بيني وبين عناصر قيادية من الاحزاب الشيوعية في مصر وسورية ولبنان والاردن والعراق ـ يوم كنت واحدا في اليسار ـ حول هذه المشكلة ، كان فيها الحديث أصرح وأوضح مما يكتبه الشيوعيون عادة أو يصرحون به . **فالكل مجمع على أن مسؤولية النزاع تقع على الحكام العرب لانهم رفضوا الاعتراف بحق الشعب اليهودي في فلسطين وان اسرائيل أرقى اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، وتحولها الى الاشتراكية أقرب ـ بل ان فيها نواة الاشتراكية بأفضل مما هي في بعض بلدان أوروبا الشراقية ـ وواجب الشيوعيين حمايتها ورد الاذى عنها ضد الطغمة العربية الحاكمة !**

ويكفي أن نعيد هنا قراءة ما كتبه رفيق رضا عن موقف الحزب الشيوعي السوري اللبناني ، مما سبق ذكره مثالا في هذا الموضوع ، ليتضح صحة ما نذهب اليه . فليس اتهاما ظالما أن يقال ان الشيوعيين أصدقاء اسرائيل ، وليس تجديفا على الحقيقة ان يذاع اليوم تاريخ العلاقات الشيوعية الاسرائيلية فيجد فيها القارىء الوانا من الالتقاء والاتفاق لم تكن مجهولة وانما أخفيت بذكاء وتصميم عن الرأي العام العربي بغية خداعه وجره من قضية فلسطين الى الشيوعية .

لنقفز الآن الى الامام سنوات طويلة من عمر المأساة ، الى عام ١٩٦٧ . فماذا نجد في موقف الحزب الشيوعي من اسرائيل ؟ هل تبدل ؟

والجواب: أبدا. ما زال الموقف اليوم مثلما كان عليه بالامس. **حتى العدوان**

الاخير ـ ٥ حزيران ١٩٦٧ ـ لم يجد فيه الحزب الشيوعي سوى مناسبة للدعوة الى المزيد من الالتصاق بالاتحاد السوفياتي ، والمزيد من التدابير الاشتراكية في البلاد المسماة ثورية ، والسكوت عن موضوع اسرائيل أصلا والحديث عن العدوان فرعا . ثم الاستشهاد باقوال الشيوعيين في اسرائيل.

ففي دراسة مطولة نشرها **خالد بكداش** بتوقيعه في صحيفة « نضال الشعب » السرية (١) بعد العدوان ، تحت عنوان : « في سبيل سحب القوات الاسرائيلية المعتدية من الاراضي العربية . في سبيل تصفية جميع آثار العدوان ! » لم يجد في اسرائيل سوى السياسة والاتجاه ، لا الكيان والاصل.
ودعا بكداش الى سياسة اوثق بالاتحاد السوفياتي ، وقصر بحثه السياسي الهام على الدعوة الى عودة اسرائيل الى ما وراء خطوط ٥ حزيران. واستشهد باقوال النائبين الشيوعيين في اسرائيل توفيق طوبي ومايرفيلنر وأنصارهما، مؤكدا معهما ان العدوان كان تنفيذا لمخطط استعماري أمريكي . معنى ذلك أن العدوان مستنكر ومستقبح وملعون لانه جاء في اتجاه السياسة الامريكية، أما لو جاء في اتجاه آخر مثل عدوان قيام اسرائيل ذاتها مثلا عام ١٩٤٨ بما كانت تحمله من اتجاهات اشتراكية ـ يسارية لا يمنية ! ـ فسيكون شيئا آخر : مقبولا ومرغوبا ومهتوفا له !

ولم ير بكداش في أهداف العدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧ مع ذلك سوى الاطاحة بالانظمة التقدمية العربية ، لا العدوان ذاته بهدف التوسع . ولم يفسر لنا بكداش كيف ولماذا اعتدت اسرائيل على الاردن وتلقى منها الضربة الاكبر ، ونظامه ليس تقدميا بل هو مصنف عندهم في الرجعية والاستعمار !

لم ير بكداش والشيوعيون في العدوان سوى محاولة لاسقاط الانظمة الثورية على حد تعبيره ، وليس اغتصاب الارض !

على أن الواقع يفضح هذا كله ، بل هو يدينه . فها هي ذي الانظمة لم

---

١ ـ عدد رقم ٩٠ اواسط آب ١٩٦٧ .

تسقط ، وها هي ذي اسرائيل تعلن عزمها علـــى الاحتفاظ بالقدس والضفة الغربية وتبادر الى انشاء المستعمرات في الارض المحتلة !

واستشهاد بكداش بأقوال الشيوعيين الاسرائيليين في مقاله مجـــرد تمهيد في العقل العربي لقبول اسرائيل تقدمية ، أي لقبول التصفية . واذن فقضية فلسطين تتحول عند الشيوعيين الى وسيلة تحقق هدفـــا : **الوسيلة فلسطين والهدف هو الشيوعية** . بأوضح : **قضية فلسطين تصبح في يـــد الشيوعيين أداة لخديعة الرأي العام** ، وتكون النتيجة كما يلي : **فلسطين تبقى اسرائيل ولها . والعالم العربي يتحول الى الشيوعية باسمها !!**

فبكداش مثلا يحذر من المغامرة ضد اسرائيل داعيا الـى اعتماد الحل السياسي من جهة والى توثيق الصلات بالاتحاد السوفياتي لزيادة مقدرتنـا الدفاعية من جهة أخرى ((**أين فلسطين هنا ، والارض المحتلة** .؟ ان بكـداش لا يرى في العدوان كله غير مبرر أبعـد وأعمق للارتباط . فهـــو يقـــول : « والواجب الاول هو رفع قدرة الدفاع العربية وهذا مرتبط بتوثيق علاقات الصداقة مع الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الاخـرى . فان المعونة السوفيتية بالسلاح والعتاد والمواد التموينية قبـــل العدوان وبعده ، لعبت وتلعب دورا أساسيا في زيادة قـدرة الدفاع العربية وهـــو شيء معروف ومسلم به لدى الجميع وهو يملأ جوانح كل وطني عربي بأعمق مشاعر الامتنان نحو الدولة الاشتراكية العظمى » .

ذلك ما يراه بكداش في العدوان ، ومنه . انـــه الهدف القديم نفسه : تشييع العالم العربي باسم فلسطين وبدون فلسطين . وتبقى اسرائيل عنـد بكداش والشيوعيين واحة الديموقراطية وقوة الامل القادم !!

انها الحقيقة بوقائعها ووثائقها ونصوصها تنطق اليوم بعـــد أن اخفيت طويلا ، وأسهمت في طمسها عوامل المؤامرة ذاتها التي ابتلعت فلسطين .

فهل تنفتح منا العيـون ، أم نظل عميا يسوقنا البله الى حيث لا قرار للهاوية ؟ !

الرجعية العربية

مر بنا فيما تقدم من هذه الدراسة تعبير أكثر ويكثر من استخدامه الشيوعيون ، سواء أكانوا شيوعيين سوفيات امثال غروميكو وتسارابكين ويعقوب مالك ، أم شيوعيين محليين أمثال خالد بكداش في سورية ، أو نقولا شاوي في لبنان أو عبد القادر اسماعيل في العراق أو فؤاد نصار في الاردن .. الخ . هذا التعبير هو الرجعية العربية والرجعية العربية الدينية .

وقد رد الشيوعيون بالامس الى هذه الرجعية العربية اسباب الحرب العربية الاسرائيلية والخلاف بين الشعبين ، ورأوا فيها ـ أي الرجعية ـ عدو الوطن القومي اليهودي . ثم هم يردون اليها اليوم أسباب كل قصور وضعف في مواجهة العدوان الاستعماري الصهيوني ، ويرون فيها المتواطيء الاول مع اسرائيل والاستعمار والعدو الاول للحركة الثورية العربية .

فماذا يريد الشيوعيون بهذا التعبير ، وما دلالته عندهم ، وما صحة وجود رجعية عربية بالمعنى العلمي لهذه الكلمة في قمة السلطة من الحكم العربي أو في قلب المجتمعات العربية ؟

الرجعية ، أصلا ، سواء امتلكت السلطة أم لم تمتلكها، هي قوة اجتماعية ترفض التقدم وتتمسك باشكال العلاقات والنظم والقوانين التي تجاوزها التطور الانساني وغدت ثوبا ضيقا على جسم اتسع ويتسع باستمرار .

ومن الادلة عليها أن ترفض التعليم مثلا او نظم الصحة العامة ، أو استخدام الآلة الحديثة وما يسره العلم للانسان من اسباب التقدم والرفاه . فهي اذن تقف في ارضها من الحضارة لا تأخذ بها ، ومن التقدم لا تؤمن به . مثل هذه الفئة تدان عادة بالحكم عليها وتوسم بالرجعية . أي أنها ترفض الجديد ، كل جديد ، وتتمسك بالقديم ، كل قديم .

ولكن هذا التعبير تحول عن معناه الاساسي العلمي ، **ليصبح تعبيرا**

سياسيا يكثر من استخدامه اليسار عادة ــ والشيوعي منــه بخاصة ؟ وقــد يفيد تحليله في معرفة ما يريد قادة اليسار أن يؤمن به الناس ويعتقد بـــه الجمهور .

وليس مهما البحث فيما اذا كان اليسار نفسه مؤمنـــا بالتعبير مدركا أبعاده . فجمهور اليسار مسيَّر ككل جمهور آخر بقيادته . **والقيادة وحدهــا هي التي تدرك مدلول الكلمات وأبعادها ، وهي التي توجــه استخدامها فيما يحقق غرضا معينا لها أو أغراضا** . المهم هنا هــو أن نعرف هــذا الفرض أن نعرف ما يريد قادة اليسار .

ومن البداية يجب أن نستبعد ما يعنيه التعبير أصلا . فليس في العالم العربي قوة ــ الا ندرة لا سلطة لهـــا ــ ترفض التغيير وتؤمن ببقـاء القديم وتحول دون الاخذ بأسباب التقدم . وعلى سبيل المثال : ليس فـي العالـم العربي سلطة على الاطلاق لا تعير التعليـــم ــ وان تفاوتت درجتها ــ أهمية خاصة ، أو تأخذ بنظم الصحة الحديثة ، أو تستخدم الآلة ، أو توفـر لمواطنها من الخدمات العامة بعض حاجته وفي أحوال أخرى معظمها .

معنى ذلك أن لا وجود للرجعية بالتحديد العلمي للكلمة ، ولئــن وجدت فهي منزوية بعيدة عن مجرى التأثير في أحداث العالم العربـي ، ولا تمثـل أكثر من قوة اجتماعية محدودة يجرفها التطور جرفا ، ولا تكـاد تملك حتـى القدرة على فهم ما يجري حولها ، فضلا عن التأثير فيه .

يبقى من الكلمة هنا معناها السياسي ، وما يرمي اليه الشيوعيون مـن استخدامها . فما هو هذا المعنى بالضبط وما حدوده ؟

يصعب علينا في الواقع أن نجد معنى محددا تستخدم فيـــه كلمـــة الرجعية .

فهي قد تعني مرة القوى الحاكمة التـــي ترفض السمــاح للشيوعيين بالنشاط ، حتى وان قادت هذه القوى خطى التقدم . ومثال ذلـك المملكـة العربية السعودية .

وهي قد تعني مرة القوى التي ترفض التعاون مع الشيوعيين في جبهة وطنية مرحلية مهمتها تقريب الشيوعيين من السلطة . ومثال ذلك ما اتهم به الشيوعيون أعوام ٩٥٢ – ٩٥٣ – ١٩٥٤ ، حزب البعث العربي الاشتراكي من انه حزب بورجوازي ، رجعي القيادة . فلما تم التعاون بينهما فيما بعد سقط الاتهام وغدا حزب البعث قوة تقدمية وقياداته قيادات ثورية اشتراكية صادقة ! !

وهي قد تعني القوى التي ترفض التبعية للاتحاد السوفياتي . وما دام الاتحاد السوفياتي في نظر الشيوعيين هو الدولة الام والدولة التقدمية الاولى والقائدة وكل ما سوى ذلك ضلال ، فكل موقف منها لا يخدم أهدافها اذن هو موقف سيء وصاحبه رجعي مثال ذلك الرئيس بو رقيبة والملك الحسن الثاني والملك حسين .

وهي قد تعني القوى التي تؤمن بالنظام الحر حتى وان سلّمت هذه القوى بضبط الاقتصاد وتوجيه مساره . لان حرية الاقتصاد نقيض امتلاك الدولة له ، وما دامت تقدمية الدولة مشروطة باشتراكيتها أي بامتلاكها وسائل الانتاج فكل موقف مقابل هو موقف رجعي ، والمنادون بحرية الاقتصاد والاحتفاظ بالمبادهة الفردية هم رجعيون . مثال ذلك قوى الوسط السوري والعراقي الممثلة في معروف الدواليبي وعبد الرحمن البزاز .. الخ .

وهكذا نرى أن تعبير الرجعية تعبير مطاط ، وكثيرا ما يعني غير معناه. انه تعبير سياسي معادي لكل القوى غير المرتبطة بالمخطط الشيوعي ، مهما بلغ ايمانها بالاصلاح وعملها له .

فالملك فيصل – مثلا – رجعي ولو بنى مليون مدرسة ، ومليون مستشفي ، وفتح الف طريق ، ووفر العلم والصحة والمواصلات مجانا ، ومعها الحرية ، لكل مواطن . رجعي لان اتهام الرجعية هنا تعبير سياسي استخدم لمعارضته الاهداف الشيوعية وليست تعبيرا عن أي شيء آخر .

وكذلك الحال بالنسبة لبورقيبة والحسن والحسين وكل من ماثلهم . وليس ينجو من هذا الوسم سوى أولئك الذين تبح حناجرهم بالهتاف للاتحاد السوفياتي الصديق ويساهمون في النشاط اليساري الشيوعي بوجه عام .

هؤلاء فقط هم التقدميون ولا تنطبق عليهم صفات الرجعية ولا اتهامها .

وواقع الحال هو انه من الصعب ، بل من المستحيل أن نحدد تعريفا علميا ثابتا الكلمات عند الشيوعيين ، أو نعرف لهم مواقف محددة واضحة ذات صلة بخط سياسي ثابت .

الشيوعيون يمتدحون المملكة العربية السعودية !

مثال ذلك ، مجرد مثال ، ما سبق وكتبته صحيفة « صوت الشعب » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي عام ١٩٣٨ في صدر صفحتها الاولى . ففي مقال رئيسي لها بعنوان : (١) المملكة العربية السعودية . نظرة عامة على الاصلاحات التي تمت فيها في السنوات الاخيرة . قالت الصحيفة :

انتهجت البلاد السعودية في عهد جلالة الملك ابن السعود نهجا جديدا . ففي عهده تقدمت البلاد خلقيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وعلميا ، فأصبح للمملكة العربية السعودية أكثر من بعثة علمية في الخارج . وعلى الرغم من قلة موارد البلاد لم يأل الملك جهدا في تشجيع طلب العلم سواء في الداخل أم في الخارج غير مدخر في سبيل ذلك جهدا . وكذلك فتحت البلاد أبوابها للمشروعات الاقتصادية والمالية ، فشجع بذلك طرق استثمار خيرات البلاد وكنوزها مع المحافظة على استقلال البلاد وحريتها . ففي عهده اكتشف غاز البترول في أطراف الجزيرة العربية وأعطي امتياز استخراجها الى شركة أمريكية . كما نشطت أعمال

---

١ ـ صوت الشعب عدد رقم ٦٤ تاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٣٨ .

استخراج الذهب من أطراف المدينة المنورة وغير ذلـك من المشروعات المتعددة » .

« وتفهم جلالته حاجيات البلاد الملحة فعمل فـي نشاط ومثابرة على سد هذه الحاجيات . وبلغت البلاد في عهده درجة مـن التقدم والرقي جعلهـا تلحق بمن سبقها من الامم المجاورة لها . ورصدت الحكومة مبالغ لا يستهان بها للصحة العامة » .

« ولقد تناولت يــد الاصلاح البلاد في كثير من مرافقها . وحسبنا أن نأتـي بصورة موجزة لطائفة مـن الاعمال التي تمت تحت ارشاد جلالته » .

وتنهي الصحيفة مقالها عن المملكة بقولها :

« تلك خلاصة أعمال الملك عبد العزيز آل السعود التقدمية نعرضها على عجل » .

ذلك ما قالته صحيفة « صوت الشعب » الشيوعية عـــام ١٩٣٨ عـن المملكة العربية السعودية وعهد الملك عبد العزيز ، مثنية عليــه ، وعلـى منحه امتياز التنقيب عن البترول للشركات الامريكية ، مؤكدة تقدمية المملكة بقولها : وبلغت البلاد في عهده درجة من التقدم والرقي .. الخ .

.. ثم يشتمونها !!

وبالمقارنة بين ما قالته الصحيفة الشيوعية بالامس ، وما تنشره الصحف الشيوعية اليوم في بيروت وغيرها عن المملكة العربية السعودية ، وما تتهمها به ، وما تهاجم شركات البترول ذاتها التي اعتبرتها عام ١٩٣٨ فاتحــة خيــر وتقدم لها ، يتضح لنا كيف أن المواقف تتبدل من النقيض الى النقيض ببساطة ودونما حرج . وتزداد الصورة وضوحا اذا نحن عرفنا ان مرحلة الملك عبــد العزيز لم تكن مرحلة تقدم المملكة ولا تطورها بــل مرحلة شد أواصرها ولحم

أجزائها واقامة الامن فيها . انهـــا مرحلة توحيد المملكة وتوطيد الدولـــة الجديدة . ولم تحقق تقدمها الحقيقي الا في عهد فيصل بـــن عبد العزيز ، حيث رصد للتعليم مثلا اكثر من خمسمائة مليون ريال عام ١٩٦٦ ، أي بزيادة ٤٠٠٠٪ عما كان عليه عام ١٩٥٢ . وحيث تتسع الخدمات العامــة اتساعــا لا نظير له ، ويشتد الاقبال على الاخذ بكل أسباب الحضارة والتقدم . ومـــع ذلك فالشيوعيون الذين امتدحوا تقدمية عبـــد العزيـــز بالامس واصلاحاته وشركة البترول الامريكية ، يهاجمون اليوم رجعية فيصل!

ومقارنة أخرى هي أيضا مجرد مثال .

ففي عام ١٩٥١ (١) وفـــي صحيفة « نضال الشعب » الشيوعية كتب خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعي السوري اللبناني مقالا يتهم فيـــه خالد العظم بالعمالة للاستعمار والائتمار بالحركـــة الوطنية والسير فـــي ركاب المستعمرين الامريكيين والانكليز وخدمة مآربهما . وكان مما قاله :

« .. لقد جاء خالد العظم الى الحكم في ظروف تطاحن شديد بيـــن المستعمرين الامريكيين والانكليـــز والفرنسيين على التفوق في سورية . ومـــن المعلـــوم للجميع انه لولا تدخل الشيشكلي لمـــا استطاع خالد العظم استلام الحكـــم . ويحاول العظم والشيشكلي وزمرتهما المناورة بيـــن جميـــع هـــؤلاء المستعمرين وارضاءهم جميعا . فيأخـــذون قرضا مـــن أمريكا ، ويسمحون لشركاتها البترولية بالدخول الـــى سورية ، ويساعدون فرنسا علـــى تسليط بنكهـــا السوري على اقتصاديات البلاد ويحاولون كذلك ارضاء الانكليز ... الخ . »

« وان الشعب السوري لـــن يسمح لخالد العظم بدوس كرامته بالاقدام وتسليمـــه للمستعمرين الانكلو

---

١ ــ نضال الشعب عدد رقم ٨٨ ــ تاريخ أيار ١٩٥١ .

امريكيين والفرنسيين ليستعملوه طعاما للمدافع وليستخدموا أرضه موطئا لجزمات عساكرهم ... الخ » .

ثم ما لبث خالد بكداش نفسه ان صوت لخالد العظم في انتخابات رئاسة الجمهورية بعد اربعة أعوام ـ ١٩٥٥ ـ وتحول خالد العظم عند الشيوعيين من عميل الاستعمار الى وطني صادق وحليف رئيسي واخ لهم في سورية .

كيف حصل هذا ؟

الجواب هو في ان خالد العظم سكت عن الهجوم ضد الاتحاد السوفياتي وأسهم في شراء صفقات السلاح منه بعد ذلك . فالرجعية والعمالة هنا موقف سياسي لا موقف اجتماعي . أي ان خالد العظم المؤيد التعامل مع الغرب هو رجعي ، وخالد العظم المؤيد للتعامل مع الاتحاد السوفياتي هو وطني تقدمي ، وليس يهم كثيرا ما هو خالد العظم في جوهره . في حقيقة موقفه من تيار التقدم . لأن معنى التقدم والرجعية هو على الضبط : التقدم نحو الاتحاد السوفياتي أو التراجع عنه !

ذكرت هذين المثالين المحددين مجرد نموذج كما اسلفنا ، وللتدليل على أن الموقف ذاته ينقلب الى نقيضه ، وانه من الصعب بل من المستحيل معرفة الحدود الواضحة فيما يقول الشيوعيون وما يريدون . كل شيء عندهم مسخر في خدمة الغرض الأساسي وهو جر هذا البلد أو ذاك الى دائرة النفوذ السوفياتي . عندها فقط يخرج من دائرة الرجعية ويوصف بالتقدمية .

وقد رأينا فيما سبق من هذه الدراسة كيف استخدم غروميكو تعبير الرجعية العربية خلال مناقشة القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة ، للاشارة الى جميع الحكومات العربية التي عارضت التقسيم واقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، واتهمها بتسعير الخلاف العربي اليهودي لحماية مصالحها . فالرجعية هنا موقف ضد الصهيونية وضد اسرائيل .

ثم رأينا كيف أن هذا التعبير بالذات أصبح يطلق ضد دول عربية

معينة ، وتوصف بالتواطؤ مع اسرائيل بعد أن كانت توصم بعدائها . **فالرجعية هنا موقف مع الصهيونية ومع اسرائيل** . أي نقيض ما كانت بالامس . وفي الحالين المختلفين بل المتناقضين ، لم يكن الهدف مختلفا . كان واحدا وهو التحريض على الحكومات العربية التي لا تدين بالشيوعية ولا تخضع لتوجيهها او تعارضها ، بقصد تدميرها ، وتمهيدا لنشر الشيوعية فيها .

فغروميكو كان يريد من الحكومات العربية أن تؤيد التقسيم وقيام دولة يهودية في فلسطين ، وهو لو وجد حكومة عربية تؤيده في ذلك لاغدق عليها القاب التقدمية والوطنية ، ولرفع الصوت عاليا يشيد بها .

والشيوعيون اليوم ــ بكداش وسواه في المنطقة العربية ــ يريدون من الحكومات العربية ــ من بعضها على الاقل ــ أن تسير في مخطط التسوية السلمية مع اسرائيل والاعتراف بها . ثم السير في اتجاه الاشتراكية وشراء السلاح من الاتحاد السوفياتي واقامة علاقات وثقى به ، والحج كل يوم من كل عاصمة عربية الى موسكو . وهم لو وجدوا حكومة عربية ممن يتهمونها بالرجعية تحقق هذا بعضه أو كله ، أو تسير في اتجاهه على الاقل ، لاغدقوا عليها صفات التقدمية ونعوتها ، ولدبجوا فيها قصائد المديح والثناء ، حتى ولو كانت سياستها الداخلية خلوا من أي اتجاه اصلاحي . أي رجعية بالفعل . وما ذلك الا لان الكلمات تسخّر في خدمة الهدف ، فهي قد تعني شيئا ونقيضه ، بحسب ما يحلو للشيوعيين أن يستخدموها وما يحقق ذلك هدفهم أو بعض هدفهم .

وليس يقف التناقض في استخدام الكلمات عند حد « الرجعية » . فللشيوعية قاموس معروف يحتوي مجموعة واسعة من الكلمات الخاصة بها ، وتنطوي جميعا على معاني تخدم الغرض الشيوعي فتبيح الشيء نفسه في اتجاه وتحرمه في اتجاه آخر .

مثال ذلك كلمات : **العدوان والاستعمار والمساواة** .

العدوان ؟

فالعدوان في تعريف الشيوعيين على ما تنص دائرة المعارف السوفيتية وقاموس اللغة الروسية تأليف اوزيجوف ، هو : اعتداء دولة أو أكثر من

الدول الاستعمارية على دولة اخرى بقصد احتلال أراضيها واخضاعها بالقوة واستغلال اهليها . « وهو ظاهرة من الظواهر المميزة للمجتمعات التي تنقسم الى طبقات مختلفة ويبلغ ذروته في الممالك الاستعمارية . مثال ذلك حلف الاطلسي » .

ويعرف لينين وستالين الحرب بأنها قد تكون مشروعة وقد لا تكون وقد تكون عادلة وقد لا تكون بحسب اتجاهها . فالقول بأن الحرب دفاعية أو ثورية لا يتوقف على معرفة من هو البادىء بها ، أو من هو صاحب الارض التي احتلها العدو ، بل هو يتوقف على معرفة الطبقة التي شنت الحرب والسياسة التي تعتبر الحرب استمرارا لها (١) .

فالعدوان هنا ، هو ما تقوم به الدول الاستعمارية اي الراسمالية ، اي الغرب . اما ما يقوم به الاشتراكيون اي الشيوعيون ، اي الاتحاد السوفياتي، فمشروع عادل وصحيح . وتعريف الحرب هنا هو انها حرب دفاعية أو ثورية ، وبالتالي فليست عدوانا !

ميثاق الاطلسي ، مثال ذلك هو ميثاق عدواني ، لان هدفه تطويق الشيوعية .

أما ميثاق حلف وارسو فهو عادل ، لان هدفه هو مقاومة الراسمالية والوقوف في وجهها. وليس شيئا ان يقال ان ميثاق وارسو كميثاق الأطلسي تكتل عسكري يهدف الى الوقوف في وجه المعسكر الآخر ، لان معنى ذلك هو وضع المعسكر الاشتراكي على قدم المساواة مع المعسكر الغربي وهذا ما لا ترتضيه الشيوعية ولا تقره **لانها تمثل في نظر نفسها مرحلة اعلى ، وحقا لا ينازع ولا يملكه الآخرون في فعل كل شيء واقترافه ما دام يسير بها خطوة على طريق هدفها .**

نزول القوات الامريكية في لبنان مثلا عام ١٩٥٨ ، أو الانكليزية في الاردن ، هو عمل استعماري وعدوان صريح . وكذلك حرب فييتنام .

---

١ ــ لينين . كتاب الثورة البروليتارية وكاوتسكي المارق الصادر عام ١٩١٨ .

أما سحق ثورة المجر بالدبابات الروسية ، واحتلال تشيكوسلوفاكيا بالقوة لتبديل خطها واتجاهها ، فهو عمل وطني ومشروع وعادل . أليس هدفه المحافظة على الاشتراكية كما تفهمها موسكو وقد تم تحت رايتها وباسمها؟!

العمل ذاته مبرر هنا ومستنكر هناك !

الفعل نفسه مشروع في تشيكوسلوفاكيا والمجر ، عدوان في لبنان والاردن وفييتنام !

لماذا ؟

الشيوعية لا تناقش كثيرا . انها تعتمد على مسلماتها الاولى التي اقرتها في الاذهان . فموسكو صديقة الشعوب وهذه الصداقة تبيحها لها ، وواشنطن عدوة الشعوب وهذه العداوة تحرمها عليها !!

الاستعمار ؟

وكلمة « **الاستعمار** » مثال آخر على ما تعني الكلمات وما تتناقض تحليلا وتحريما عند الشيوعيين .

فالاستعمار هو مرحلة عليا من مراحل الرأسمالية (١) ولا يكون الاستعمار الا رأسماليا ، ولا يقع الا من الرأسمالية . لقد افترض لينين ذلك وسار عليه من بعده حواريو الشيوعية وآباؤها وكهنتها وفريسوها . ولقد **استقى لينين نظريته هذه من نظرية ماركس التي تفترض اساسا اقتصاديا لكل ظاهرة من ظواهر التاريخ .**

وقد نتج عن هذا التفسير أن غدا التوسع استعماريا غير مشروع في

---

١ ــ لينين . الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية .

حالة ، ومشروعا في حالة اخرى . **فما دام الاستعمار هو ابن الراسمالية ، فالتوسع من غير دولة راسمالية هو توسع غير استعماري . مثال ذلك التوسع الروسي بعد الحرب العالمية الثانية . فامتلاك اوروبا الشرقية ، واقامة انظمة الحكم فيها بارادة خارجية ، ونهب خيراتها وثرواتها فيما يسمى الشركات المختلطة** ــ وهو ما سبق وفضحه خروشيوف أمام المؤتمر العشريين للحزب الشيوعي ــ **كل ذلك توسع مشروع وليس استعماريا لان فاعله دولة شيوعية وليس دولة راسمالية . واسمه الرسمي في القاموس الشيوعي هو الصداقة الاخوية ! !**

المساواة ؟

ومثال ثالث : كلمة المساواة . فالشيوعيون في البلدان غير الشيوعية يكثرون من الحديث عنها ويطالبون بها ، ويستثيرون عند أبسط العوام الطموح العاجز ، اي الرغبة في الحصول على دخل أفضل وحياة أفضل دون ان يملكوا القدرة على ذلك . ولكنهم في نفس الوقت يسكتون عن هذه المساواة في مجتمعاتهم حيث امتلك الحزب الشيوعي السلطة .

لنستمع الى لينين في خطاب له بتاريخ ٦ أيار عام ١٩١٩ يقول :

« لقد أصاب « انجلز » الف مرة حين صرح بأن كل طلب للمساواة يتجاوز المناداة بمحو الطبقات هو تحيّز سخيف خارج عن دائرة المعقول . ولقد حاول اساتذة البورجوازية أن يتخذوا من المناقشة في موضوع المساواة، وسيلة للتشنيع علينا بقولهم اننا نريد المساواة بين جميع الناس . ولكن فاتهم ، لجهلهم ، أن الاشتراكيين وعلى وجه التخصيص مؤسسي الاشتراكية العلمية الحديثة ماركس وانجلز **قالوا ان المساواة عبارة جوفاء . والادعاء باننا نريد جعل الناس مساوين بعضهم لبعض اختراع سخيف ابتدعه المثقفون** » .

وقد نقل ستالين هذا القول عن لينين في تقريره الى مؤتمر الحزب السابع عشر عام ١٩٣٤ واستشهد به ، واكد صوابه .

ونحن نستطيع أن نجد في فوارق الاجور بين الاعلى والادنى في الاتحاد السوفياتي نفسه مؤكدا لما ذهب اليه انجلز ولينين وستالين . فهذه الفوارق كثيرا ما تزيد على مثيلتها في المجتمعات الغربية او تبلغ حدودها . فهي مرة عشرة امثال ، وهي مرات عشرون مثلا أو يزيد .

ومع ذلك ، وبالرغم من وضوح هذه الحقيقة ، فالشيوعيون في داخل كل بلد ما عدا البلدان الشيوعية ـ يتحدثون كثيرا عن المساواة موحين للناس البسطاء والسذج ـ بقصد خداعهم وتحريضهم ـ ان ذلك ما تنادي به الشيوعية وتحققه في مجتمعاتها .

هذه الامثلة وسواها كثير ، مجرد أدلة على تناقض ما تستخدم به الشيوعية الكلمات والتعابير وما تطبقها به .

ليس المهم صواب الكلمة ومدلولها العلمي ..
ليس المهم صدقها وصحتها ..

بل المهم ، ابدا ، هو استخدامها فيما يحقق الهدف الاستراتيجي او الاهداف التكتيكية .

كل شيء ممكن وغير ممكن ، حلال حرام، صحيح وغير صحيح، مشروع وغير مشروع ، في وقت واحد .. ليس ذلك شيئا ذا قيمة ما دام يقترب بالشيوعية خطوة بعد خطوة من تحقيق ما تريد .

وما دامت كلمة الرجعية العربية تلعب دورها في التهييج والتحريض ونشر الافك ، فلتستخدم بغير حرج ، ولتنطلق كالرصاص في كل اتجاه . فليس صوابها هو الاصل ، بل استخدامها سلاحا ضد الخصوم ، وما دامت الشيوعية تملك كل هذا القدر من النشاط والحركة ، فلا بد ان يجيء يوم يستقر فيه للكلمة المعنى الذي تريد .. وحين ذاك تغدو الرجعية سمة عار ينفر منها الكل ، وتسقط الانظمة القائمة نظاما بعد نظام في يد موسكو : مركز التوجيه والقيادة والامر .

بين حلين :
الحل الغربي لقضية فلسطين
والحل السوفياتي لها ..؟

مما تقدم معنا يتضح لنا في الموقف السوفياتي بصورة خاصة ، والشيوعي بصورة عامة أنه أيد ويؤيد قيام اسرائيل وبقاءها ، وأن حل القضية الفلسطينية عنده هو في الاعتراف العربي باسرائيل — وليس في اعادتها الى عروبتها — ثم في الصلح ، ثم في التعايش السلمي أي تبادل أسباب الحياة والمنافع .

ولقد ردد الاتحاد السوفياتي هذا الحل أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة . وليس يجهل حاكم عربي ذلك لان الاتحاد السوفياتي لم يأل جهدا في توضيحه وتحديده بالقول والفعل . ومن هذه الزاوية يمكن أن نعتبر الاتحاد السوفياتي صادقا في القول انه لم يعد العرب بأكثر من مساعدتهم على رد عدوان اسرائيل ، وقد رأينا في عدوان عام ١٩٥٦ وعدوان ١٩٦٧ حدود هذه المساعدة وأشكالها ، ونماذج منها !!

وقد اكدت صحيفة « كول هاعام » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الاسرائيلي كل ذلك في مقال لها — حزيران ١٩٦٥ — قالت :

قد لا يعرف الكثيرون بان الاتحاد السوفياتي لم يترك فرصة تمر الا واكد فيها لاصدقائه من النظم والحركات الاشتراكية العربية ، أن التعايش

السلمي بين العرب واسرائيل جزء هام مـن سياسة الاتحاد السوفياتي ، وان تزويد موسكو للاشتراكيين العرب بالسلاح مقيد بهذا الاعتبار السياسي ، أي انه ليس موجها ضد اسرائيل !

على ان في الموقف السوفياتي من قضية فلسطين ـ اذا تجاوزنا وضوحه الصادق في هذا الجانب ـ **غموضا مستغلا** في جانب آخر يتعامى عنه الحكام العرب وذوو الفكر والمسؤولون عن توجيه الرأي العام وقيادته . وهو غموض يجهد دعاة السوفيات ليبنوا على أساسه نفوذهم وهيمنتهم تمهيدا لما هو اكثر!

ففي الوقت الذي يعرف فيه الحكام العرب والمسؤولون وقادة الاحزاب والراي ـ من خلال المحادثات والمناقشات والاتصالات المستمرة مـع قـادة الاتحاد السوفياتي ومنذ عهد ستالين الى عهد مالنكوف الـى عهد بولغانين وخروتشوف الى كوسيفين وبريجينيف والبقية ـ **أن حدود سياسة الاتحاد السوفياتي من القضية فلسطين تقف عنـد استنكار العـدوان الإسرائيلي والمساعدة السياسية على صده ورده ـ بعد ان يقع ! ـ ودون أن يتجاوز هذا ايها حدود اسرائيل ، أي جوهر القضية .. في الوقت الـذي يعرف فيه الكل ذلك بوضوح ، يتعامون جميعا أيضا ! عن رؤيـة او دفع الجهـود المبذولة من موسكو والشيوعيين لاستغلال القضية الفلسطينية بغيـة جر العرب الى المزيد من الانحياز وراء موسكو وتسليمها مقاليد أمـور المنطقة ومصائر ناسها .**

وفي **خلال ذلك يتم ـ وعلى يـد الشيوعيين وحدهم ! ـ** ترويض **العقل العربي على قبول مبدأ قيام اسرائيل وتحويله من الرفض الى التسليم بالامـر الواقع ثم خطوة أخرى نحو الإعتراف ثـم ثالثة نحو الصلح ، ثـم .. ثـم التعايش السلمي !**

في هذا الجانب من السياسة السوفياتية مـن قضية فلسطين يستطيع المراقب السياسي أن يلمس بوضوح **غموضها المقصود ونفاقها الذي لا حدَّ له** .. كما يستطيع أن يلمس بوضوح أكثـر غفلـة العقـل العربـي وجموده واستسلامه ، وربما بلهه الذي لا حد له !

فالسياسة السوفياتية تقرّ ببقاء اسرائيل وتعمل بكل ما في وسعهـــا لحماية هذا البقاء اي انها تقف في هذا الجانب على النقيض منا . في الموقف المضاد وفي الطرف الآخر .

ولكنها تحقق اقترابها من المشاعر العربية ، لانها ـ ودون أن تمس قدس الاقداس ، كيان اسرائيل ـ تتحدث دوما عن العدوان وتقرنه بالامبريالية : اي استعمار الرأسمالية في أعلى مراحلها !

ما الذي يعنيه ذلك ؟

ان السياسة السوفياتية تحاول هنا أن تحكِمَ ربـط قضية فلسطين بالاستعمار والغرب ، لتفتح ثغرة ممكنة في المنطقة تنفذ من خلالها .

ليس المهم طبعا صحة ذلك . بـل المهم أن يستطيع الاتحاد السوفياتي تحقيق حلمه القيصري : حلم الاقتراب من المياه الدافئة ، حيث يلعب بامتلاكه موطيء قدم في الشرق الاوسط دورا أكبر في توجيه وحكم العالم .

وتتضح لنا هذه الخطة حين تتحدث الشيوعية ، أصلا وفروعا عن حلها المقترح لمشكلة فلسطين . فالحل عندها هــو فـــي مقاومة الاستعمار وفي مكافحته وفي التصدي له . والاستعمار كل لا يتجزأ ، وهـــو الذي أوجـد اسرائيل ويمدها بأسباب البقاء والحياة (١) . واذن ، فحـل مشكلة فلسطين مرهون بزوال الاستعمار ، أي بزوال الرأسمالية وسيادة الاشتراكية .

ان هذا الموقف يستتبع بالحتم موقفين يتفرعان عنه :

أولا ـ استبعاد حل سريع ممكن لقضية فلسطين ، فما دام الاستعمـار هو الذي اقامها ، وما دام الاستعمار موجـــودا ، ومـــا دام الاستعمار يعني

---

١ ـ هنا تنسى الشيوعية دورها الاساسي في قيام اسرائيل وتذكر دور الغرب وحده . لأن الحديث عن فلسطين يستهدف اغراضا أخرى .

الراسمالية فقط ، وما دام الغرب راسماليا وأمريكا قاعدة الراسمالية ، فــلا حل لمشكلة فلسطين الا بزوال الاستعمار ، اي بـزوال الراسماليـة اي بزوال الغرب وأمريكا . ولينتظر العرب ذلك قرونا ولـــن يتحقق ، لان ذلـك مجرد افتراض شيوعي . مجرد حلم .

ثانيا ــ وخلال فترة الانتظار الطويلة هذه ، ولان الاستعمار هــو العدو الاساسي ولانه قوة عالمية ، فان على العرب أن يحاربوا الاستعمار ويعملوا على تقويض صروحه . وبالتالي عليهم ان ينحازوا الى القوة العالمية المقابلة المتصدية للاستعمار : قوة الشعوب أي الشعوب الاشتراكية، أي الاتحاد السوفياتي !.. ثم لينتظروا أيضا ومن جديد الحل المقترح لقضية فلسطين .

وعلى افتراض صحة ذلك وامكان تحقيقه ، فما هو الحل ؟

الحل .؟ الحل ؟

هنا تسكت الشيوعية علنا وتترك الحل والحديث عنه لمـــا بعد سقوط الاستعمار . ولكنها تهمس سرا : **ان الحل هو في اخاء العالم . فالاستعمار هو الذي يولد الكراهية والاحقـــاد والبغضاء والخصومات . الاستعمار كالبرد ــ تقول العامة ــ سبب كل مرض ! الشعوب كلهـا اخـوة . والاشتراكية هي الدين الموحد لها جميعا. وسقوط الاستعمار سيستتبع سقوط حكم اسرائيل الموالي له ، واقيام حكم تقدمي يلتقي مع الحكم العربي التقدمي أيضا في رحاب الاشتراكية الجامعة وتحت علمها المظلل لكل الناس . حيـــن ذاك لا تبقـــى مشكلة . تبقى اسرائيل ذلك شيء آخر . المهم هـــو أن تزول عوامل الخلاف معها بزوال المشاعر القومية والدينية وعناصر التحريض الخارجية الممثلة في الاستعمار وشركات البترول ... الخ .**

اي بأوضح : يصبح الكل تحت النفوذ السوفياتي وفي القمة منـه تحكم الشيوعية ، اليهودية الجوهر !

فالحل السوفياتي هنـــا ذو شقين : زوال الاستعمار وانهيـار نظامه ، وسيادة الاشتراكية ، وزوال المشاعر القومية والدينية ، أي القومية والدين ،

وقيام حكم تقدمي اي اشتراكي اي شيوعي ، ثم تنتهي المشكلة . اي يوجد الحل طبيعيا وتلقائيا ويسود السلام بغير حرب .

في هذا الجانب من القضية الفلسطينية يستغل الاتحاد السوفياتي مشاعر العرب استغلالا منافقا ، فهو يوجهها نحو الغرب وضده ، ويربط الفكر العربي الى الفكر الاشتراكي ربطا محكما ، ثم هو في الجوهر لا يقدم لها حلا سوى الحل الغربي ذاته . أي الاعتراف فالصلح فالتعايش .

على انه تبقى فروق بين الموقفين الغربي والسوفياتي ونقطة خلاف اساسية في المشكلة .

ففي الوقت الذي يعمل فيه الغرب على تحقيق السلام في المنطقة بفرض الاعتراف والصلح والتعايش ، يخطو الاتحاد السوفياتي خطوة ابعد فيعمل على تشييع المنطقة وافتراسها بلا جهد أو بأقل الجهد .

الغرب يريد أن تبقى اسرائيل ، وينتهي الامر .

اما موسكو ، فتريد بقاء اسرائيل ، وأن يصير العرب شيوعيين . أي انها تريد فلسطين لاسرائيل والبلاد العربية للشيوعية .

بأوضح : مع الغرب نبقى بدون فلسطين ، ومع موسكو نذهب مع فلسطين !

على أن الغرب في اصراره على موقفه يبدو فريسة النشاط الصهيوني والمحاولة الدائبة لاستغلال المسألة اليهودية أولا وتشويه حقائق الحياة العربية واتجاهاتها ثانيا . فالغرب يعتقد ان اليهود ظلموا تاريخيا بما يكفي للبحث جديا عن حل لمشكلتهم ، وهو في هذا محق . ولكن الانحراف يبدأ مذ يبدأ البحث عن حل لمشكلة اليهود في فلسطين بالذات وعلى حساب شعب آخر . **أي ان الغرب يحل المشكلة بمشكلة . يرفع ظلما ليضع ظلما آخر . يعطي هذا من ذاك دون أن ينظر الى وجه الخطأ والصواب فيما يعطي ويأخذ .**

وقد ثبت لنا من عرض مراحل تطور القضية الفلسطينية ـ ويستطيع

من شأنه أن يعيد النظر فيها ، ويلتمس وثائقها ونصوصها في مقررات الامم المتحدة وضبوط جلساتها ومحاضرها ــ ثبت لنا أن الغرب قد تحول أكثر من مرة عن موقف التأييد للصهيونية الى جانب العرب، ولم يكن كما نحسب ونظن مجرد اداة في يدها ولا العوبة . **بل أن الصورة التي تعطينا اياها الوثائق عن الغرب ، هي صورة الباحث عن حل لمشكلة موجودة دون أن يدقق بجدية في عناصر الحل المقترح** ربما لان الصهيونية أحسنت النشاط والعمل . وحين كان العقل العربي يحسن طرح المشكلة والمواجهة فيها كان يحدث التحول في موقف الغرب .

لنأخذ على ذلك مثلا الموقف الامريكي :

ففي الوقت الذي كان فيه مجلس الامن يبحث القضية الفلسطينية عام ١٩٤٨ ، بعد أن كانت الجمعية العامة قد أقرت التقسيم وهو المشروع السوفياتي ــ الاميركي المشترك ، تراجعت السياسة الامريكية عن موقفها ذاك ، وعادت الى فكرة الاحتفاظ بوحدة فلسطين واقترحت لها الوصاية الدولية الموقتة ، وكان ذلك حل أفضل للعرب لو قبلوا به .

وقد عارض الاتحاد السوفياتي ومندوب الوكالة اليهودية الموقف الامريكي الجديد واتهماه بانه جاء لمصلحة العرب ، ولارضاء لرجال البترول وشركاته . وظلت السياسة الامريكية على موقفها هذا ، حتى قامت اسرائيل وعجز العرب عن أن يمنعوا قيامها بما تدفق عليها من مقاتلي أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي والسلاح التشيكي ، فاعترفت بها اعتراف الامر الواقع لا الاعتراف القانوني الكامل وهو ما فعلته موسكو وانفردت به من دون الغرب فكان اعترافها بذلك الاعتراف الاول ، كما كان اقتراح التقسيم منها الاقتراح الاول !

حتى السياسة الانكليزية ، وهي المسئولة اصلا عن مشكلة فلسطين ومضاعفاتها ، تراجعت في بعض مراحل عرض القضية امام الامم المتحدة واتخذت مواقف محايدة أو أقرب الى العرب .

ولقد أدركت الصهيونية بوضوح اهمية الغرب في مستقبل القضية الفلسطينية فعملت ــ وما تزال تعمل ــ على الايقاع بين العرب والغرب ايقاعا

لا وجهة بعده وهو ما سبق وفصّلنا القول فيه في المقدمة وفي بحث الحركة الصهيونية وتاريخها . **فالصهيونية تدرك بثاقب نظرها ان حلول المشاكل العالمية هي في يد الغرب اكثر منها بيد الشرق ، وان مفتاح القضية فلسطين بالذات هو في يد الغرب . وقد عملت على كسبه منذ مطلع هذا القرن ، وانشات لقياداتها بقياداته صداقات وطيدة ، في الوقت الذي ظل فيه العرب معزولين عن الغرب تحكم علاقاتهم به عقد الماضي ومخاوفه غير مدركين أن طبيعة التطور الانساني قد ازالت معظم اسباب هذه المخاوف وكان يجب أن تكون صلاتنا به ــ بالغرب ــ اكثر انفتاحا واعمق واوضح .**

ويجب أن نضيف الى فوارق الموقف الاساسية بين الجانبين نقطة اخرى وهي أن الغرب الرسمي في تأييده للصهيونية كثيرا ما يجد أصواتا من داخله ترتفع بالمعارضة والشجب ولها نشاطها واثرها ، ويقف الى جانب العرب منه أصدقاء وعناصر تؤمن مصلحيا او مبدئيا بتوثيق الروابط بين بلادها وبين العرب . وقد شهدنا التحول اكثر من مرة في تاريخ الغرب في موقفه من العرب وضد اسرائيل . **مثال ذلك الابرز موقف امريكا عام ١٩٥٦ من العدوان على مصر . فلهذا الموقف اولا وقبل كل شيء يعود الفضل في ايقاف العدوان ثم في ازالة اثاره ، على حد التعبير الشائع .**

ولكن صوتا واحدا لم نسمع أنه ارتفع من داخل الاتحاد السوفياتي يستنكر موقف موسكو الى جانب اسرائيل يوم أيدتها في الامم المتحدة ثم يوم وقفت تناصر كيانها وهي تتظاهر بتأييد العرب في عدواني ١٩٥٦ ــ ١٩٦٧ .

بل ارتفعت من موسكو اصوات تستنكر حتى ظواهر التأييد الشيوعي للعرب ، وتنادي بالمزيد من تأييد اسرائيل والارتباط بها .

ويجب ان لا ننسى هنا ان موسكو تنظر الى اسرائيل كدولة اشتراكية سبقت في تجربتها الاشتراكيات الاخرى ، ليس في البلاد العربية : مصر وسورية والجزائر فحسب ، بل هي سبقت في تجربتها بلدان أوروبا الشرقية تلك التي خضعت للتجربة الاشتراكية على يد الجيش الاحمر ونسخت تجربة الاتحاد السوفياتي نسخا فريدا ، ثم كان ما حققته منها أقل بكثير مما حققت اسرائيل .

يتضح لنا من هذا العرض أن الحل السوفياتي لمشكلة فلسطين هو ذاته الحل الغربي : الاعتراف فالصلح فالتعايش . ويزيد الاتحاد السوفياتي على الغرب طلبه السيطرة على العالم العربي والعمل بالتدريج على تحويله الى الشيوعية . فالحل الشيوعي اذن هو : نهاية فلسطين زائد نهاية العالم العربي . أي بقاء اسرائيل وتحول العالم العربي الى الشيوعية حيث ظلها الوارف يجمع في فيئه العرب واليهود معا : اخوة ، ولكن بشرط نسيان فلسطين ، وتراثهم التاريخي ، وطابعهم القومي !

فهل هنالك ما هو أفضل من هذا الحل ؟

أوليست صداقة الاتحاد السوفياتي اذن ، مما يعض عليه العرب بالنواجز طلبا وحرصا ؟!!

لوحة ..
لبعض القيادات اليهودية العليا في الحركة الشيوعية ..!

نقدم الى القارىء فيما يلي مجرد لوحة بسيطة لبعض العناصر القيادية اليهودية في الحركة الشيوعية . ولم نعدد جميع هذه العناصر لان الاحصاء لها بلغ معنا خلاة فترة قصيرة ــ سنتين ــ ستة آلاف يهودي كان لهم أكبر الاثر في تاريخ الحركة الشيوعية: فكريا وتطبيقيا. واللوحة مجرد نموذج متواضع.

كارل ماركس . ١٨١٨ ــ ١٨٨٣
حفيد الحاخام مردخاي ماركس ، تنصر أبوه بعد ولادته وظل يهوديا ! صاحب النظرية المعروفة باسمه ومؤسس الفكر الشيوعي . الماني .

لينين . ١٨٧٠ ــ ١٩٢٤
قائد الثورة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي عام ١٩١٧ . يضاف اسمه عادة الى الماركسية فيقال : الماركسية ــ اللينينية للاشارة الى الفكر والتنظيم معا . اسمه اليهودي : زيد ربلوم .

كروبسكايا .
زوجة لينين . شغلت أمانة سر لجنة تحرير الايسكرا أول صحيفة شيوعية . واعانت زوجها حتى وفاته .

تروتسكي : ١٨٧٧ ــ ١٩٤٠
رئيس سوفيات « بطرسبرغ » عام ١٩٠٥ واحد

المحرضين على الثورة التي أخمدت . أسهم في ثورة ١٩١٧ . كان مفوضا للشعب . نظم الجيش السوفياتي ، ثم نفاه ستالين بعد وفاة لينين فغادر روسيا الى المكسيك . وفيها اغتاله ستالين . يعتبر كتابه « الثورة الدائمة » احد مصادر الفكر الشيوعي ، ويعتنق مذهبه اليوم الصينيون !! اسمه الاصلي برونشتاين . عاش فترة من حياته في نيويورك .

بارفوس . رئيس سوفيات « بطرسبرغ » ــ لينينغراد ــ بعد تروتسكي . أسهم في ثورة ١٩٠٥ .

مارتوف ــ تسيدر باوم عضو تحرير صحيفة « ايسكرا » الصحيفة الشيوعية الاولى . قاد الانشقاق ضد لينين وسمي أنصاره المنشفيك .

اكسلرود . عضو تحرير صحيفة « ايسكرا » أيضا . ومن القادة الاوائل للحركة مع بليخانوف في جنيف .

زاسوليتش . عضو تحرير صحيفة « ايسكرا » .

روزا لوكسمبورغ قادت ثورة شيوعية في المانيا بعد الثورة الشيوعية الاولى في روسيا ولكنها أخمدت واعدمت . اسهمت في جميع النشاط الشيوعي الذي سبق ثورة روسيا وكانت مع اعضاء حزبها شريكته في التخطيط للحركات الثورية في أوربا .

زينوفييف . كان يعرف مع لينين وكامينيف بالثلاثي . وهو صديق لينين الشخصي واحد أبرز العناصر الشيوعية . عارض ستالين فصفاه مع من صفى !! ترأس الاممية الشيوعية عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٢٦ .

ليبر ــ غولدمان . من رواد الحركة الاوائل . اسهم في مؤتمر لندن عام ١٩٠٧ وكان أحد العناصر الفعالة والنشيطة في العمل الشيوعي .

دان ــ غورفنتش . من « الايسكريين » أي الـرواد الاول للحركــة . أسهم في مؤتمر لندن عام ١٩٠٧ أيضا وكان مؤيدا للينين ثم عارضه وانضم الى مارتوف .

كامينيف . رفيق لينين وثالث الثلاثي . عارض ستالين ايضا بعد وفاة لينين فصفاه واتهمه بالانحراف .

لتفينوف . واسمه ماير والاش . وزيـر خارجية روسيا بين ١٩٣٠ ــ ١٩٣٩ أسهم في سرقة بنك تفليس التي نظمها ستالين قبل الثورة للحصول علــى المـال وتمويل الحركة الشيوعية .

سفر دلوف أحد قادة ثورة تشرين في روسيا . ومن العناصر البارزة في اللجنـــة المركزية للحـزب الشيوعي السوفياتي . وثاني رئيس للجمهورية السوفياتية بعد الثورة ، ورئيس لجنة الدستور .

مورد كاي بوغروف . اشتراكي ثوري ومحامي . اغتـــال رئيس وزراء روسيا « ستولبين » وأحــد العناصر الاساسية في الحركة الاشتراكية الثورية !

كامينيف . أول رئيس للجمهوريات السوفياتية بعد الثورة .

يوريتزكي . رئيس مفوضية الجمعية التأسيسية التـي قامت في أعقاب الثورة .

يوروفسكي . مفوض الحزب في مدينة ايكاترتبرغ ، وهو الذي أصدر أمر اعدام القيصر وعائلته وخدمه ، وقـام بنفسه بالتنفيذ . ثم أمر باحراق الجثث . وقـد أطلق على المدينة بعد الثورة اسم «سفردلوفسك» تكريما لسفردلوف ثانــي رئيـس للجمهوريـة السوفياتية . وهو يهودي كما تقدم معنا !

مارتينوف ــ بيكل . عضو مجلس تحرير صوت الاشتراكي الديموقراطي ومن القادة المفكرين للحلقات الماركسية الاولى .

ابراموفيتش . زعيم الاتحاد اليهودي الاشتراكي . حضر مؤتمر الحزب الخامس في لندن وأسهم فيه .

رادك . صاغ نداء مؤتمر باكو الى المسلمين وشعوب الشرق وأشرف على اعداده . قاد الحزب الشيوعي الالماني موفدا من الاممية الشيوعية بعد اعدام روزا لوكسمبورغ . عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بعد وفاة لينين .

وارون ايزفوفتش كرمر عضو اللجنة المركزية للمؤتمر الاول للحزب الذي وحد المنظمات الماركسية في روسيا القيصرية . وكان يمثل في اللجنة الثلاثية الاتحاد الاشتراكي الديموقراطي اليهودي .

ديمنتشاين . اسمه : سيمين ماركوفتش . عمل رئيسا للفرع اليهودي في الحزب الشيوعي . عمل مساعدا لستالين في شئون القوميات .

روزن . رئيس الدائرة الشرقية في جامعة سانت بطرسبرغ . تولى صياغة التوجيه البلشفي نظريا من الاسلام والشعوب الشرقية .

كورش . استاذ الحضارات الشرقية في معهد « لازاروف » في موسكو في أعقاب الثورة .

ميخائيل بافولوفيتش ـ لازار فانتمان ـ رئيس جمعية الدراسات الشرقية. ورئيس تحرير مجلة الشرق الجديد بعد الثورة .

روزشتاين . المشرف على جميع الشؤون الشرقية وما يتصل بالعلاقات الروسية ـ الاسلامية في الدولة الشيوعية بعد الثورة وقد أشرف على تأليف أول حزب شيوعي في فلسطين عام ١٩١٩ وكان حزبا يهودي القيادة ، والى العناصر اليهودية في هذا الحزب أوكل امر انشاء الاحزاب الشيوعية في المنطقة العربية .

شميدت . نائب رئيس تحرير دائرة المعارف السوفياتية الكبرى وكان مسئولا عن كل ما يتصل بالعرب والمسلمين .

لوناشارسكي . شغل منصب مدير التوعية الثقافية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي .

بارتولد . متخصص في الشؤون الاسلامية . وهو صاحب شعار : الاسلام دين الاشتراكية . كانت مهمته تفسير الاسلام والتاريخ العربي تفسيرا اشتراكيا .

بيلاكون . قام بثورة في المجر وتسلم الحكم فيها في أعقاب الثورة الشيوعية ثم ما لبثت الثورة أن سقطت وهرب الى روسيا . اشترك في الثورة الشيوعية مع لينين . أسهم في صياغة نداء مؤتمر باكو الى شعوب المسلمين في روسيا والشرق !

روزمار . مثل فرنسا في مؤتمر باكو واشترك في صياغة ندائه !

ريد . مثل أمريكا في مؤتمر باكو . وأسهم في صياغة النداء الى المسلمين .

شتاين هارد . مثل النمسا في مؤتمر باكو . ووقع النداء !

جانسين . مثل هولندا في مؤتمر باكو . ووقع النداء !

شابلين . مثل البلقان في المؤتمر . ووقع النداء !

روث فيشر . تولت قيادة الحزب الشيوعي الالماني موفدة من الاممية الشيوعية عام ١٩٢٤ وقد خلفت رادك الذي خلف روزا لوكسمبورغ بعد اعدامها !

كارل لايبنخت . شريك روزا لوكسمبورغ في قيادة الثورة الشيوعية في المانيا عام ١٩١٨ . أعدم معها بعد اخفاق الثورة .

لازار كاغانوفيتش .	أحد رؤساء جمهوريات الاتحاد السوفياتي. تزوج ستالين أخته ، وابنة ستالين سفيتلانا ابنه . وأسرة كاغانوفيتش أسرة يهودية عريقة النفوذ في المجتمع الروسي قبل الثورة وبعدها .
أنا باوكر .	سكرتيرة الحزب الشيوعي العامة في رومانيا بعد الحرب الثانية والحاكمة المطلقة فيها . هاجر أخوها وأبوها الى اسرائيل وهما يقيمان فيها الى اليوم .
ماتياس راكوزي . **ايرونو جيرو .** **زولطان فاس .**	حكام المجر الثلاثة بعد الحرب الثانية ـ عام ١٩٤٥ ـ وقد عين الجيش الاحمر راكوزي ديكتاتورا على المجر ، ويليه جيرو ثم فاس في المناصب المسؤولة في الدولة .
مينك . **سكريبز فسكي .** **برمان .**	حكام بولونيا بعد الحرب . والاخير كان معتمد الاتحاد السوفياتي لقيادة بولونيا من وراء الستار .
موسى بيجاده .	قائد شيوعي تولى تدريس تيتو وتهيئته !
سلانسكي .	ديكتاتور تشيكوسلوفاكيا السابق . عينه الشيوعيون في السلطة ثم شملته حركة تطهير كبرى على يد عناصر يهودية أيضا .
ايسلر .	زعيم الحزب الشيوعي الامريكي بين اعوام ١٩٣٥ ـ ١٩٤٧ . أدينت أخته باحدى تهم التجسس في أمريكا لحساب الشيوعية .
ج. بينترز .	اسمه الحقيقي غولد برغر . مساعد ايسلر في قيادة الحزب الشيوعي الامريكي .
جون غايتس . **غلبرت غرين .** **غس هول .** **جيكوب ستاشل .** **ايرننغ بوتاش .** **كارل ونتر .**	أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي الامريكي وجميعهم من اليهود !!

اسرائيل امتر .
ماريان مكسويل ابت
الكسندر بتلمان .
ايزيدور بيغون .
جورج ب. تشارني .
اليزابت غرلي فلين .
بتي غانيت .
سايمون غرسون .
فيكتوري جيريمي جيروم.
جاكوب مندل .
لويس فاينشتوك .
وليام فون ماينشتون .
فريد فاين .
ويليام نورمان مارون .
سدني شتاينبرغ .

أعضاء المكتب السياسي الثاني للحزب الشيوعي الامريكي . تولوا قيادة الحزب بعد اعتقال قادة الصف الاول .

يعقوب كوجمان . يهودي عراقي ومن مؤسسي الحزب الشيوعي في العراق وقيادته !

اميل .
أوسكا .
مولر .

ثلاثة شيوعيين يهود حملوا الاموال والتوجيهات الاجنبية للحزب الشيوعي السوري اللبناني . وقد وردت اسماؤهم في اعترافات رفيق رضا القائد الشيوعي القديم . وجميعهم من موفدي الكومنترن !

نخمان ليفنسكي . شيوعي يهودي من فلسطين . شهد مؤتمرات الحزب الشيوعي اللبناني السوري ونصح بتشديد الحملة على الاحزاب والقيادات الوطنية واتهامها بالانتهازية !!

برنمو . يهودي شيوعي من فلسطين . كان مستشارا لقيادة الحزب الشيوعي السوري ــ اللبناني .

هلل شفارتس .	مؤسس منظمة الايسكرا في مصر . وقد انضمت هذه فيما بعد الى منظمة كوريل وغدا اسمهما المشترك « حداتو » .
جاك تيبر ـ شامي .	رئيس الحزب الشيوعي في سورية ولبنان . يهودي روسي الاصل من فلسطين. شغل منصب سكرتير عام الحزب منذ عام ١٩٢٥ حتى نهاية عام ١٩٢٦ . وهو الذي رشح بكداش لقيادة الحزب الشيوعي السوري اللبناني بعده !!
افجيدور .	يهودي روسي ، انتدبه الكومنترن لتأسيس الحلقات الماركسية الاولى في مصر .
ابو زيام . **برغر .**	شاركا تيبر في توجيه الاحزاب الشيوعية في سورية ولبنان وفلسطين . والاول يعتبر من أبرز خبراء الكومنترن في شؤون الشرق العربي وقد تزعم الحزب الشيوعي في فلسطين بين ١٩٢٤ — ١٩٢٩ .
كوريل .	يهودي مصري ايطالي الاصل . مليونير . اسس الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني في مصر ، وهي حركة شيوعية انضم اليها لفترة من الزمن بعض عناصر القيادة الحاكمة في مصر اليوم !!
ناداب .	يهودي روسي . انتدبه الكومنترن لتأسيس الحلقات الماركسية الاولى في مصر .
صديق يهودا .	يهودي عراقي ومن مؤسسي الحزب الشيوعي في العراق .
ساسون دلال .	يهودي عراقي . اسس الحزب الشيوعي وتولى مناصب قيادية فيه .
مرسيل اسرائيل .	مؤسس منظمة الشعب الماركسية في مصر .

بعض مراجع الكتاب

تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي .

منشورات دار الفارابي . موجز وضعته هيئة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي وصادقت عليه اللجنة المركزية .

تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي .

جون ريشتار جونيور .

الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط .

ولتر لاكور .

الدولة والثورة .

لينين .

الامميات الثلاث .

باخ . غالكين . بونوماريف .

عن المؤسسة السوفياتية الكبرى .

قاموس الشيوعية .

كارلو هنت .

الدبلوماسية الصهيونية .

الدكتور فايز صايغ .

تاريخ الحركة الصهيونية .

الدكتور الن تايلر .

بروتوكولات حكماء صهيون .

آثرت الحرية .

كرافتشنكو .

موسكو واسرائيل .

الدكتور عمر حليق .

اليهودي العالمي .

فورد .

صفحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوري .

محمد علي الزرقا . الياس مرقص .

الصهيونية والشيوعية .

نظرة في احزاب اسرائيل .

الدكتور اسعد رزوق .

المباي ، الحزب الحاكم في اسرائيل .

ابراهيم العابد .

تاريخ الاحزاب الشيوعية .

الياس مرقص .

مذكرات ايدن .

أنتوني ايدن . رئيس وزراء بريطانيا السابق .

الدولة اليهودية

هرتزل .

روما والقدس .

موشيه هيس .

المسالة اليهودية .

كارل ماركس .

البيان الشيوعي .

ماركس ــ انغلز .

رسائل ماركس الى اورباخ .

ماركس .

مذكرات وايزمن .

حاييم وايزمن .

الصهيونية الامريكية . وسياسة امريكا الخارجية .

ريتشار ستيفنس .

الشيوعية المحلية .

الحكم دروزة .

السياسة الدولية في الشرق العربي .

اميل خوري ــ عادل اسماعيل .

تاريخ مصر القومي .

عبد الرحمن الرافعي .

الماركسية .

ستالين .

الثورة الدائمة .

تروتسكي .

خروشوف وشبح ستالين .

برترام وولف .

الطبقة والامة .

غليز رمين .

مجلة فرانسا القديمة .

مجلدات ١٩١٨ ـ ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ .

مجموعة صحيفة ((صوت الشعب)) .

صحيفة الحزب الشيوعي السوري اللبناني السرية .

منشورات ومقررات الحزب الشيوعي السوري اللبناني .

ما بين أعوام : ١٩٣٦ ـ ١٩٥٦ ـ ١٩٥٨ ـ ١٩٦٧ .

جريدة القاعدة ـ الحزب الشيوعي العراقي ..

وثائق الامم المتحدة ـ النصوص الرسمية ،

لجلسات الجمعية العامة ومجلس الامن واللجنة السياسية المؤقتة واللجان الفرعية . أعوام ١٩٤٧ نيسان حتى آذار ١٩٤٩ . وتقع هذه الوثائق والنصوص في أكثر من ١٠٠٠٠ صفحة .

budgets de l'Armée et de la Marine. Voyez le cours du change pour traduire en francs. Les Etats-Unis veulent être et seront la première puissance militaire du monde. Il faut être canaille comme Wilson ou stupide comme l'humanitaire démagogue, pour prétendre qu'un peuple ambitieux, énergique, surexcité, fera dix à douze milliards de dépenses militaires par an sans vouloir en tirer profit.

LES ASSASSINS DU TSAR désignés par leurs noms en 1917.

Le général anglais Knox envoyait le 5 février **1919**, d'Omsk (Sibérie), une dépêche détaillée sur le massacre de la famille impériale de Russie. On y trouve ce passage :

> Quant au meurtre de la Famille impériale à Ekâterinburg, il est établi qu'il y avait dans le Soviet local deux partis, l'un qui voulait sauver la Famille impériale, et l'autre, mené par cinq Juifs dont deux étaient *résolus à l'assassinat*. Ces deux Juifs, nommés *Vainen* et *Safarof*, accompagnaient Lénine dans son voyage à travers l'Allemagne.

Dans le n° **141** de la *Vieille-France* (2 oct. 1919) nous avons conté les aventures singulières du capitaine H. S. Spencer, des Royal Irish Fusiliers, attaché à la mission anglaise de l'Adriatique.

Cet officier avait adressé le 22 mai **1917**, au War Office, un rapport sur les renseignements par lui recueillis à Rome. On y lisait ceci :

> Des Juifs d'Allemagne réunis à Copenhague ont décidé d'envoyer Lénine en Russie et d'y provoquer une Révolution qui devancerait la Révolution des Russes. *Par une politique d'extermination*, les Juifs se rendraient seuls maîtres de la Russie. Pour accompagner Lénine d'Allemagne étaient désignés *Vainen* et *Safarof*, deux Juifs fanatiques, sur lesquels on pouvait compter pour organiser *une totale extermination* de tous les éléments que leur richesse ou leur intelligence rendaient dangereux pour le plan Germano-Juif, etc.

La Déclaration de Syveton

qui devait tuer la Maçonnerie

Par JEAN DRAULT

Des lecteurs nous ont écrit pour déplorer que nous n'ayons pas, la semaine dernière, publié intégralement la déclaration que Syveton aurait lue aux Jurés de la Seine, le 9 décembre 1904, si la Maçonnerie, prudente, ne l'avait fait assassiner la veille du procès.

Ces lecteurs ont flairé l'importance du document au point de vue de l'histoire maçonnique de la Troisième et aussi au point de vue de la culpabilité des loges dans l'assassinat de Syveton, culpabilité niée alors par le traître Jaurès avec trop d'âpreté pour que cet agent prussien n'ait pas été lui-même un Franc-Maçon d'arrière-Loge.

Et puis, le scandale des fiches raconté par Syveton lui même, c'est un morceau digne de figurer dans notre série des Fastes de la Troisième, trop peu connus de la nouvelle génération.

La *Libre Parole* du samedi 10 décembre 1904 a publié cette page lumineuse, précédée des lignes suivantes :

Le document qu'on va lire est le canevas de la déclaration que Gabriel Syveton devait faire hier devant les jurés de la Seine.

Il y travaillait encore au moment où la mort est venue le surprendre.

La déclaration que Syveton devait lire.

Messieurs les Jurés,

« L'acte dont je viens répondre devant vous ne vous paraît déjà plus inexplicable, j'en suis persuadé, après les dépositions que vous venez d'entendre. Je n'en suis pas moins tenu à vous donner en toute sincérité les motifs de ma conduite et à vous rappeler les circonstances dans lesquelles le fait s'est produit.

Maintenant, ils paraissent décidés à se réserver pour l'avenir : à surveiller leurs chances en Chine et dans le Pacifique, à développer leurs industries d'exportation pour occuper les marchés perdus par les Allemands, à s'affirmer comme les chefs de la race jaune en face des deux groupes de la race blanche qui seront constitués après la guerre.

Quand sera-t-il permis aux Français clairvoyants et renseignés d'avertir leur nation, de lui démontrer que chaque peuple vit et lutte pour lui-même, de lui prêcher que la destinée de la France dépend de nous, de nous seuls ?

Socialistes et Socialistes

Ceux d'autrefois :

« La France, en dépit de tout, est toujours la première et la plus avancée des nations, celle qui contient les plus grands ferments d'égalité, et la plus capable de dévouement. Or, désirer qu'une pareille nation ait le dessous dans le grand combat qui va se livrer, c'est désirer que l'humanité recule, que le progrès soit retardé de plusieurs siècles...

Vous ne vous trompez pas; je suis chauvin, très chauvin, et je m'en fais gloire. Ne pas aimer sa patrie, c'est pis que de ne pas aimer sa mère. Pour moi, d'ailleurs, dès mon premier balbutiement, les deux noms n'en ont formé qu'un : la Mère-Patrie. Je supposais que c'était une personne, et c'en était bien une, en effet ! »

BARBÈS, Lettre à George Sand.

Ceux d'aujourd'hui :

« Je ne suis pas patriote, je le dis nettement, parce que la patrie, dont on nous parle constamment, elle n'est en réalité que le fait d'un sentiment. Ce sentiment, je ne l'ai pas, je ne le comprends pas, et vous aurez beau me déclarer qu'il faut être patriote, je répondrai que je n'ai pas le sentiment de la patrie. »

RENAUDEL, directeur de l'*Humanité*, cité à la tribune par P. Pugliesi-Conti (*Officiel*, 20-9 17).

LA CONSCIENCE DES LACHES

A la barre de la 5e Chambre correctionnelle (27-12-17), le F.·. Paul Meunier, député, rédacteur au *Bonnet Rouge* sous Vigo, entre Landau et Goldschild, et à l'Œuvre sous Judas, *42 ans à la mobilisation*, a expliqué que « *sa conscience* » lui interdisait depuis quarante mois d'aller au feu avec ses électeurs!

Les féodaux marchaient au combat à la tête de leurs serfs; les Quinze-Mille radicaux, socialistes et francs-maçons envoient « le peuple souverain » sous la mitraille en se tenant au chaud, dans les tavernes de la rue Royale et dans les « Instituts de beauté » du quartier Vendôme.

Le F.·. Meunier, gaillard costaud, s'en expliquera devant les veuves, les orphelins et les mutilés de sa circonscription. Dans deux cents circonscriptions en France, il faudra que les mêmes comptes soient rendus.

C'est pourquoi les Quinze-Mille prolongent leur mandat. Ils savent ce qui les attend.

Et puis, leur mandat expiré en avril, *sous quel prétexte refuseraient-ils le devoir militaire?* La prolongation du mandat, c'est l'impunité de la désertion.

Les vrais défaitistes, les pires démoralisateurs du peuple et des soldats, sont ces lâches privilégiés qui donnent *le spectacle de la désertion impunie*, cynique, provocante.

Si votre fils ou votre frère avait invoqué « sa conscience » pour ne pas répondre à l'ordre de mobilisation ou pour quitter son poste aux tranchées, *il serait fusillé depuis trois ans!*



Notre N° 55 (27 décembre)

par la chute d'un chiffre, se trouve en partie numéroté 5. Les collectionneurs voudront bien corriger à la main cette fâcheuse coquille.

Et quand vous méditez sur les lambeaux de vérité que nous apercevons ici, quand vous réfléchissez à l'origine et aux péripéties des affaires de trahison, quand vous y trouvez partout les hommes de la Société secrète, ne comprenez-vous pas que *« la peur de la victoire était dans tous les camps de gauche »* ?

En France comme en Russie, les *défaitistes* ne sont pas des égarés ou des traîtres de rencontre. Ils sont les agents d'un plan, les instruments d'une Puissance.

La Curée municipale

Peu de Parisiens imaginent où passent les centaines de millions du budget municipal. Ces sommes énormes sont le butin des conseillers.

Nous les avons vus dépenser, pendant la guerre, des crédits considérables pour acheter des *Femmes nues* en cire, en marbre, en peinture, à des camarades artistes, ou pour se distribuer entre eux des médailles d'or à 5.000 francs pièce.

Quand ils meurent, ils n'ont pas fini de nous détrousser. Ils se font enterrer à nos frais. Nous venons de payer encore (*Bulletin municipal*, 20-12-17, p. 3.449), les obsèques de M. Chazot (1.580 fr. 80), de M. Jacquemin (2.227 fr. 75), de M. Gervais, *sénateur* (2.784 fr. 75), de M. Moine, directeur de l'asile de Nanterre (1.581 fr. 80). Il y en a à tous les prix.

Ce qu'on ignore aussi, c'est que les veuves des conseillers municipaux touchent une rente viagère ! A la veuve du pompier ou de l'agent « victime du devoir », 400 fr. A la veuve du conseiller qui a *volé* 10 500 francs par an dans la caisse municipale et réalisé (Grébeauval, président, *dixit*) un mininum annuel de 80.000 francs en pots de vin, 2.400 francs de rente.

LA DÉCISION DES PUISSANCES

(*San Remo 25 avril 1920*)

Les Juifs en Palestine!

Les Juifs s'excusaient de voler la patrie des autres peuples en alléguant que, depuis le sac de Jérusalem, Israël était sans domicile.

Les Juifs promettaient d'évacuer et de respecter la patrie des autres peuples si la Palestine leur était rendue

L'Angleterre le leur avait fait espérer (*Déclaration Balfour*, 2 *nov.* 1917); les Etats-Unis et la France avaient adhéré au projet.

Les lecteurs de la *Vieille-France*, **seuls** dans notre pays, connaissent les péripéties diplomatiques, les polémiques de la presse juive et des journaux anglais, américains, italiens, les manœuvres du **Gouvernement Juif** à la Conférence de la paix, les rapports des **Délégués Juifs** aux diverses agglomérations de leur peuple, l'organisation rapide de **l'Etat juif** officiel. Tous les journaux de France, vendus à la Banque juive comme ils sont vendus aux Grands Magasins ou à n'importe quelle entreprise, fût-ce contre la France, ont gardé là-dessus un silence complet. La *Vieille-France* a publié les pièces du dossier.

A San Remo, les représentants des puissances ont ratifié définitivement l'engagement britannique du 2 novembre 1917 : la Palestine est livrée aux Juifs.

L'Etat Juif est reconnu.

Les Juifs ont une patrie.

Les fictions de loi Delbrück au moyen desquelles ils se prétendaient citoyens de deux ou trois patries différentes ne sont plus tolérables. *Hors de la Palestine, les Juifs sont des étrangers.*

En Palestine, les Juifs! Hors de France, les Juifs!

pas la Russie qui « socialisera » l'Allemagne, mais l'Allemagne qui « prussianisera » la Russie.

La révolution russe aura été pour l'Allemand l'*ilote ivre*, qui guérit de l'ivrognerie par la nausée.

Nous devons regretter que les ouvriers français égarés dans la faction socialiste n'aient pas aussi sous les yeux la bacchanale maximaliste; ils comprendraient où les mènent leurs mauvais bergers.

LES COUPS DE BOURSE DE 1914

Escobar était de la tribu de Lévi

En rappelant les coups de Bourse exécutés aux mois de mars et juin 1914 par la bande radicale-socialiste — et ces coups de Bourse n'étaient que des épisodes dans la machination conduite *depuis décembre* 1913 par le Juif Rosenberg — nous avons dit (nº **67**) que les complices vendirent 210.000 fr. de rente dans deux maisons de coulisse — et qu'ils ramassèrent quelques millions dans l'opération.

Là-dessus, un Juif s'esclaffe et nous démontre que, étant donnés les cours du moment, la spéculation indiquée par nous ne pouvait pas rapporter, sur 210.000 fr. de rente, plus d'une quarantaine de mille francs.

Nous n'avons jamais écrit que les complices avaient réalisé quelques millions sur 210.000 fr. de rente. Nous avons cité cette vente de 210.000 fr. de rente parce que nous pouvions nommer les coulissiers qui en furent chargés : Lattès (beau-frère de René Renoult), de Castro et Gustave Dreyfus. Le renseignement fut publié alors dans la presse financière, notamment dans *la Journée*. Mais nous ne sommes pas assez simples, quoique *goyim*, pour supposer que les agioteurs mettaient tous leurs œufs dans le même panier, qu'ils risquaient d'attirer l'attention, qu'ils ne dispersaient pas leur manœuvre *dans un grand nombre d'officines* de Bourse!

Voyons, mon vieux Jéroboam, il ne faut pas exagérer la bêtise des Français!

Les membres du tribunal révolutionnaire et des commissions d'enquête ont été, tous, changés plusieurs fois. Plus ils sont importants, plus leur protection est haut cotée, et certains de ces juges nouvelle manière se sont fait remettre jusqu'à cent mille roubles pour signer un ordre d'élargissement.

La commission de ravitaillement a commis des abus tellement ahurissants qu'il fut un moment question de poursuivre ceux de ses membres qui s'en étaient rendus coupables. On y renonça pour éviter des divulgations honteuses. Le pillage sous toutes ses formes est seul organisé. Dans la République de Lénine, chaque citoyen, à condition qu'il soit bolchevik, peut prendre part à la curée. On dévalise les églises, les musées, les magasins d'intendance. On vend l'armement national. A côté d'un soldat qui vous propose une caisse de sucre, un autre vous offre un Rembrandt, un canon de campagne ou une mitrailleuse. *C'est la liquidation générale de la Russie.*

Et les « bolcheviks » de France ou d'ailleurs veulent nous faire croire que ce spectacle séduira les soldats allemands, qu'il les convertira à la révolution, à la république, à la Liberté-comme-en-Russie !

L'Américain que nous citions en commençant, M. William T. Ellis, en juge mieux. Il sait que l'Allemand est un homme d'ordre et de discipline, un travailleur, un patriote, et que l'idée de mettre l'Allemagne dans l'état où il trouve la Russie doit lui faire horreur.

Eût-il des griefs contre l'absolutisme de son kaiser, que le dégoût de l'anarchie russe le rendrait loyaliste.

L'Allemand ne va pas introduire le « bolchevikisme » dans sa patrie ; au contraire, il redoublera d'admiration pour les méthodes prussiennes qui rétabliront l'ordre dans cette immense désordre, qui rallieront toutes les victimes de la démence révolutionnaire, qui mettront en valeur les ressources infinies, gâchées, dédaignées ou même ignorées par le gouvernement socialiste. Ce n'est

La “ grande Société secrète ” et la catastrophe russe

En 1916, alors que la censure obligeait la presse française au mensonge par omission, — souvent plus dangereux que le mensonge direct, — les journaux suisses recueillaient l'écho de l'opinion « libérale » en Russie.

Les « libéraux » de Russie, les partis avancés, exprimaient naturellement les jugements et les vœux qui leur étaient soufflés par la Puissance occulte :

« *Une guerre victorieuse consoliderait le tsarisme. Pour la ruine du pouvoir absolu et pour la revanche des Juifs, il faut que la Russie essuie un désastre.* »

Le correspondant du *Temps* à Petrograd écrivait dans *le Genevois* (nov. 1916) ce qu'il ne lui était pas permis de publier chez nous :

« *La peur de la victoire* (russe) *est dans tous les camps de gauche* (en Russie) ».

A New-York, le *Vorwærts* judéo-allemand, qui paraît en *yiddish* et qui est le plus puissant journal de la ville juive de 1.250.000 habitants, fit campagne avec acharnement contre l'Entente, pour la débâcle russe.

Les renseignements qu'il nous est enfin loisible de puiser dans la presse anglaise nous montrent que la chute de Nicolas II (*fidèle à l'alliance*), l'anarchie russe, la trahison finale, sont l'œuvre des Juifs affublés de faux noms russes qui emplissent les Soviets, peuplent les municipalités, tiennent les journaux en leur pouvoir.

Tout ce qu'a souffert, souffre et souffrira la Russie est donc l'œuvre des Juifs.

Tout ce qui en résulte de désastreux pour les peuples de l'Entente est l'œuvre des Juifs.

Contre le seigneur Ouvrier
il n'y a pas de lois.

Un fonctionnaire de l'*Inscription maritime* nous écrit :

Dans la *Vieille France* n° 165, vous vous étonniez que les cheminots et les postiers eussent *le droit* de faire grève, et vous demandiez pour eux un régime spécial.

Je suppose que vous ne vous faites pas d'illusions ?

Les Inscrits maritimes y sont soumis, au régime spécial, au code spécial. Quel en est l'effet ?

Si un marin embarque en vertu d'un contrat passé avec l'armateur en dehors de l'autoritité maritime et qu'il fasse grève, il peut être condamné à une réparation civile (C. civ. 1142). *Cela ne s'est jamais vu.*

Si le contrat est passé devant l'autorité maritime, le marin qui « met sac à terre » doit être recherché, ramené de force à bord, puni disciplinairement ou correctionnellement (Décret-loi, 24-3-1852 ; loi 15-4-1898). Une circulaire du 29 avril 1893 prévoit même des réquisitions à la gendarmerie départementale.

De plus, pour limiter les grèves d'inscrits qui attentent *aux intérêts généraux du pays*, le Tribunal maritime commercial n'a qu'à faire application de l'art. 65 du décret de 1852 :

Art. 65. Les gens de mer, mécaniciens, chauffeurs et médecins français et étrangers qui, dans un port de France, s'absentent sans permission pendant trois fois vingt-quatre heures de leur navire ou de leur poste, ou laissent partir le navire sans se rendre à bord, sont réputés **déserteurs**, et punis de 15 jours à 6 mois de prison.

Cela ne s'est jamais vu.

Cela ne se verrait pas davantage pour les cheminots et pour les postiers, si les textes répressifs existaient.

En effet, ce qui manque au salut du pays, ce n'est pas des Codes.

C'est une âme droite chez les gouvernés, une volonté patriotique et solide chez les gouvernants.

Et nous sommes en **anarchie**, **démagogie**, **voyoucratie**.

A nous, son Peuple d'élection, Dieu a donné le pouvoir d'expansion, et ce qui semble être notre faiblesse a été notre force. *Nous sommes au seuil de la domination universelle.* Il reste peu à construire sur ces bases.

...Nous devons contraindre les gouvernements *goym* à favori er le plan d'action que nous avons conçu *et qui approche de son but triomphal*, grâce à l opinion publique secrètement organisée par *le royaume secret de la presse*.

Pour hâter l'ébranlement des gouvernements *goym* en Europe, nous ferons sentir à certains d entre eux notre puissance par la terreur, et nous briserons au besoin les résistances par le canon américain, chinois, japonais.

Donc, dès 1897, le destin de la Russie était fixé.

En **1919**, tous les Gouvernements de l'Entente ont eu connaissance de la *Note* établie par le *Secret Service* américain, et remise au Haut-Commissaire de la République française comme à ses collègues :

En février 1916 pour la première fois, on apprit qu'une Révolution se préparait en Russie. On découvrit que les personnes et maisons suivantes étaient engagées dans cette œuvre de destruction :

Jakob Schiff — Kuhn, Loeb et C° — Félix Warburg — Otto Kahn — Mortimoff L. Schiff — Jérome H. Hanauer — Guggenheim — Max Breitung.

Il n'y a donc guère de doute que la Révolution russe, qui éclata en 1917 cette information de 1916, fut fomentée et lancée par des influences nettement juives.

En fait, au mois d'avril 1917, Jakob Schiff déclara *publiquement* que la Révolution russe avait réussi *grâce à son appui financier*.

Au printemps de 1917, Jakob Schiff commença de commanditer Trotsky (Juif Braunstein) pour organiser en Russie la Révolution sociale. Le *Forward*, journal juif bolcheviste de New-York, versa sa contribution.

De Stockholm, le Juif Max Warburg commanditait également Trotsky. A ce *consortium* de Juifs bolchevicks et de Juifs multimillionnaires participaient le syndicat (juif) Westphalien-Rhénan, le Juif Olef Aschberg de la *Nye Banken* (Stockholm) et le Juif Jivolovsky, dont la fille a épousé Trotsky.

En octobre 1917, quand les Soviets établirent leur pouvoir sur le peuple russe, on y remarquait : *Oul. anov*

Les Juifs ont créé le Bolchevisme

Les Gouvernements de l'Entente le savent.

Le Gouvernement de la Nation Juive a machiné et déchaîné la guerre mondiale pour y ramasser des milliards, mais surtout pour disloquer les Etats, ruiner leurs finances, saigner à mort la race blanche, et préparer la Domination universelle du « Peuple élu ».

Le Gouvernement de la Nation Juive a machiné, financé, déchaîné le Bolchevisme pour se venger du peuple russe, mais surtout pour achever l'œuvre infernale de la guerre, pour anéantir les éléments humains et les éléments économiques de résistance que quatre ans de massacre et de destruction avaient laissés subsister.

Nous l'avons répété sans relâche.

Et les Gouvernements de l'Entente savent depuis longtemps ce que nous révélons au public. Ils le savent par les rapports documentés de leurs agents. Ils mentent, ils trompent les peuples, quand ils se prétendent surpris par les événements.

Les Allemands comme les Bolchévicks avaient des complices dans le sein de tous les Gouvernements de l'Entente. Et ils en ont plus que jamais. Les milliards de Berlin comme les milliards pillés dans les châteaux, palais, églises de Russie subventionnent des Albert Thomas et des Malvy dans tous les ministères, dans toutes les hautes administrations de France, d'Angleterre, d'Italie, d'Amérique et des pays neutres.

Dès **1897**, on avait pu lire dans le **Protocole du** Synode Juif

des larmes d'émotion, en écoutant le témoignage officiel de la pureté des jeunes hommes américains. L'orateur et l'auditoire savaient qu'une pareille histoirè était une pure blague, mais ils s'efforçaient pieusemeut d'y croire.

Cet incident comique résume assez bien le travail de la presse américaine tout entière. Ils appellent ça *self-deception.*

Un Congrès Juif permanent aux U. S. A.

En 1917, tous les **Juifs** d'Amérique avaient envoyé des représentants à Philadelphie, pour régler leurs manœuvres à la Conférence de la Paix (*United Jewry of America*).

Un second Congrès de la Juiverie américaine vient de se réunir (juin 1920) dans la même ville, pour recevoir les rapports des délégués de Paris. La plupart des journaux juifs demandaient que ce Congrès d'Israël fût rendu permanent. Le **Juif** Mack, président de l'Assemblée, s'y est opposé; mais les partisans de la permanence se sont constitués sous la présidence de Nathan Strauss, avec l'appui du rabbin Wise (connu de nos lecteurs comme un des maîtres de Woodrow Wilson).

Le Congrès ainsi formé a proclamé sa satisfaction de la décision prise par l'Entente à San Remo pour la restauration de l'Etat Juif; il a nommé une commission pour suivre la Politique mondiale (*Welt Politik*) de la race supérieure.

En Russie, les Socialos!

Au moment même où M. Lloyd George, chef du gouvernement britannique, franchissait « *un fossé plein de sang* » pour tendre sa main fraternelle au bolchewick Krassine, envoyé des soviets, un membre du cabinet Lloyd George, le ministre de la guerre Winston Churchill, publiait son opinion personnelle sur le bolchevisme dans les *Evening News*, et le *Times* mettait au jour un document révélateur, émanant d'un des chefs bolchevicks.

ont une peur bleue de leurs incartades, de leur indiscipline, de leur indiscrétion.

Le spectacle va devenir intéressant. Quand on sait dans quelle sujétion, dans quelle servitude, dans quelle humilité l'homme américain était tenu par la femme non encore citoyenne, on se demande à quelle condition désespérée le pauvre mâle sera réduit désormais par les électrices.

Les Américaines doivent restaurer le Matriarchat, tel qu'il fonctionne dans plusieurs espèces animales et même dans plusieurs tribus de bipèdes sans plumes. Pensez-vous que Semiramis et Catherine II n'étaient pas supérieures à ce fantoche Wilson?

La terre de liberté !

M. Olivier Madox Hueffer, citoyen anglais, perd ses illusions sur l'Amérique :

> Au printemps de 1920, un artiste a été arrêté et condamné à l'amende en Connecticut pour avoir dessiné le dimanche; peu après, en Massachusetts, un pieux marguillier, ayant tué d'un coup de fusil un garçon de dix-sept ans qui ne voulait pas aller au prêche, a été acquitté. Si vous enfreignez le septième commandement, la prison. Si vous passez d'un Etat dans un autre avec une dame qui n'est pas votre femme, la prison. Si vous publiez une traduction de Théophile Gautier, la prison.

L'Anglais admet qu'il faut refuser la liberté à un peuple incapable d'en jouir. La moitié du *Greater New-York* est submergée par des Allemands, des Juifs de Russie, des Juifs de Pologne, des Slaves, des Grecs, des Levantins, des Moldo-Valaques, définis par leur idole Wilson comme « l'écume de l'Europe ». Cela ne fait pas une nation d'hommes libres!

Toutefois, la prohibition de l'alcool, du vin, de la bière, est moins un attentat contre la liberté qu'un coup de spéculation. Quiconque veut payer son verre de whisky deux ou trois dollars en trouve à tous les coins de rue : « Il y a autant d'hommes saouls dans Broadway après minuit aujourd'hui qu'autrefois; mais ils sont plus saouls. » L'hypocrisie sauve tout :

> J'ai entendu un membre du Gouvernement — *écrit l'Anglais* — proclamer à un banquet, avec des larmes dans la voix, que durant toute la guerre en France, il n'y avait pas eu un seul cas d'ivresse dans l'armée américaine.
>
> L'auditoire, composé principalement de dames, versait

6° Le sabotage (*sic* !) inconscient ou délibéré de l'action gouvernementale des soviets par la population, qui s'y adonne dans toutes les branches de la vie nationale, toutes les fois qu'il y a chance d'échapper au châtiment ;

7° Les opérations militaires, qui enlèvent trois millions et demi d'hommes au travail productif ;

8° Les continuels changements dans le personnel gouvernant, et dans les lois qui se contredisent, provoquant des complications et difficultés administratives, avec une perte de temps considérable.

Le *Mémoire* développe en détail chacune de ces rubriques ; il suffit de les énumérer pour deviner le désenchantement du malheureux communiste, placé en face de l'évidence.

Il faudrait y placer tous les nôtres.

Deux des principaux lascars de la Sociale française font actuellement une tournée en Russie. Mais ces enquêtes ne sont jamais que des comédies. Le kamarade Cachin fera la noce à Moscou, pendant que le kamarade Jouhaux fait la noce à Monaco, sans plus de bénéfice pour l'instruction de leurs dupes. Ce sont les dupes elles-mêmes qu'il conviendrait d'expédier dans le bagne bolchevik, sous le knout des Gardes Rouges, des Lettons et des Chinois.

Les journaux ont annoncé que cinq cents cheminots révoqués de l'Orléans demandaient leurs passeports pour la Russie. Bravo ! *Qu'on envoie ces cinq cents-là, et cinq mille autres, aux usines russes*. Puisqu'ils se piquent d'internationalisme, puisqu'ils se glorifient d'être *Sans-Patrie* comme l'agent provocateur Hervé, il ne leur en coûtera rien de quitter la France.

Ils la regretteront quand ils se trouveront dans le « repaire de fous furieux et d'esclaves affamés ». Ceux qui reviendront feront justice des scélérats qui les ont égarés, et qu'épargne la pleutrerie du gouvernement.

La plupart des grandes usines sont fermées en Russie : celles qui travaillent encore produisent le *dixième* de ce qu'elles produisaient avant la révolution. Les transports sont arrêtés, faute de locomotives; on ne répare que 15 % des machines existantes; on n'en fabrique pas 50, pour mille que fabriquait l'ancien régime. Au milieu de 1920, les voies ferrées seront complètement hors de service. L'agriculture n'a ni chevaux ni semences; *un cinquième* seulement des terres arables a été labouré. Les paysans ont d'ailleurs limité la production à leurs propres besoins. La Russie donne en ce moment moins de la moitié de ce qu'elle consommait en céréales avant la guerre. Que pourrait-elle exporter, en admettant que l'exportation ne fût pas interdite par la destruction des moyens de transport?

« La situation économique de la Russie — déclare le membre du *Sovnarhos* — s'aggrave constamment. Toutes les branches du travail et de l'industrie ont été atteintes par l'immensité des destructions. Les mesures partielles qu'on a tâché de prendre pour la reconstruction demeurent inefficaces. »

La cause principale de cette catastrophe réside dans la perte générale d'aptitude au travail qui frappe toutes les classes de la population, en conséquence de :

1° L'abolition de toute envie de travailler chez les individus;

2° L'insuffisance de la rémunération, qui ne couvre même pas les dépenses indispensables à la vie;

3° La faim, les privations, les maladies;

4° L'absence de sécurité personnelle;

5° La nomination, aux fonctions directrices, de gens que rien n'y a préparés, simplement parce qu'ils appartenaient au Parti communiste;

de la victoire quand les Allemands lui ont lancé Lénine comme une bombe de gaz empoisonné. Grâce à Lénine, les Russes ont été dépouillés de la victoire et de ses fruits, qu'ils allaient partager avec nous. Un million de soldats allemands purent quitter le front oriental pour assaillir le front anglo-français. Un million de Français et d'Anglais sont morts *en surcroît* par le crime de cet homme qui adresse la parole à nos travailleurs. Et nos travailleurs ne le maudiraient pas? Et les meneurs de notre socialisme ne sentent pas qu'ils sont les complices d'un égorgeur monstrueux?

Avec la victoire, par le crime de Lénine, la Russie a perdu la liberté qu'elle venait de gagner sur le tsarisme. Elle possédait des institutions parlementaires; elle élisait ses représentants et ses chefs; elle était sur le même pied que les démocraties d'Angleterre, de France et d'Amérique. Les bolchevicks ont détruit le Parlement, détruit les élections et les institutions libres, détruit l'élite de la nation par l'assassinat, détruit des millions de travailleurs par la famine, détruit les instruments de progrès et de civilisation, détruit les outils de production, réduit en esclavage les ouvriers, rejeté les paysans dans la sauvagerie.

Et voilà les modèles, voilà l'idéal que les émissaires de Lénine offrent au peuple de Grande-Bretagne. — en même temps qu'aux peuples de France et d'Amérique! Et les travailleurs ne lapident pas les insensés, les criminels, qui leur proposent un pareil destin, qui cherchent à le leur imposer!

Ainsi parle, en substance, le ministre de la guerre Winston Churchill, pendant que M. Lloyd George étreint Krassine sur son cœur.

Et maintenant, dans les colonnes du *Times*, savourez le Mémoire qu'a rédigé pour ses maîtres un membre du *Sovnarhos* (comité économique du peuple) à Moscou.

Ecoutons d'abord M. Winston Churchill. Son article est une réplique au *manifeste* de Lénine que les meneurs socialistes Tarner et Shaw avaient rapporté de Russie pour engager les travailleurs anglais à transformer leur pays en paradis bolcheviste.

« Lénine — écrit le ministre anglais — a volé la victoire à son pays, en libérant les hordes allemandes qui se sont alors jetées sur les armées de l'Entente; Lénine a détruit la démocratie et les chances de démocratie en Russie; Lénine a changé la Russie en un *repaire de fous furieux et d'esclaves affamés* ».

Aussi longtemps que le monstre s'est tenu claquemuré dans le Kremlin, pour présider de loin à la destruction de ce qui faisait la puissance et l'espoir de la nation russe, les Occidentaux ont pu l'ignorer; ils avaient assez à faire chez eux pour réparer leurs propres désastres; mais puisqu'il descend de sa pyramide de crânes pour se mêler de notre gouvernement, de notre organisation sociale, il faut le regarder en face et le juger.

L'autocrate socialiste condamne impitoyablement ce que les travailleurs même socialistes d'Occident regardent comme les biens les plus précieux : la liberté de penser, la liberté d'écrire, les libres assemblées politiques, les libres activités civiques. Pour le bolchevick, ce sont là des « préjugés de bourgeois et de boutiquier »; il dénonce comme suspects, comme traîtres au prolétariat, les chefs socialistes qui songeraient à réaliser l'entente harmonieuse et pacifique du capital et du travail. Il enverrait au poteau d'exécution, comme indisciplinés, les agitateurs mêmes qui propagent ses folies en abusant de la liberté conquise et maintenue par les bourgeois.

Mais qu'est-il, cet apôtre? *La créature et l'instrument de l'Allemagne.* La Russie était au seuil

ment l'Europe Occidentale, deux *Goldenberg* et *Ehrlich*, sont des *Juifs* d'origine *allemande*.

Comme intermédiaire entre Lénine et l'Allemagne, il y avait à Stockholm et à Copenhague le docteur *Helfandt*, un *Juif allemand* qui se faufila sous le nom de Parvus, et Gœnetzki dont le véritable nom est *Fürstenberg*.

Les trois principaux seconds de Lénine au Soviet sont Zinoviets, Trotsky et Kameniev. Leurs vrais noms sont : *Apfelbaum*, *Broustein* et *Rosenfeld*.

La Commission du Soviet qui fut nommée pour enquêter sur le cas de Lénine était composée de personnes qui portaient les noms suivants : *Gotz*, *Handelsmann*, *Leber*, *Dohn* et *Krochmal*. On pourrait aussi citer Gorer et Metskovsky dont les vrais noms sont *Goldmann* et *Goldberg*.

Les noms que nous venons de citer suffisent à montrer que les leaders du Soviet sont *en grande partie des Juifs allemands*.

Outre les membres déjà cités, nous pouvons énumérer encore : Machtor, de son vrai nom *Zederbaum*, Soukhanof, dont le vrai nom est *Himmer*, Zegorsky, que l'on connut autrefois sous le nom de *Krachmann*; Mechkovsky est *Hollander*; Larin s'appelle *Lumer*; Bogdaner, *Seffer*...

Quant à Lénine, tout le monde sait qu'il se nomme *Zederblum*.

Laissez-leur prendre un pied chez vous; ils en auront bientôt pris huit...

Au Sénat, qui est à la fois le Conseil d'Etat et la Cour de Cassation en Russie, le gouvernement provisoire a introduit **9** Juifs d'un coup.

Dans le Comité exécutif et dans le bureau du Soviet de Petrograd il y a **43** Juifs.

Maintenant, l'*Incurable Imbécile* peut deviner les causes de ce qui se passe en Russie.



Comment appelle-t-on cette besogne ?

Comment qualifie-t-on ceux qui, pour de l'argent, *avec des millions de provenance mystérieuse*, l'accomplissent devant l'ennemi ?

Le gouvernement de la République « met la main au collet » de Daudet et de Maurras, qui ont troublé l'action de Vigo, Landau, Malvy, Goldschild et consorts.

Et les gens de l'*Œuvre*, qui ont travaillé six mois à compromettre l'alliance franco-italienne, pendant que leurs complices cherchaient à ébranler l'alliance franco-anglaise, sont encore en liberté !

Les maîtres de la Russie

Ce qu'on va lire, nous l'avons répété depuis la chute de Nicolas II, tant fêté jadis par nos gouvernants républicains.

On a pu le lire aussi dans la *Morning Post* de Londres (8-10-17).

Mais il est bien plus intéressant de l'emprunter à *l'Heure*, journal **radical socialiste** de Paris (15 oct. 1917).

ILS VONT UN PEU FORT

On a beau ne pas être antisémite, on ne peut pas s'empêcher de faire une petite remarque sur la composition du Soviet de Pétrograd et sur les origines de ceux qui le composent.

Le vrai nom de Tchernov, l'ex-ministre de l'Agriculture, qui est actuellement l'adversaire acharné de Kerensky, est *Feldmann*.

Le vrai nom de Steklov, l'auteur bien connu de l'Ordre n° 1 à l'armée russe (celui qui abolit la discipline), est *Nahinskes, — Juif d'Allemagne*.

Des quatre membres du Soviet qui visitèrent récem-

sonner, à conclure des effets visibles à la cause invisible.

Une chose est certaine : les *Protocols of the Learned Elders of Zion* furent réellement publiés en Russie dès **1905** : et le *British Museum*, auprès duquel notre Bibliothèque Nationale est une bibliothèque de village, en possédait un exemplaire dès le **10 août 1906** (timbre d'entrée).

Le *Times* est obligé d'admettre cette alternative :

— ou les *Protocols* sont bien l'œuvre des Anciens d'Israël ; alors tout ce qu'on peut dire, tenter, exécuter **contre les Juifs** devient légitime, nécessaire, urgent.

— ou les *Protocols* sont l'œuvre d'un faussaire ; mais le faussaire était un prodigieux voyant, puisqu'il a décrit dès **1906**, détail par détail, tout ce qui est *en voie d'accomplissement* dans l'Europe centrale et occidentale.

« **N'avons-nous échappé à la paix allemande**, demande avec angoisse le *Times*, **que pour tomber dans cet abîme de la paix judaïque?** »

C'est précisément la question que je posais depuis **1906**, et que je pose avec une force particulière dans la *Vieille-France* depuis **1916**.

Un de nos bons confrères disait récemment que « l'assassinat professionnel d'Urbain Gohier était la honte de la presse française » Je ne pense pas que la presse française soit en état de ressentir aucune espèce de honte, de quelque crime, de quelque lâcheté, de quelque saleté que ce soit. Mais j'ai confiance que les historiens futurs rendront hommage à ma clairvoyance et à mon courage, en cette matière comme en plusieurs autres.

4) La méthode adoptée pour affaiblir, puis détruire les Etats politiques existants consiste à leur injecter des idées aboutissant à leur désagrégation, suivant une progression habilement calculée du libéralisme au radicalisme, ensuite au socialisme, au communisme, finalement à l'anarchie, *reductio ad absurdum* des principes égalitaires. Pendant ce temps, Israël reste indemne des doctrines corrosives...

5) — Les dogmes politiques évoluant dans l'Europe chrétienne, sa politique et ses constitutions démocratiques sont toutes en égal mépris chez les *Anciens* ou *Sages* d'Israël. Pour eux, le gouvernement est un art sublime et secret, acquis seulement par une culture traditionnelle et départi à une élite très réduite, en quelque sanctuaire occulte...

6) — Dans cette conception du Gouvernement, les masses ne sont qu'un méprisable troupeau; et les meneurs politiques des *Goym*, à peu près aussi aveugles que leur bétail, de simples marionnettes aux mains des Anciens d'Israël : le plus souvent corrompus, toujours impuissants, facilement asservis par la flatterie, par la menace ou par le chantage au profit de la domination **Juive**.

7) La Presse, le Théâtre, la Bourse, la Science, la Loi, dans les mains qui détiennent tout l'or terrestre, sont autant d'instruments pour affoler l'opinion publique, pour la démoralisation de la jeunesse, l'excitation générale au vice, pour la destruction des aspirations idéalistes (culture chrétienne), pour l'instauration du culte de l'argent comptant, du scepticisme matérialiste, du cynique appétit de plaisir.

Tel est le résumé (scrupuleusement exact) que fait le *Times* de ces *Protocols of the Learned Elders of Zion*, publiés sous la rubrique *the Jewish Peril*.

Tel est le document révélateur qu'ignore la vile et vénale presse de France.

Quand j'ai publié *la Terreur Juive* en 1906, quand j'en ai donné des éditions sans cesse augmentées; quand j'ai continué ma campagne dans l'*Œuvre* hebdomadaire, puis dans les cent soixante premiers numéros de la *Vieille-France*, je ne soupçonnais pas l'existence de ces *Protocols*, soigneusement celés en Israël. On pensera qu'une extraordinaire divination me faisait reconstituer le plan mystérieux de la Juiverie. Mais la prétendue « divination » consiste simplement à voir et à rai-

France, comptez qu'ils ne se laisseront pas ruiner par la canaille syndicaliste et socialiste.

Ils établiront et feront régner l'*ordre* en France comme en Haïti.

Nous serons humiliés dans notre patriotisme; mais nous éprouverons quelque joie à voir le Gorille tourner la meule sous la trique.



Le *Times* proclame le péril juif.

« The Protocols of the Learned Elders of Zion. »

La presse anglaise et la presse juive d'Angleterre ont discuté le document ayant pour titre: *The Jewish Peril*; le ministre de l'Intérieur a été interrogé sur le même sujet à la Chambre des Communes. *La Vieille-France* a publié l'incident parlementaire et le sommaire de l'ouvrage dans son numéro 170.

La presse française est aussi muette là-dessus que sur les emprunts ottomans et sur les vols des Grands Magasins.

Le *Times* s'est ébranlé enfin. Jusqu'à la direction Northcliffe, le *Times* était cyniquement enjuivé Maintenant, il a des velléités (patriotiques) d'indépendance. L'article qu'il ose consacrer au *Jewish Peril* en témoigne honorablement.

Il donne du document cette analyse (8 mai) :

1) — Il y a, et il y a eu depuis des siècles, une organisation politique internationale des Juifs.

2) — L'esprit de cette organisation paraît être une haine traditionnelle, éternelle, de la Chrétienté, et une ambition titanique de domination sur le monde.

3) — Le but poursuivi à travers les siècles est la destruction des Etats nationaux et la substitution à ces Etats d'une domination juive internationale.

Les complicités.

L'*Ordre public* du 9-5 rapportait un entretien de M. Delavenne, vice-président du conseil municipal, avec le préfet de la Seine Autran et le préfet de police Raux. M. Delavenne reprochait au préfet de la Seine d'avoir mis un édifice communal, le gymnase Japy, à la disposition des cheminots *pour y préparer la grève*; il reprochait au préfet de police de tolérer l'*affichage gratuit* de toutes les excitations révolutionnaires et bolchevistes, tandis que des timbres coûteux sont imposés aux exhortations patriotiques et saines.

La complicité de l'Administration dans la fomentation de désordre apparaît ici clairement.

La complicité du Conseil municipal et du Conseil général ressort de ces *Indemnités de chômage* que nous avons relevées dans les budgets. Les indemnités de chômage, qui sont en principe une provocation à la fainéantise, sont octroyées aux grévistes, et deviennent ainsi une provocation à la grève.

Que risquent les grévistes? Pas même la perte de leur salaire; la Ville et le Département *subventionnent leur désertion.*

La grève nous ruine, nous affame, par le renchérissement de la vie; et c'est nous qui fournissons, par l'impôt, les *subventions et primes à la grève!*

Le peuple français est en état de complète insanité; à plat ventre sous la savate des Hébreux, quand il choisit des chefs et des administrateurs, il les choisit parmi les agents et les complices de ses ennemis mortels. Il est justement châtié. Malheureusement, les derniers Français honnêtes, patriotes et sensés partagent la souffrance de la multitude imbécile.

Hypothèse d'une solution américaine.

Les ouvriers français ont résolu la ruine des industriels et commerçants français. Les patrons français n'ont qu'une ressource : vendre à des étrangers, surtout à des Anglais et à des Américains, leurs entreprises et leurs usines.

Quand les Américains, ayant profité de leur change usuraire, seront maîtres de la vie économique en

La Russie entière est infestée de comités ou *soviets*; chaque ville ou village, chaque ligne ou gare de chemin de fer, chaque usine ou magasin, aux mains d'un soviet; et ce soviet, composé d'illettrés, de brutes, de singes déchaînés. L'industrie, étranglée par les exigences extravagantes des ouvriers, dont l'ignorance et la puérilité ne peuvent être imaginées.

Individuellement, le vrai Russe est bon, sensible, généreux. En masse, il atteint la limite de l'égoïsme et de l'intolérance. Le « socialisme » des nouveaux maîtres a été entendu comme l'appel aux appétits brutaux, à l'arbitraire, à la violence effrénée. Le peuple est en proie à la folie destructive; il détruit les belles habitations par haine envieuse; il détruit le matériel des chemins de fer; il détruit les approvisionnements « pour que la ville ne subsiste pas aux dépens des paysans. »

Le correspondant du *Journal* en Russie, dans une dépêche datée du 18 mars, écrivait :

La racaille rapace et cruelle trouve tout naturel de dépouiller, à son profit, ceux qui possèdent. « Pille ce qui a été pillé! » est la devise des troupes bolchevistes. Et je vous assure qu'elle est observée! On vole et on tue avec émulation. Chaque moujik croit jouer un rôle dans l'Etat. S'il lui en prend fantaisie, l'ouvrier armé d'un fusil peut, à lui seul, vous arrêter, vous interroger, vous condamner et vous fusiller. Les équipes de gardes-rouges qui se sont constituées pour donner la chasse aux contre-révolutionnaires, fusillent sans jugement les personnes qu'elles suspectent...

Pour faire partie d'un des innombrables Soviets de quartiers qui se partagent les destinées de la capitale, nulle connaissance spéciale n'est, d'ailleurs, exigée. Le moujik le plus borné peut prétendre au poste le plus délicat. Mais s'ils manquent en général d'aptitude, les membres de ces assemblées excellent, par contre, dans l'art de toucher des pots-de-vin. Combien de bourgeois, de commerçants se sont vus contraints de verser des sommes énormes réclamées par ces potentats tout-puissants, pour pouvoir recouvrer leur tranquillité!...

rale, éclairée, policée, peuplée d'électeurs « organisés et conscients ». Il déchante. Il a vu de ses propres yeux la jacquerie, la folie furieuse, le chaos.

« Trait pour trait, dit-il, le régime bolchevik est pire que la vieille autocratie. Sa tyrannie et son iniquité dépassent tout. La forteresse Pierre-et-Paul renferme plus de prisonniers que jadis. Des hommes et des femmes qui avaient passé une grande partie de leur existence en exil ou en prison pour la cause de la liberté sont maintenant traqués comme réactionnaires par la bande maximaliste. La liberté d'écrire, la liberté de parole n'existent plus. Des lois nouvelles, d'une portée, d'une gravité telles que l'ancien tsar n'aurait osé les signer qu'après de longues et consciencieuses délibérations avec ses conseillers, sont griffonnées entre la poire et le fromage par un Trotzky!... »

Dans un train de l'Ukraine, où les wagons de première classe sont bondés de gens qui n'ont pas payé leur place, notre voyageur voit une paysanne grimper sur la banquette et clamer sa colère : « La liberté sans pain et sans souliers, qu'est-ce que c'est que ça? Regardez-moi ce train ; sous le tsar, il marchait ; maintenant nous ne savons pas quand nous arriverons. Peut-être que nous n'arriverons jamais. La révolution, c'est des lois nouvelles tous les jours. On ne sait jamais quelle sera la loi du lendemain. Mais ce qu'on sait bien, c'est que le rouble ne vaut plus rien, et qu'il faut faire la queue des journées pour avoir du pain, ou du sucre, ou des godasses, ou n'importe quelles guenilles, pendant que les gosses piaillent à la maison. Qu'est-ce que les pauvres gens ont gagné? »

Cette bonne femme était toute prête à brûler un château avec les camarades; elle n'était tout de même pas enchantée du nouveau régime.

La Russie sous les Juifs socialistes

L'ILOTE IVRE

Victorieuses avec Broussilof ou vaincues par la trahison, les armées du tsar Nicolas retenaient sur le front oriental la moitié des forces austro-allemandes. Maintenant, toutes les forces de l'Allemagne et de ses alliés peuvent se porter sur le front occidental, parce qu'il n'y a plus du tout d'armée russe ; la révolution l'a détruite. Les Juifs et les socialistes ont fait la révolution. Les Juifs et les socialistes ont livré la Russie sans défense à l'Allemagne.

Mais leurs complices de France, d'Angleterre, d'Italie, d'Amérique, pour apaiser le ressentiment des peuples de l'Entente, murmurent : « Attendez un peu ! L'empire allemand, tous les empires, toutes les monarchies, vont trouver leur perte dans le triomphe même des deux kaisers. Les maximalistes ne manqueront pas de conquérir leurs conquérants, de gagner à leurs opinions les soldats d'Allemagne et d'Autriche, qui rapporteront la révolution dans leurs fourgons. Les empires centraux s'écrouleront. Lénine et Trotzky seront à la fin les vrais vainqueurs. »

Des badauds de chez nous, toujours prêts à croire les contes extravagants, admettent cette hypothèse et s'y attachent fiévreusement. Quelle sottise !

Un écrivain américain, revenant de Russie, envoie aux Etats-Unis des informations et des impressions qui montrent la vérité sous un autre aspect.

Ce citoyen des Etats-Unis est naturellement un ennemi du tsarisme, un fervent de la démocratie ; comme ses compatriotes, il a cru que la chute de Nicolas II faisait de la Russie une république libé-

ancien officier autrichien, a été trouvé porteur de papiers qui prouvent la préparation d'un mouvement révolutionnaire. Les Juifs conspirateurs devaient s'emparer des chemins de fer; et ils avaient commencé de distribuer des proclamations bolchévistes (*A. Reuter*).

« Tharbouth ».

La société *Tharbouth*, pour le progrès et la diffusion de la langue hébraïque, fonctionne à Paris, 80, rue de Rivoli.

Discussions passionnantes, en hébreu entre le Dr. Slousch, MM. Tnamar Ben-Avi (élevé dans la famille d'Eliezer Ben-Yetuda), Sidersky, Schapiro, Grunberg, Cahn, Pinès et Mlle Waitz.

Le concierge de l'immeuble est Français, peut-être....

Juifs partout.

Dans l'affaire Vigo-Almereyda, qui revient sur l'eau le Juif Hayem.

Dans l'affaire Villain-Jaurès, à la barre, les Juifs Blum, Blumenthal, Weyll, Lévy-Bruhl, mis en scène par le Juif Uhry, un des assassins de Clemenceau.

Les Juifs d'Angleterre.

Sir Alfred Mond, « First Commissioner of Works », vient d'envoyer à Israël Cohen, trésorier de la propagande juive, un chèque de 125.000 fr. à compte sur 625.000 fr. qu'il a promis en cinq versements.

Le Juif Mond est le beau-frère du Juif Gerald Rufus Isaacs, fils aîné de l'ex-Rufus Isaac, devenu l'Hebrew-Viscount Reading.

Nous attendons encore le Français qui donnera 125.000 fr. par an à la *Vieille-France*. Quand les Français aimeront et serviront la France comme les Juifs aiment et servent Israël...

Les Journaux anglais s'émancipent avec Israël.

L'autre jour, à Londres, l'électricité a soudain manqué. Les gazettes publient cette irrévérencieuse plaisanterie :

Le lendemain, Cohen rencontre Meyer, avec un visage long d'une aune, et lui demande quel malheur l'a frappé.

— Pendant le court-circuit, répond Meyer, j'étais au... (un Grand Magasin), mais au rayon des pianos. Pas moyen d'en mettre un dans ma poche.

viduellement a été ruinée par la guerre, et qu'elle est un anachronisme ». En même temps, ce **Juif** sioniste veut rétablir l'Etat **Juif** souverain en Palestine, et la presse **Juive** annonce que les intrusions étrangères n'y seront pas tolérées (v. *Vieille-France* n° **109**).

Enfin, à Paris, toutes les tentatives criminelles de la Sociale et de l'anarchie sont inspirées, commandées, financées par les chefs de l'*Alliance Israélite.*

Après la guerre machinée par les **Juifs**, la Révolution machinée par les **Juifs** : et *sur les ruines de la civilisation européenne, sur les cadavres de la race blanche, Israël triomphera.*

Les Juifs imposés par l'Entente en Pologne.

Un Polonais nous écrit :

Vous reprochez durement au ministère Paderewski son langage et son attitude en ce qui concerne les Juifs.

ous seriez moins sévère si vous saviez que le ministère Paderewski a la main forcée par l'Entente et par les Etats-Unis, qui menacent de nous refuser tout appui moral, tout appui militaire et même les aliments, si nous ne souscrivons pas aux insolentes exigences de la Juiverie. Alors, que faire?

Ainsi la Pologne n'aura entrevu sa délivrance et sa résurrection que pour retomber dans l'esclavage le plus infamant. Délivrée des Allemands, des Autrichiens, des Russes, dont la tyrannie du moins reposait sur la force, la Pologne est livrée à la horde mélano-sémitique.

Exactement le même sort que la France.

Nous avons donc raison de répéter, depuis 1914, que la catastrophe mondiale a été machinée par les Juifs, et que les Juifs en seront partout les bénéficiaires. Maîtres en Pologne comme en France, en Russie comme en Allemagne : quel triomphe!

Toute l'Asie doit tressaillir en voyant l'humiliation, l'abâtardissement de la race blanche. Quelles perspectives!

Complots juifs.

L'Agence Reuter, de source officielle polonaise, a révélé la découverte d'un complot juif à Cracovie. La synagogue et des maisons particulières étaient bondées d'armes et de munitions. Un des chefs de la Juiverie,



Israël

Les Juifs, meneurs du Bolchévisme universel.

La sauvagerie bolchéviste a forcé le cordon sanitaire que l'Entente croyait avoir établi autour de l'infortunée Russie. Les Bolchévistes sont arrivés d'un bond à Budapest, et ils se font de la Hongrie un bastion avancé au cœur de l'Europe.

Le *Temps* du 27 mars publiait ces déclarations du prince Windischgraetz au *Journal de Genève* :

> Quant au nouveau gouvernement (*bolchéviste*), composé uniquement d'**Israélites**, il est certain qu'il ne représente rien en dehors de Budapest et qu'il suffirait de 2.000 soldats français ou anglais résolus, pour rétablir l'ordre dans tout le pays. Mais si ce gouvernement reste au pouvoir, il en sera sans doute autrement dans six mois, par suite de l'intense propagande qui se prépare.

Les journaux les plus enjuivés ont dû reconnaître que tous les meneurs bolchévistes de Russie sont des **Juifs**; toutes les organisations de bourreaux et de pillards en Russie sont dirigées par des **Juifs**. Le principal commanditaire du Bolchévisme russe, avant qu'il se fût emparé des richesses de l'empire, était le milliardaire Schiff, de New-York.

Les journaux allemands que nous avons cités maintes fois énumèrent les chefs des organisations bolchévistes en Prusse, en Bavière, en Saxe : tous des **Juifs**.

En Angleterre, ce sont des **Juifs** d'importation récente qui prêchent la grève générale, le pillage des quartiers « bourgeois », la constitution de Conseils d'ouvriers et soldats.

Le **Juif** Israël Zangwill, un des Grands Prophètes de la Juiverie moderne, préside des réunions (v. *Times*, 10-2) où l'on célèbre Rosa Luxemburg, Liebknecht, le Sinn Fein, et où l'on proclame qu'il faut « profiter de l'agitation chez les mineurs pour paralyser toute la vie industrielle ». Le même Zangwill (v. *Morning Post* 20-3) déclare « que l'idée de souveraineté des Etats indi-

Lisez, faites lire :

La Race a parlé : la guerre vue de l'intérieur. — Les marchés de fournitures. — L'espionnage et ses complices. — Les leçons morales et les leçons sociales de la Grande Guerre. — Le Livre qui restera . . . . . . 4 fr. [illegible]

Rendons la France aux Français, ce qu'il faut se rappeler, ce qu'il faut faire, si c'est bien pour la France que souffrent nos enfants. . . . . . 0 fr. [illegible]

La Sociale, histoire précise et documentée du socialisme jusqu'à 1914, 1 vol. . . . . . [illegible]

Réponse aux Socialistes du Kaiser, 1 franc. *Pour propagande* . . . . . . [illegible]

Le Droit de la Race supérieure, traduit du Yiddish d'Isaac Blümchen, édition augmentée du principal chapitre de *A nous la France*. Forte brochure . . . . . . 1 fr. [illegible]

Pour être sages. Chroniques de morale et de littérature françaises, publiées au temps où les exploiteurs actuels du patriotisme n'étaient encore que courtiers d'affaires, anarchistes ou pornographes . . . . . . 4 fr. [illegible]

Le Réveil, chroniques et prédictions d'avant-guerre. 3 fr. [illegible]

Dodore l'antiraciste (*Mort-Homme*, *captivité*, *évasion*), roman gai, par Jean Drault . . . . . . 3 fr. [illegible]

Le Secret du Juif-Errant, par Jean Drault, roman documenté et dramatique qui est la clef de l'histoire des sociétés secrètes . . . . . . 3 fr. [illegible]

Ces ouvrages se trouvent aux bureaux de la *Vieille France*

de jours, aux Etats-Unis, sous prétexte d'écoles en Palestine, un fonds de guerre d'un milliard de dollars.

C'est de l'argent volé aux *goym* qui va servir à leur perte.

NOTES BREVES

La Corruption des Parlementaires.

Au 2e Conseil de guerre, 4 février, acquittement de Marcel Petit, avocat mobilisé au greffe du 3e conseil de guerre, sous le capitaine Bouchardon.

L'accusé avait essayé d'extorquer 7.000 francs d'un dentiste condamné pour vol, en lui promettant sa grâce. Il a soutenu, pour sa défense, que les 7.000 fr. étaient destinés *à la rétribution d'un Parlementaire, courtier en grâces présidentielles.* Puisque le 2e Conseil de guerre a prononcé l'acquittement, c'est que l'excuse était fondée.

C'est une autre « affaire Wilson ». Seulement, aujourd'hui, on l'étouffe.

Qui est le Parlementaire en cause?

Rien qu'au *Journal*, deux douzaines de Parlementaires touchent des pots-de-vin de 30.000 fr. et au-dessus pour faire supprimer les innombrables procès de la maison et pour soustraire Henri Letellier au poteau de Vincennes. *Le Parlement est plus pourri qu'il ne l'a jamais été.*

Dans un procès en cours devant la 1re chambre on vient de produire une correspondance qui établit l'intime complicité de Pierre Lenoir et de Letellier. Les Parlementaires du *Journal* réclament un supplément de sportule... Attendons l'Affaire Caillaux.

Réduire les Quinze Mille!

Les Quinze-Mille, de qui nous entretenons pourtant les bayadères dans les Harems subventionnés, réclament une augmentation de gages.

dit Lénine (demi-Juif), *Braunstein* (Trotsky), *Nachamkes* (Stockloff), *Zederbaum* (Martoff), *Apfelbaum* (Zinovieff), *Rosenfeld* (Kameneff), *Gimel* (Souchanoff), *Krochmann* (Sagerski), *Silberstein* (Bogdanoff), *Lurge* (Larin), *Goldmann* (Gorev), *Radomislsky* (Uritzky), *Katz* (Kamnev), *Furtenberg* (Ganetzky), *Gourevitch* (Dan), *Goldberg* (Meschkovsky), *Goldfandt* (Parvus), *Goldenbach* (Riasanov), *Zibar* (Martinoff), *Chernomordkin* (Chernomorsky), *Bleichmann* (Solntzeff), *Zivin* (Piatnisky), *Rein* (Abromovitch), *Voinsten* (Zvesdin), [illegible] *Natansohn* (Bobriev), *Orthodox* (Axelrod), *Garfeld* [illegible] ...hnoff), *Joffé* [illegible] de faux noms russes.

En même temps, aux Etats-Unis, le Juif Paul Warburg laissait voir des relations si étroites avec les personnalités bolchévistes qu'il ne fut pas réelu au *Federal Reserve Board*.

Jakob Schiff a pour intime ami et pour agent très actif le rabbin Judas Magne, protagoniste du Judaïsme International, qui a lancé aux Etats-Unis la première organisation ouvertement bolcheviste, dite *Conseil du Peuple*. Le 24 octobre 1918, Judas Magne a fait la déclaration publique de son adhésion sans réserve au Bolchevisme, dans une réunion du Comité Juif d'Amérique à New-York. Commandité par Jakob Schiff, administrant avec lui la *Kebillah* juive, le rabbin Judas Magne est le directeur effectif de l'organisation sioniste *Poale*, et du « Parti travailliste juif ».

La firme juive Kuhn, Lœb et Cᵉ est étroitement liée au Syndicat Westphalien-Rhénan, aux Juifs Lazard de Paris, à la firme juive Gunsbourg (Pétrograd-Paris-Tokio), à la firme juive Speyer et Cᵉ (Londres-New-York-Francfort) et à la firme juive *Nye Banken* (Stockholm) : d'où il apparaît que *le Bolchevisme est l'expression d'un mouvement général juif, où sont intéressées les grandes banques juives.*

La reconnaissance formelle d'un **Etat Juif** en Palestine, la constitution de Républiques juives en Allemagne et en Autriche ne sont que les premiers pas vers la domination du monde. La Juiverie internationale s'agite fiévreusement. Elle a réuni dernièrement, en peu

Ah ! la belle patrie

que nous avons !

Au Parlement français,

la Provence est représentée par **Schrameck**
la Guyenne, par **Jeroboam Rothschild-Mandel**
le Béarn, par **Amschel Mayer Rothsch**
l'Artois, par **Abrahami**
la Picardie, par **Klotz**
l'Alsace, par **Lazare Weiller**
la Champagne, par **Israël**
l'Ile de France, par **Ulry et Bokanowsky**
Paris, par **Blum, Strauss et Lévy**

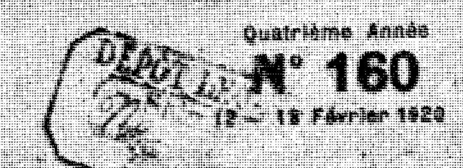
Ah ! la belle victoire

que nous fêtons !

Si les Allemands nous avaient vaincus, ils nous auraient imposé *presque* autant de fonctionnaires étrangers que nous en avons, mais *ils n'auraient pas osé introduire dans notre Parlement* **les intrus que nous y mettons.**

C'est la France elle-même qui se renie.

Fr. 0.40 cent.



Quatrième Année
N° 160
12 — 18 Février 1920

LA VIEILLE-FRANCE



SI MANGIN AVAIT VOULU !...
Le ghetto des Affaires étrangères.
LA CRISE SOCIALE AUX ÉTATS-UNIS.
Le Bolchevisme juif. - Les Parlementaires vendus.
Le premier numéro de la *Libre Parole*.

5, rue du Pré-aux-Clercs
PARIS (VII^e)

Urbain GOHIER

محتويات الكتاب

طبعت على مطابع دار الغد ـ تلفون ٢٣٠٥١٢